شعراء الفكاهة المعاصرون

الأستاذ .الدكتور
مصطفى رجب

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

البيـــانـــــات			
عنوان الكتاب - Title	شعراء الفكاهة المعاصرون		
المؤلف - Author	الأستاذ . الدكتور/ مصطفى رجب		
الطبعة - Edition	الأولى .		
الناشر - Publisher	العلم والإيمان للنشر والتوزيع .		
عنوان الناشرAddress	كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات - ميدان المحطة. تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١		
بيانات الوصف المادي	عدد الصفحات Pag.	مقياس النسخة Size	التجليد
	٢٧٦	٢٤,٥ x ١٧,٥	مجلد
المطبعة - Printer	الجلال .		
عنوان المطبعة Address-	العامرية إسكندرية.		
اللغة الأصل	اللغة العربية .		
رقم الإيداع	٢٠٦٤٥/ ٢٠٠٧م		
الترقيم الدولى .I.S.B.N	977- 308 -144 - 3		
تاريخ النشر - Date	2008		

إهداء

إلى روح صديقنا الكبير/ الشاعر الفنان عبد الله أحمد عبد الله " ميكي ماوس " الذي قضينا معه أحلى سنوات حياته الأخيرة في مجلة البعكوكة .

وإلى أستاذي وشيخي ومعلمي الجليل الأستاذ / عشرى خضراوي الذي تعلمنا منه اللغة الإنجليزية والثقافة العامة وخفة الظل وسعة الأفق وكيف نكون مصريين حقيقيين .

مصطفى رجب

الفهرس

الفهرس

مقدمة

يتضمن هذا الكتاب فصولاً عن جوانب مجهولة لدى شعراءنا المعاصرين شوقى - العقاد - محمود غنيم - محمد الأسمر - عبد الحميد الديب - طاهر أبو فاشا - هاشم الرفاعى - طاهر الجبلاوي - إبراهيم ناجي وغيرهم . كما يضم الكتاب مقاله عن جريده نادره من جرائدنا الفكاهيه المجهولة كان اسمها " جريدة الكلب " وكانت تصدر في بيروت بخط اليد وكانت كل أبوابها تصاغ شعرًا عموديًا

كذلك يضم الكتاب عدة مقالات عن شخصيات فكاهيه مثل أمير الشعراء المزيف " البرنس حسين " ومؤلف الآجرومية الإنجليزية - وكذلك يضم مقاله عن فكرة النقل إلى الصعيد بوصفه عقوبة كما تناوله شعراؤنا المعاصرون وقد نشرت معظم فصول هذا الكتاب فى المجالات الأدبية وقد رأيت جمعها فى كتاب حرصًا عليه وتلبية لرغبة كثير من أصدقائنا الذين نصحوا بنشره فى كتاب لأن المكتبة العربية تعانى من ضحالة عدد الكتب التي تغطى هذا الجانب من جوانب أدبنا العربي

ونأمل أن تضم الطبعة القادمة من الكتاب مجموعة أخرى من الشعراء العرب والمصريين الذين كتبنا عنهم وضاع بعض ما كتبناه فلم نتمكن من ضمها فى هذا الكتاب ونأمل أن يكون فى الكتاب ما يفيد الباحثين ومحبي الفكاهة و... و...

وتضحكوا على " خير " !! .

الدكتور
مصطفى رجب

الفكاهة في شعر شوقي

قد يبدو هذا العنوان تقليدياً ، ولكن التناول التالي ليس تقليدياً بالتأكيد لسببين على الأقل :

أولهما : أن الدراسات التي تناولت شعر شوقي - على تعددها - لم تقف كثيراً عند الفكاهة في شعره ، ومرت بها مروراً سريعاً في سياق تعدادها لأغراض شعره لا أكثر.

ثانيهما : أن معظم الدراسات التي تناولت شعر شوقي كانت تقتصر على ديوان الشوقيات بأجزائه ، ولم تكن تتعدى ذلك لدراسة شعره المسرحي ، تاركة ذلك لتلك الدراسات المتخصصة التي اقتصرت على دراسة مسرحياته وهذه بدورها لم تتوقف كثيراً عند الأبيات الفكاهية إلا بقدر ضئيل لأن جل اهتمامها كان ينصب على الدراسة الفنية للعمل المسرحي أو لفنه أو لشخصيته - إلخ .

من هذا المدخل سوف نقف بالقاريء عند جانبين من جوانب الفكاهة في شعر شوقي وهما :

محجوبيات أحمد شوقي :

المحجوبيات هي تلك القصائد التي قالها شوقي في صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو طبيب ونقابي وسياسي معروف كانت له لوازم صوتية وحركية مضحكة أو هكذا شاء له أصدقاؤه كشوقي وحافظ .

وقد كان الدكتور محجوب ثابت من أشهر الأطباء في عصر شوقي . وكان ميالاً إلى تشجيع النشاط العمالي من خلال التجمعات العمالية التي تحولت إلى نقابات فيما بعد . وكانت شخصيته مثيرة للشعراء بسبب عاداته الغريبة التي يتمسك بها ومنها تدخينه الغليون (البيب) واستعماله حصاناً في التنقل في ميادين القاهرة وشوارعها يركض به بين السيارات المارقة . وقد أطلق أصدقاؤه على هذا الحصان اسم " مكسويني " وهو اسم بطل ايرلندي مشهور انتحر جوعاً وفي هذه التسمية غمز للدكتور محجوب ثابت بأنه كان يُجيع حصانه وقد استبدل به صاحبه فيما بعد سيارة نالت هي أيضاً نصيباً وافراً من سخرية شوقي . كما كان من لوازم محجوب ثابت ذلك الكم الوافر من القافات التي تتخلل عباراته . وسط شارب كثيف من الشعر . ولحية لا تقل عنه كثافة .

وقد كتب شوقي في " مكسويني " حصان الدكور محجوب ثابت قصيدة جعل هذا الاسم "مكسويني " عنواناً لها قال فيها :

تـفَدِّيك - يا مكسُ - الجيادُ الصلادم	وتفدي الأَساةُ النُّطْسُ مَن أَنتَ خادمُ
كأنك - إن حاربتَ - فوْقكَ عنترٌ	وتحتَ ابنِ سينا أنت حين تسالِمُ
ستُجْزَى التماثيلَ التي ليس مِثْلُها	إذا جاءَ يومٌ فيه تُجزَى البهائمُ
فإنك شمسٌ ، والجياد كواكبُ	وإنك دينارٌ ، وهن الدراهمُ

[الأساة النُّطس : الأطباء المهَرة . جمع آسٍ : طبيب . ونطاسي : ماهر في الطب]

فهو يتخيل محجوبا فارسا يصول ويجول بحصانه كأنه عنترة بن شداد أما إذا ركبه وسار به إلى العيادة أو المستشفى فهو يتخايل في مشيته كأنه (ابن سينا) أشهر أطباء العرب .

ويتصور شوقي الحصان " مكسي " وقد أقيمت له تماثيل مختلفة تمثل وقفته حين يكون صاحبه جالساً في الأماكن التي يرتادها عادة وهي مقهى (البرلمان) ومقهى (بار اللواء) ومقهى (الأهرام) ، وكان محجوب ثابت إذا ارتاد أحد هذه الأماكن اتخذ مكانه بين رفاقه . وأوقف حصانه على مقربة منهم فأصبح ذلك من علامات وجوده في تلك الأماكن :

مثالٌ بِساحِ البرْلمانِ مُنَّصبٌ وآخرُ في (بار اللِّوا) لك قائمُ
ولا تظفرُ (الأهرامُ) إلا بثالثٍ " مزاميرُ " داود عليه نواغِمُ
وكم تَدَّعي السُّودانَ يا مكس هازلاً وما أنت مُسْودٌ ، ولا أنت قاتمُ
وما بك مما تُبصرُ العينُ شُبهةٌ ولكن مشِيبٌ عَجَّلتْهُ العظائمُ
كأنك خيْلُ التركِ شابَت مُتونهُا وشابت نواصيها ، وشاب القوائمُ
فيا رُبَّ أيامِ شهدْتَ عصيبةٍ وقائعُها مشهورةٌ والملاحِمُ

ومرة أخرى يتوجه شوقي بالخطاب إلى الحصان (مكسويني) في قصيدته التي سخر فيها من سيارة محجوب ثابت والتي جعل عنوانها (بين مكسويني والأوتومبيل) فقد قال فيها يخاطب الحصان وقد استخدم في ندائه إياه ما يسمى

عند اللغويين بـ " الترخيم " وهو إسقاط بعض حروف الاسم تدليلاً أو تعظيماً أو تقرباً من المخاطب . فقال شوقي :

أَدُنيـــا الخيـــلِ (يـــا مـــكيِي)   كـــدنيا النـــاس غـــدّارة ؟!
لقـــد بَـــدّلك الـــدهر   مـــن الإقبـــال إدبـــاره
فصـــبراً يـــا فتـــي الخيـــلِ   فـــنفسُ الحـــرِّ صـــبَّاره
أحـــقٌ أن (محجوبـــاً)   ســـلا عنـــك بفخّـــاره ؟
وبـــاع الأبلـــقَ الحـــرَّ   بـــ (أوفرْلانـــدْ) نعّـــاره ؟

و"الأوفر لاند" هي ماركة السيارة التي اقتناها محجوب ثابت وقد وصفها شوقي بانها نعّارة أي ذات صوت مزعج . ثم انتقل في قصيدته إلى لوم صديقه الذي تنكر لحصانه فتخلى عنه متناسياً ماضيه في الجهاد مع صاحبه . وهو جهاد ليس له أساس في الواقع . بل هو من خيال شوقي الذي تصور مروق الحصان وسط الصبية . الذين كانوا يتصايحون إذا رأوه . جهاداً وحرباً ضروساً فيها رايات وغارات وكر وفر . ورشاشات وبنادق [الغدارة : اسم قديم للبندقية] ومع ذلك فإن نحجوبا لم يحفظ للحصان هذا التاريخ وذلك البلاء فشَلَحَه (طرده) أي فرط فيه تفريط الكاره المبغِض غير النادم على الفراق . مع أنه لم يكن يكلفه تغذية فقد عاش معه جائعا محروما من البرسيم الذي لم يره ولم ير زهوره ونواره في حياته مع محجوب :

ولم يعـــرفْ لـــه الفضـــلَ ولا قـــــدَّرَ آثـــــاره
قـــد اختـــار لـــك الشَّلْـــحَ ومـــا كنـــت لتختـــاره
كـــأنْ لم تحمـــل الـــرا يـــة يـــوم الـــروع والشـــارة
ولم تركـــب إلى الهـــول ولم تحمـــل عـــلى الغـــارة
ولم تعطـــف عـــلى جرحـــى مـــن الصـــبية نظَّـــارة
فـــمضروب برشَّـــاش ومقلـــوب بغـــدَّاره
ولا والله مـــا كلِّفـــ ـــتَ محجوبـــا ولا بـــارة
فســلْه : مـــا هـــو الشـــلحُ ؟ عســـى يُنْبيـــك أخبـــاره
فـــلا البرســـيم تدريـــه ولا تعـــرف نـــوَّاره !!!

وأما سخرية شوقي بصاحبه محجوب - بعيداً عن الحصان - فقد أخذت أربعة مسارات :

الأول : التهكم من سيارته :

فقد جعل منها شوقي أضحوكة يتندر بها الجيران فهي ضعيفة لا تقوى على السير با تنهار من جانبيها إذا أراد تحريكها . وهي عجيبة الطبع تقف إذا شاءت وتمشي إذا شاءت من تلقاء نفسها وهي مثار سخرية الصبية في الشوارع يتصايحون إذا رأوها مثلما يتصايحون عندما تمر فوقهم طائرة يقول شوقي :

لكـــم في الخـــط سيـــارة حـــديث الجـــار والجـــارة

(أوفرْلانـــــدْ) يُنبِّيــــــك — بهـــا القنصــــل (طــتَّاره)
كســــيارة (شـــــازلبوت) — عـــلى الســواق جبــــارة
غـــذا حرَّكهـــا مالـــت — عـــلى الجنبــين مُنهـــارة
وقـــد تحـــرن أحيانـــاً — وتمشي وحـــدها تـــارة
ولا تشــــبعها عيــــنٌ — مـــن البنـــزين فـــوَّارة
ولا تُـــروَى مـــن الزيـــت — وإن عامـــت بـــه الفـــارة
تـــرى الشـــارع في ذعـــر — إذا لاحـــت مـــن الحـــارة
وصـــبياناً يضِجُّـــون — كـــما يلقـــون طيَّـــارة
وفي مَقْـــدَمها بـــوق — وفي المـــؤخر زُمَّـــارة
فقـــد تمشي متـــى شـــاءت — وقـــد ترجـــع مختـــارة
قضى الله عـــلى السَّـــوَّا — قِ ، أن يجعلهـــــا داره
يُـــقضيِّ يومـــه فيهـــا — ويلقـــى الليـــل مـــا زاره

الثاني : التهكم من بخله :

ويبدو تهكم شوقي من بخل صاحبه في قصيدته التي جعل عنوانها (ذخيرة) ويتحدث فيها شوقي عن (ألفين) من الجنيهات كان محجوب ثابت قد أودعها مصرفاً يمتلكه حسن باشا سعيد وقد قيلت هذه القصيدة إبان ثورة ١٩١٩م وكان محجوب ثابت من المشاركين فيها . ولم يكن لديه أية رغبة في المساس بهذا المبلغ

فعيره شوقي بهذا الحرص الشديد على كنزه الثمين . يقول شوقي مخاطباً محجوب ثابت الذي كان يلقبه دائماً بابن سينا . أو " الرئيس " وهو لقب ابن سينا الطبيب العربي الشهير ويعرِّض شاعرنا بمبلغ ألفين من الجنيهات يبدو أنهما كانا وديعة أودعها الدكتور محجوب في أحد البنوك آنذاك :

قــل لابـــن ســـينا : لا طبيـــــب اليـــوم إلا الـــدرهم
هـــو قبـــل بقـــراط وقبـــلك للجراحـــة مرهـــــم
والنـــاس مـــذ كـــانوا عليـــه دائـــــرون وحُـــــوَّم
ويـــحره تعلـــو الأســـــــفلُ في العيـــون وتعظـــم
يـــا هـــل تـــرى الألفـــان وقـــفٌ ، لا يُمَـــسُّ وتَحْـــرم ؟!
يتـــك " الســـعيد " عليهمـــا حتـــى القيامـــة قيِّـــم
لا " شـــيك " يظهـــر في البنـــك ولا " حوالـــة " تُخصـــم
وأعـــف مـــن لاقيـــت يلقـــــاه فـــلا يتكـــرم !

الثالث : التهكم من البراغيث المحجوبية :

وفي قصيدته الشهيرة (براغيث محجوب) يتهكم شوقي على صديقه الذي ملأ البراغيث عيادته . وتستقبل زائريه من على باب العمارة . بل هي تستقبلهم من الطريق فترافقهم إلى باب العمارة في صفوف متراصة راقصة . فإذا دخل الضيف أبصر هذه البراغيث في شارب الطبيب ولحيته وداخل غليونه الذي يدخنه . بل وبين أسنانه تروح وتغدو باحثة عن بقايا طعام والقصيدة آية من آيات السخرية

والفكاهة العذبة . وفي الأبيات يقول شوقي إنه - بفضل تلك البراغيث - استغنى عن عادة كانت تلازمه وهي الاحتجام بين الصيف والخريف نظرا لتغير الجو . فترك تلك العادة لأن البراغيث كفته مؤونة الحجامة لكثرة ما امتصت من دمائه فيقول شوقي فيها :

براغيــث محجــوب لم أنسهـــا ... ولم أنــس مـا طعمـت مـن دمـي
تشــق خراطيمهـــا جوربـــي ... وتنفــذ في اللحـــم والأعظـــم
وكنت إذا الصيف راح احتجمْت ... فجــاء الخريــف فلــم أحجـــم
ترحب بالضيف فوق الطريـــ ... ــق ، فبــاب العيــادة فالسلـــم

وهذه البراغيث تتراقص كما تتراقص الأمواس الحداد [جمع موسي] وهي تقد الجلد قدا . وقد اعتادت هذه البراغيث أن تخرج من مكانها مبكرة في مطلع فصل الشتاء . وقد يكون من مكامنها فم صديقه الطبيب فهو إذا تنخم وألقى بالبلغم خرجت هذه البراغيث من البلغم المقذوف :

قــد انــتشرت جوقــة جوقـــة ... كــما رُشــت الأرض بالسمســـم
وتـرقص رقـص المواسي الحداد ... عـلى الجلـد ، والعلَـق الأسحـم
بــواكير تطلــع قبــل الشتـــاء ... وترفـــع ألويـــة الموســـم
إذا مـا " ابـن سـينا " رمـى بلغـماً ... رأيــت البراغيــث في البلغـــم
وتبصرها حـول " بيبـا " الرئيس ... وفي شـــاربيه وحـــول الفـــم
وبــــين حفـــاتر أسنانـــه ... مــع الســوس في طلــب المطعـم

الرابع : التهكم بحرف (القاف) عند محجوب ثابت :

وكان من لوازم محجوب ثابت الإكثار من استخدام حرف القاف في كلامه كما كان معروفاً بخطبه الطويلة التي كان يلقيها في جموع العمال وأكثرهم عنه غافلون . وحدث ذات مرة شقاق بين محجوب ثابت وسليمان فوزي صاحب مجلة الكشكول وأراد شوقي أن يصلح بينهما فرفض محجوب ثابت الصلح فقال شوقي على لسانه هذه القصيدة التي تفيض سخرية لتعمده الاستكثار من ذكر حرف (القاف) فيها :

يميناً بالطلاق وبالعتاق ... وبالدنيا المعلقمة المذاق

وكل فقارة من ظهر " مكسي " ... بصحراء الإمام وعظم ساق

وتربته وكل الخير فيها ... ونسبته الشريفة للبراق

وبالخطب الطوال وما حوته ... وإن لم يبق في الأذهان باق

وبعد أن أقسم محجوب ثابت بالطلاق والعتاق وفقرات ظهر حصانه "مكسويني " وقبر حصانه المدفون في مدافن صحراء الإمام الشافعي بالقاهرة . يأتي جواب ذلك القسم استنكاراً للشتيمة التي نالته من صديقه سليمان فوزي . وكيف يُشتم وهو ذو غليون وطباق وله رهط من العمال ينصرونه إذا حُمَّ الوغى :

وكسري الشعر إن أنشدت شعراً ... ونطقي القاف واسعة النطاق

أيشتمني سليمان بن فوزي ... و" بيبي" في يدي ومعي " طباقي "

وتحت يدي من العمال جمع ... يشمر ذيله عند التلاقي

ولسنا في البيان إذا جرينا لأبعد غاية فرسي سباق

تقاقي ذقنه من غير بَيْض ولي ذقن تبيض ولا تقاقي

[تقاقي : أي تكاكي وهو الصوت الذي يصدر عن الدجاج] وكأن الشاعر تخيل لحية صاحبه دجاجة تصيح ولا تبيض على حين لحيته هو دجاجة تبيض ولا تصيح . وهو تصوير فكه ليس له دلالة إلا السخرية من صديقه الذي يحلق شاربه ولحيته . والكلام هنا - كما هو واضح - يجريه شوقي على لسان محجوب ثابت

وحلاق اللحى ما كان رأيي ولا قص الشوارب من خلاقي

ألا طز على العيهور طز وأن أبدى مجاملة الرفاق

بقارعة الطرق ينال مني ويوسعني عناقاً في الزقاق

وليس من الغريب سواد حظي وبالسودان قد طال التصاقي

ألم ير أنني اعرضت عنه وصار لغير طلعته اشتياقي

وسبحان المفرق : حظ قوم قناطير وأقوام أواقي

وعيش كالزواج على غرام وعيش مثل كارثة الطلاق

ويستخدم شوقي في الأبيات السابقة كلمتين من العامية المصرية شديدتي السخرية . وهما كلمة "طز" بمعنى : أن هذا الشيء أو ذلك الشخص لا يهمني أو هو عديم الأهمية . وكلمة "العيهور" وهي توحي بما توحيه كلمة المغفل أو الأحمق والإشارة إلى السودان في الأبيات إشارة إلى مدوة طويلة كان الدكتور محجوب

ثابت قد قضاها بالسودان الذي كان في ذلك الوقت جزءا من المملكة المصرية ويختتم الشاعر قصيدته على لسان محجوب ثابت بهذا البيت الهازل :

أمور يضحك السفهاء منها ويبكي البلشفي والاشتراقي

[والاشتراقي هي الاشتراكي ولكن بلغة سيد القافات : محجوب ثابت !!!]

الفكاهة في المسرح الشعري عند شوقي

على الرغم من كثرة الدراسات التي قدمت عن أحمد شوقي وادبه وشعره فإننا لا نجد دراسة واحدة من بين هذا الكم من الدراسات تخصصت في دراسة الفكاهة في شعره بصفة عامة . فضلاً عن أن نجد دراسة تخصصت في الفكاهة في مسرحه الشعري . ذلك الفن العظيم الذي يدين بوجوده كجنس أدبي استمر في أدبنا العربي المعاصر لمؤسسه أحمد شوقي . وفي السطور التالية سوف نتلمس بعض مواقف الفكاهة في مسرحيتين فقط من مسرحياته الشعرية :

الفكاهة في مسرحية " البخيلة " .

تتلخص هذه المسرحية في أن امرأة عجوزاً اسمها نظيفة - لاحظ دلالة الاسم - كانت تعيش مع خادمتها (حُسنى) وحفيدها (جمال في بيت قديم ويعانيان معها اشد المعاناة مما هي عليه من تقتير وإمساك . ويحاول سمسار اسمه (رشاد) التغرير بجمال ليزوجه فتاة من أحد البيوتات التي أخنى عليها الزمن فيوافق جمال . متجاهلاً الحب الصامت الذي تكنه له الخادمة (حُسنى) وعندما تموت السيدة البخيلة يتسامع الجيران بنبأ خطير مؤداه أن السيدة العجوز أوصت

بكل ثروتها لخادمتها . فيفاجأ جمال بأن خطيبته تفسخ خطبتها منه . وفي اللحظة نفسها تصارحه (حُسنى) بأنها تتنازل له طواعية عما ورثته لأنه الأحق بهذا فيسعد بهذا الدليل القوي على حبها إياه . ويرضى بها زوجاً . وتكتمل سعادته عندما تصارحه الفتاة بأنها اتفقت مع العجوز على هذا (المقلب) لكي تعيد للفتى الطائش عقله ليحافظ على ثروته .

وفي المسرحية شخصيات أخرى هامشية مثل الطبيب عبد السلام مرتضى المعروف بجهله وعلاجه لمرضاه على النواصي والطرقات .

ومن مواقف الفكاهة في المسرحية ذلك الحوار الذي يدور بين رشاد (السمسار) وعزيز (وهو أحد أبناء الذوات التافهين) وكانا يجلسان على المقهى وقد جاء جمال فدار بينهما هذا الحوار :

رشاد : هذا جمال وحيد جَدَّة بخيلة يا عزيز ، جِلْدة !!

عزيز : وعمرها يا رشاد ؟

رشاد : يربو على الثمانين

عزيز : تلك مدة !!

وبعد أن يغري رشاد السمسار صديقه عزيزاً ابن الذوات بتزويج اخته من جمال الذي سيرث أموال جدته البخيلة . يستمر الحوار بينهما فيمارس السمسار أسلوب التزيين الزائف والكذب والغش ليصل إلى هدفه . ومرة أخرى يدور الحوار بينهما بهذا الشكل الذي تبدو فيه براعة الفكاهة عند شوقي :

عزيز : لم تقل عن الفتى . ما أبــوه ؟

رشاو: كان فخر الرجال ...كان مديرا

[ثم لنفسه]

كـان والله يسـكع الصبح والليــ ـــلَ إلى كـل حانـة، سِكّيـــرا

عزيز: والفتى . كيف شغله ؟

رشاو : في الدواوين

عزيز : إذن قد نراه يوماً وزيـرا

رشاو : لم لا ؟

[ثم لنفسه]

إننـي قلتهـا ومـن أيـن أدري ؟ ربـما صـار حاجبـاً أو غفيـرا

[ثم لعزيز]

لا تسـلني مـن أبـوه يـا أخــي أو مــن الأم وسـل مـا جدتـه ؟

لا ولا مـا شـغله ؟ مـا جاهـه ؟ في الــدواوين ولا مــا رتبتـه

فجـــمال في غـــد أو بعـــده بـــوزيرين تُســاوَى ثروتـــه

(بعد لحظة)

ولِمْ لا وجدَّتُــــه نمــــلةٌ إذا وقفـتْ أو مشـت حَصَّلــتْ

وتـدخل في بيتهـا مـا تصـيب ولا يخـرج الـدهرَ مـا أدخلـتْ

لـو انقلبـت مـن جميع الجهـات عـلى القـش في فمهـا مـا انفلـتْ

تـرى المـال في بيتهـا في اللحـاف وتحـت الـبلاط وحشـو الشِّلَـتْ

وتقدم لنا المسرحية حواراً بين شخصين مجهولين كانا يجلسان على المقهى فيما كان الطبيب الجاهل عبد السلام مرتضى يجلس بالقرب منهما منغمساً في قراءة صحيفة وقد أعطاهما ظهره فدار بينهما هذا الحوار الفكه :

الأول : من ذلك المُطِـــلُّ مـن لحيتـــه كالبغل من وراء مخلاةٍ رنا

الثاني : تسأل عن ذاك الذي انحنى على صحيفة يقرا وولانا القفا ؟

الأول : أجل . أجل هذا القفا

الثاني : هذا هو الدكتور

الأول: من ؟

الثاني: عبد السلام مرتضى

يقـرأ مـا صـادف مـن جريـــدةٍ من سطرها الأول حتى المنتهى

وتستوي صحف الصباح عنـده وصحفُ ظَهَرن من عام مضى

تـذاكر الـدفن التـي يكتبهـا في الشهر أضعاف تذاكر الدوا

ويصف أحد الرجلين لصاحبه بخل هذا الطبيب وصفاً دقيقاً فقد كان ضيفه يوماً ورآه وهو يقسم البيضة بين أربعة ضيوف ويأمر برفع اللحم من على المائدة بحجة انه غير ناضج ، وهو يطوف بالمقاهي لا يطلب لنفسه غير (شيشة) يظل يدخنها طوال مدة بقائه التي قد تستمر الليل كله أو النهار كله . فهو يعالج مرضاه على المقهى :

الأول : وذلك الدكتور ؟

الثاني : هذا " مادر"

الجوع يا أخي ولا الأكل معه

لقد دعاني للغداء مرة فقسَّم البيضة بين أربعة

وجيء بالشواء

الأول : قل ماذا جرى ؟

الثاني : أوما إلى خادمه أن يرفعه

رأى فيه عيباً وإن لم نجد على اللحم عيباً سوى قلته

فقد كان أنضج لحم رأيت وقد كان كالمسك في نكهته

ومن بخله تفتح القهوات وتغلق وهو على " شيشته "

يقضي بها طرفي يومه ويمضي بها طرفي ليلته

الأول : ومرضاه ؟

الثاني : يلقاهمو في الطريق حيناً ، وحيناً على قهوته

ومن مواقف الفكاهة الطريفة في هذه المسرحية ذلك الموقف الذي تأمر فيه البخيلة خادمتها (حُسنى) بأن تطبخ لها طبيخاً فإذا بها تطبخ لها (البامية) لأنها جديدة في السوق . وبعد أن تزأر المرأة العجوز وتتحسر لأن ثمنها - ما دامت جديدة - لابد أن يكون غالياً ،تقنعها الخادمة بأنها بامية مهداة لها من أحد

أقاربها فتسر العجوز وحينئذ يظهر (جمال) حفيد البخيلة فيدور بين السيدة (نظيفة) وخادمتها هذا الحوار :

نظيفة : عندي " جمال " يتغدى معي   هاتي حديث " الباميا "هاتي

حسني : سوف ترى يا سيدي صنعتي   وسوف تنسى " كفتة الحاتي "

نظيفة : حُسنى بذلت كثيراً   وما رفقت بحالي

أكفتة بيميـــن   وباميا بشمـــال ؟

حُسنى :

سيدتي لا تغضبي لا لحم في الـ   ـمطبخ لا كفتــة لا كبــابــا

العظم لا غير ملأت " الباميا "   منه ... فطابت نكهة وطابــا

نظيفة :

يسلم فوك يا ابنتي

(ثم للجمال) : اسمع لها

" جمال " .. كيف تحسن الجوابا

وبعد موت البخيلة تتحدث الخادمة إلى نفسها عن سيدتها الفقيدة وعن معاناتها معها فتقول :

ســــــيدتي وبخلهـــــــا   في " الخـــط " ســــارا كالمثـــل

وانتقلـــــت وذكرهـــــا   بالبخـــل فيـــه مـــا انتقـــل

يرحمهــــــا الله فمــــــا   أنســـى لهـــا تلـــك الجمـــل

في غضـــب عنـــد الحـــوا ر واضـــطراب و " زعـــل "
ومـــا اختلفنـــا مـــرة في جَمَـــل ولا جمـــل
لكـــن لأجـــل الثـــوم كـــا ن الخلـــف ، أو حـــول البصـــل
ولم نكـــن مـــن الدقيـــ ـــق نتهـــي ولا العســـل
يرحمهـــا الله وإن لم تـــأت يومـــاً بحســـن
عاشـــت بثـــوب واحـــد كالميـــت عـــاش بكفـــن

الفكاهة في مسرحية " الست هدى " .

تدور أحداث هذه المسرحية في بيت يقع في حي الحقيقي في منطقة السيدة زينب بمدينة القاهرة وزمنها عام ١٨٩٠م . وقد اختار شوقي الزمان والمكان بعناية ليقدم لنا من خلالهما فكرت هالتي تتلخص في وصف حياة نساء ذلك العصر وكيف كان الرجل اللعبة المفضلة لديهن فبطلة المسرحية هي الست هدى وهي امراة مزواج لديها ثروة ضخمة من الأطيان الزراعية والأموال وليس لها حظ من الجمال أو الجاه ولكنها تستمد قوتها من ثروتها فهيي تتزوج وتطلق حتى تنتهي المسرحية بموتها بعد أن وقفت كل أموالها لجارتها أو بنات جارتها وبنت زوجها الأول . وهكذا يصطدم آخر أزواجها واسمه السيد العجيزي وكان قد منى نفسه بأن يرثها وبدأ يتصرف مع أصدقائه النادمين . والمسرحية من أولها لآخرها مسرحية فكاهية . فمن الصعب أن نرصد ظواهر معينة للفكاهة في تضاعيفها . ولكننا سنختار لقطات فيها روح شوقي الشاعر الفكه .

ففي بداية المسرحية تتحدث الست هدى لإحدى جاراتها عن سر اهتمام جاراتها وجيرانها بأمور زواجها فتقول :

يقولون في أمري الكثيرَ وشُغلهم حديثُ زواجي او حديث طلاقي
يقولون إني قد تزوجت تسعة وإني واريتُ التراب رفاقي
وما أنا " عزريل " وليس بها هم تزوجت ، لكن كان ذاك بمالي
وتلك فداديني الثلاثون كلما تولى رجال جئنني برجال

وتستعرض الست هدى أزواجها واحداً واحداً فلا تثني خيراً إلا على زوجها الأول - الذي ستوصي قبل وفاتها ببعض مالها لابنته - أما بقية ازواجها فكلهم تزوجوها طمعاً في مالها . فهي تقول عن (علي) زوجها الثاني :

وزوجيَ الثاني " علي " لم يكن يصلح لي
يا ليتني لم أقبل
ذاك ، لمالي اختارني واخترتُه لماله
ما كان إلا مفلساً وقعت في حباله
يرحمه الله ، وكان ذا بَخَرْ وكان إن يقعد وإن يقم نَخَرْ
وإن مشى تخرج أصوات أُخَرْ
يرحمه الله لقد عشنا معاً من السنين الصاخبات أربعا
ثم مضى لربه لا رجعا

رحمـــــة الله عليـــــه — جـــنَّ بالنســل جنونـــا
ثـــم لمـــا مـــات ، مـــا — خلـــف لي إلا ديونـــا

وتقول عن زوجها الرابع وكان أديباً :

ولست أنسى زوجي الرابعا — لا نافعا كان ولا شافعا
قالوا : أديب لم يروا مثاله — ولقبوه الكاتب البارعا
قد زينوه ليَ ، فاخترته — ما اخترت إلا عاطلاً ضائعا

ثم تزوجت الست هدى بنقيب (يوزباشي) اسمه " قمر" ولم يكن حظها معه بأسعد من حظها مع سابقيه فهي تذكره بكل شر وتدعو عليه بألا يرتقي إلى رتبة رائد (صاغ) فتقول عنه :

لا عفا الله عنه ، لا غفر الـــ — ـله له ، لا ارتقى ارتية " صاغ "
لا عفا الله عنه ، قد كان لصاً ، — لم يردني لكن أراد " مصاغي "

وتحكي هدى لصديقتها عن سبب كراهيتها للنقيب " قمر " . فقد أحبته من جانبها حباً حقيقياً . ولكنه كا سكيراً مقامراً فلم يكن يهمه منها إلا أن يأخذ من مالها ليشبع نزواته :

لحاه الله كان منى فؤادي — وفاكهتي وريحاني وراحي
وكنت أحبه ويحب طيني — ويحلم بالقلادة والوشاح
وكان مقامراً شرِّيبَ خمر — يجيء البيت في ضوء الصباح
يكاد إذا تورط في قمار — يقامر بالنجوم وبالسلاح

ثم تحكي الست هدى عن زواجها بأحد الموظفين وتصفه بأنه كان " نظيف الجيب " كناية عن فقره :

وعشـــت عـــامين دون زوج   ثـــم تزوجـــت بالموظّـــف
لم أنســه منــذ مــات يومــاً   ما كان أبهى ! ما كان أظرف !
كــان خفيفــاً وكــان حلــواً   ومــن نسـيم الربيــع ألطــف !
مــا كنــت أدري إذا تولــى   أجيبــه أم قفــاه أنظــف ؟؟

وقد كان إلى جانب فقره مغروراً يحلم بأن يكون يوماً وزيراً كبيراً :

رحمــــــة الله عليــــــه   كــــان "جخّاخــاً "كبــيرا
كــل يــوم يــدع البيـــ   ـــت رئيســاً أو وزيــرا
ثـــم لا يرجـــع لي إلا   كـــما كـــان صغـــيرا

[جخّاخاً = كذاباً فشّاراً]

وتنتقل الست هدى إلى زوجها الآخر (الشيخ عبد الصمد) ثم إلى زوجها من بعده وكان مقاولاً اسمه " مهدي " ... إلى أن تصل إلى زوجها الحالي وهو " عبد المنعم المحامي " وهو رجل سكير لا يكاد يفيق .

وفي نهاية حديثها عن كل زوج تختم قصتها عن كل منهم بهذين البيتين

عشـت مـع الشـيخ نصـف عـام   وكـان عمـري عشريـن عامـا
ومـــات واختـــارني ســـواه   مـن ذا يـرى فعلتـي حرامـا ؟

أو بمثل هذين البيتين :

عشـــنا ثلاثـــاً ثـــم افترقنـــــا   وكـــان عمـــري عشريـــن عامـــا
طلقنــــي فالتمســـــت زوجـــاً   مـــن ذا يـــرى فعلتـــي حرامـــا ؟

وهكذا كانت في كل مرة من مرات فراقها لأحد الأزواج بالموت أو الطلاق بنت عشرين عاماً لا تزيد . وترد عليها جارتها زينب في نهاية كل قصة :

أجـــل تعيشـــين وتدفنينـــــا   حتـــى تصـــيبي مـــنهم البنينـــا

الفكاهة في شعر "حافظ إبراهيم"

لم يكن "حافظ إبراهيم" من المكثرين في نظم الشعر الفكاهي، على الرغم مما عُرف عنه -في حياته الخاصة- من نوادر كثيرة تنمّ عن خفة ظل مطبوعة. ولا نعرف سبباً لقلة الفكاهة في شعره -إذا ما قورن بنظيره "أحمد شوقي"- إلا أن يكون الشعر في نظره أرفع قدراً من أن يُساق للتفكّه، والتندر. فالقارئ إذا تأمل ديوان "حافظ" لم يكد يعثر إلا على تلك الأبيات أو القصائد الإخوانية التي تمثل أقل جزء من أجزاء الديوان.

ولكن حافظاً -على أية حال- كان إذا أراد الفكاهة أبدع، شأنه في ذلك شأنه في شعره الجادّ الهادر الذي كان يجلجل في أمسيات القاهرة في الثلث الأول من القرن العشرين.

فمن تصويره الفكاهي البديع هجاؤه لرجل عظيم البطن، فهو يصفه بأنه يعطل سير أسلاك الكهرباء التي تحار إذا أرادت أن تتخذ لها طريقاً في (كرشه) الضخم مع أنها غالباً لا تعوقها أية حواجز:

عطّلت فنّ الكهرباء فلم تجد ... شيئاً يعوق مسيرها إلاكا
تسري على وجه البسيطة لحظةً ... فتجوبها،وتحار في أحشاكا

ويهجو بائع كتف فيصف وجهه بأنه: صفيق سميك، لا تستطيع العنكبوت أن تتخذ لها بيتاً فوقه؛ لأنه أملس بارد. كما أنه من برودته لا يكاد يحترق إذا مسته النار. فهو يقترح على صاحبه أن يقدّ من وجهه أغلفة للكتب التي يبيعها. فيقول

أديم وجهك يا زنديق لو جعلت ... منـه الوقايـة والتجليـد للكتـب
لم يَعْلُهـا عنكبـوتُ أينما تُركـتْ ... ولا تخـاف عليهـا سـطوةُ اللهـبِ

ومن روائع فكاهات حافظ إبراهيم تلك القصيدة التي ألقاها في حفل تكريم أقامه نادي طنطا للشاعر القاضي حفني بك ناصف عام ١٩١٢ بمناسبة نقله من القضاء إلى وظيفة مفتش بوزارة المعارف. وكانت آنذاك من كبريات الوظائف

وكانت روح الدعابة والفكاهة عاملاً مشتركاً يجمع بين حافظ بك وحفني ناصف بك. ولعل هذا ما شجع حافظاً على أن ينطلق في هذه القصيدة على سجيته كما يبدو من مطلعها حيث يقول مخاطباً يوم تكريم صاحبه فيقول : إنك أيها اليوم السعيد قد شحذت همتي، وأرهقت مشاعري:

يـا يـوم تكـريم حفنـي ... أرهفـتَ للقـول ذهنـي
فيـا قـريض أجبنـي ... ويـا بيـان أعِنِّـي

وبعد أن يمدح صاحبه بما يلائم المناسبة، ويصفه بأنه عالم جهبذ ضرب في كل علم بسهم، ويمتدح شعره الرقيق، ونثره الدقيق، وفكره الثاقب، ينتقل إلى روح

المرح فيقول إنه لولا مسكة من حياء وعقل ودين لدعا حضور إلى تناول الخمر احتفالاً بهذا اليوم السعيد في خمّارة (يني) الشهيرة:

لـــولا الحيـــاء ولـــولا ... دينـــي وعقـــلي وســـني
لقمـــت في يـــوم حفنـــي ... أدعـــو لســـكرة (ينّـــي)
ولا أقـــــول لحفنـــــي ... مـــا قيـــل قـــدماً لمعـــن

وهو في هذا البيت الأخير يشير إلى قصة مشهورة في كتب التراث مفادها أن شاعراً عربياً أراد أن يختبر حلم معن بن زائدة الشيباني. وكان مشهوراً بحلمه فجاءه مادحاً فلما أدخل عليه وسُمح له بالإنشاد قال:

أتَـذْكُرُ إذْ لحافُـك جلـد شـاةٍ ... وإذ نعلاك من جلد البعير؟

فقال معن: نعم. أذكر ذلك يا أخا العرب!!

فقال الشاعر:

وفي يمنـــاك عكـــاز طويـــل ... تذود به الكلاب عن الهرير؟

فقال: نعم، وإنه كعصا موسى.

فقال الشاعر:

وتأوي كل مصطبة وسوقٍ ... بلا عبد لـدنك ولا وزيـر

فقال معن: نعم. أذكر ذلك.

وظل الشاعر يعدد لمعن أيام فقره وجوعه، ومعن يتقبل ذلك بحلم وأدب جم، حتى انتهى من أبياته مادحاً وأثابه معن ثواباً حسناً.

ولكن حافظاً لم يبر بوعده، بل ذكّر صاحبه حفني بك ناصف بماضيه في الأزهر، حين كان مجاوراً يعاني من مشقة دروس الأزهر فيقول مشيراً إلى كتب المجاورين التي تفيض بالشروح والمتون والحواشي:

لا تنس عيشاً تولى ... ما بين شرحٍ ومتن
ولّى شبابك فيه ... ما بين مدٍّ وغنٍّ
وذقت من (جاء زيدٌ) ... ومن شروح (الشُّمنيّ)
ومن حواشي الحواشي ... على متون (ابن جني)
ما لم تذقك الليالي ... قلبن ظهر المجن

[المد والغن: من الطرق الشائعة في نطق الحروف عند طلاب الأزهر و (جاء زيد) من أشهر الأمثلة في تعلم النحو العربي، والشمني فقيه حنفي توفي عام ٨٧٢هـ ممن تدرس مؤلفاتهم في الأزهر، وابن جني (ت٣٩٢هـ) من علماء اللغة القدامى المشهورين]

ثم يذكّر حافظ إبراهيم صاحبه بأيام مجاورته في الأزهر مع صديقه سلطان محمد [الذي أصبح فيما بعد صاحب لقب بكوية أيضاً، بعد أن عين أستاذاً بدار العلوم التي تخرج فيها] ومعاناتهما من أكل المش وقصع القمل الذي أرعض حافظ عن ذكره فقال:

أيـــام ســـلطان يلهـــو بمِشِّـــــه ، ويغنـــي
يبـــت يقصـــع مـــا لم أســـمِّه أو أكنِّـــي
يشـــكو إليـــك وتشـــكو إليـــه، عيشـــة جـــبن

ويصـور لنـا حـافظ كيـف كـان المجـاورون يعـانون مـن صداقة الجبن والمش ويتوقون إلى اللحم والدهن فلا يجدون إليهما سبيلا فيقول : إن سلطان محمد كاد يدعو حفني ناصف لقتله يأساً من تذوق اللحم فيقول:

أيـــام يـــدعوك: "حفنـــي مـــن . . أجـــرني"
هـــات المســـدس إني ســـئمت مشي وجبنـــي
مـــن لي بـــدرهم لحـــم عليـــه حبـــة ســـمن
قرمـــت والله حتـــى صـاحت عصـافير بطنـي
أيـــام عيـــدُك يـــومٌ تفـــوز فيـــه بـــدهن

ومـن إخوانيـات حـافظ الفكاهيـة مـا كتبـه إلى صديقه حامـد سرِّي وكـان موظفاً بـوزارة الزراعة، ومـن جيران حـافظ بمسكنه بـالجيزة. وقد أقـام حـامد سـري حفلاً تناول فيه ضيوف الحفل طعاماً شهياً، ونسي أن يدعو صديقه حافظ إبراهيم فكتب إليه عاتباً مهدداً بأنه سيشكوه لـوزير الزراعـة، ولمستشار الـوزارة. لأنـه اهـتم بدعوة صهره المدعو مصطفى الخولي ونسي جاره حافظاً فقال جافظ:

أحامـــد كيـــف تنســـاني وبينـــي وبينـك يـا أخـي صـلة الجـوار

سأشكو للوزير فإن تواني ... شكوتك بعده للمستشار
أيشبع مصطفى الخولي وأمسي ... أعالج جوعتي في كِسْرِ داري
وبيتي فارغٌ لا شيء فيه ... سواي وإنني في البيت عاري
ومالي جزمةٌ سوداء حتى ... أوافيكم على قرب المزار
وعندي من صحابي الآن رهط ... إذا أكلوا فآسادٌ ضواري

وفي نهاية القصيدة يهدد حافظ إبراهيم صديقه وجاره بأنه ينتظر منه تكفيراً عن نسيانه – مائدة حافلة بأطايب الطعام يزينها خروف صغير متبل محمّر مغطاة بصنوف من الحلوى الشهية. ولئن لم يفعل فلينتظر هجاء قاسياً وتنديداً عنيفاً ببخله وتصيره في حق جاره وصاحبه:

فإن لم تَبْعَثَنَّ إليّ حالاً ... بمائدة على متن البخار
تُغطِّها من الحلوى صنوف ... ومن حمل تتبل بالبهار
فإني شاعرٌ يخشى لساني ... وسوف أريك عاقبة احتقاري

وهناك قصيدة شهيرة لحافظ إبراهيم مطلعها:

لي كساءٌ أنعم به من كساء ... أنا فيه أتيه مثل الكسائي

امتدح فيها حافظ كساءه الجديد، وعدّد مزاياه، ووصف أناقته ورقته وفخامته، وتأثيره في عيون الناس، ودعا لكسائه الجديد بطول العمر والوقاية من الحسد فقال:

لا أحالتْ لك الحوادث لوناً   وتعدتك ناسجات الجواء
غفلت عنك للبلى نظراتٌ   وتخطتك إبرة الرّفّاء

ثم وصف بدلته القديمة التي صاحبته قبل هذا الكساء الجديد، وكيف طال عليها الأمد فتغيرت ألوانها كما تغير الحرباء ألوانها، حتى كانت تذكيراً مستمراً لأصدقتئه بطيلسان ابن حرب الذي وصفه شعراؤنا القدامى وقالوا عنه الكثير ويختتم حافظ رثاءه لبدلته الهالكة بأبيات خرجت من حلاوة الفكاهة إلى مرارة العتاب للمصريين الذين يقيسون المرء بمظهره لا بمخبره. فيقول:

صحبتني قبل اصطحابك دهراً   بدلةٌ في تلون الحرباء
نسبوها لطيلسان (ابن حرب)   نسبة لم تكن بذات افتراء
كنت فيها إذا طرقت أناساً   أنكروني كطارق بن وباء
كسف الدهر لونها واستعارت   لون وجه الكذوب عند اللقاء
يا ردائي جعلتني عند قومي   فوق ما أشتهى وفوق الرجاء
إن قومي تروقهم جدة ثو   ب ولا يعشقون غير الرواء
قيمة المرء عندهم بين ثوب   باهرٍ لونه وبين حذاء
قعد الفضل بي وقمتَ بعزي   بين صحبي، جزيت خير الجزاء

وكان حافظ مدعواً لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بحديقة الأزبكية. وعند دخوله أراد أن يداعبه، فطلب منه التذكرة، فقال له إنه حافظ

إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة. فزعم المشرف أنه لا يعرفه، وعليه أن يثبت شخصيته ببيتين يرتجلهما.

فضحك حافظ وقال له: لم أر أخبث منك مشرفاً . . وارتجل هذين البيتين

رياض الأزبكية قد تحلت   بأنجابٍ كرامٍ أنت منهمُ
فهبها جنة فُتحت لخيرٍ   وأدخلْنا مع المعفوّ عنهم

وضحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك . .!!! .

ولما تولى السيد/ محمد الببلاوي رياسة نقابة الأشراف بمصر، ذهب إليه "حافظ إبراهيم" يزوره عام ١٩٢٠ فلم يُسمح له بالدخول إلى نقيل الأشراف الذي كان إلى عهد قريب زميلاً لحافظ في دار الكتب المصرية.

فكتب إليه "حافظ" أبياتاً يعاتبه فيها ويذكره بزمالتهما القديمة في العمل ويقول له إنه لو زار (البابا) -رئيس النصارى- أو (الباب) -رئيس طائفة من الفرق الشيعية- لانفتحت له أبوابهما، فلما يُحال بينه وبين لقاء الحسيب النسيب نقيب السادة الأشراف، ويذكر "حافظ" لصديقه أنه شريف فلا تجوز عليه الصدقة خوفاً من أن يكون صاحبه قد ظن أنه جاء يطلب صدقة. ويهدد صاحبه في آخر الأبيات بأن هذا آخر العهد بينهما فيقول حافظ:

قد كان بابك مفتوحاً لقاصِدِهِ   واليوم أوصد دون القاصد الباب
هلا ذكرت(بدار الكتْبِ) صحبتنا   إذنحن رغم صروف الدهرأحباب

لـو أننـي جئـت (للبابـا) لأكرمنـي وكـان يكرمنـي لـو جئتـه (البـاب)
لا تخـش جـائزة قـد جئـت أطلبهـا إني شريـف ولـلأشراف أحسـاب
فاهنأ بمانلت مـن فضـل وإن قطعـت بيـني وبيـنك بعـد اليـوم أسباب

على أن أروع ما نظم "حافظ" في الفكاهة -في رأينا- تلك الأبيات التي قالها في صديقه الدكتور محجوب ثابت الطبيب السياسي الشهير، وكان ذلك في منزل الزعيم سعد زغلول باشا.

وكان محجوب ثابت معروفاً بلوازمه الغريبة مثل حصانه الذي أطلق أصدقاؤه عليه اسم (مكسويني) -وهو اسم بطل أيرلندي شهير مات منتحراً جوعاً كناية عن أن صاحبه يقسو عليه بتجويعه، وكان يجوب به شوارع القاهرة، ويغشى به المنتديات الأدبية والسياسية والمقاهي.

على أن أغرب لازمة من لوازمه كانت تلك (القافات) الكثيرة التي تشيع في كلامه، والتي اتخذ منها "شوقي وحافظ والأسمر" وغيرهم من شعراء عصرهم أسلوباً للسخرية من صديقهم "محجوب ثابت". قال "حافظ إبراهيم":

يُرغِـي ويُزبِـدُ بالقافـات تحسـبها قصـف المـدافع في أفـقِ البسـاتين
مـن كـل قـافٍ كـأن الله صـوّرها من مـارجٍ النـار تصوير الشياطين
قد خصه الله بالقافات يـعلِـكُهـا واختص سُبحانه بالكاف والنونِ

ويتحدث حافظ عن غرائب محجوب ثابت حين يخطب في جمعٍ من الناس فينتقل من موضوع إلى موضوع، ومن فكرة إلى أخرى، ومن بلدٍ إلى بلدٍ؛ حتى يرهق

مستمعيه. وهو لا يفعل ذلك عن غباء أو سكر؛ وإنما هي العبقرية الفذة، والإبداع الغريب:

يغيبُ عنه الحِجَا حِيناً ويحضُرُهُ   حيناً فيخلط مختلاً بموزون
لا يأمنُ السامعُ المسكين وثبته   من (كردفان) إلى أعلى (فلسطين)
بينا تراه ينادي الناس في (حلبٍ)   إذا به يتحدى القوم في (الصين)

ويذكر حافظ تلك الرؤى والأحلام التي كان محجوب ثابت يعيش فيها دائماً، فقد كان معروفاً عنه أنه يرى دائماً أحلاماً وردية، ولا يملّ من تكرارها على مسامع أصدقائه. وكانت أحلامه تتراوح بين عضوية البرلمان، وكرسي الوزارة، أو الزواج من فتاة بكر لعوب غنية، فيقول حافظ:

يبيت ينسج أحلاماً مذهّبة   تغني تفاسيرها عن (ابن سيرين)
طوراً وزيراً مشاعاً في وزارته   يصرف الأمر في كل الدواوين
وتارةً زوجَ عطبُولٍ خُدجَّةٍ   حسناء تملك آلاف الفدادين
يُعفَى من المهر إكراماً للحيته   وما أظنه من دنيا ومن دين

الفكاهة في شعر عبد الحميد الديب

عبد الحميد الديب (١٨٩٨-١٩٤٣م) الذي لقب حياً وميتاً بشاعر البؤس هو واحد من أشهر الشعراء الصعاليك في القرن العشرين ، إذا أخذنا الصعلكة بمفهومها الحديث وهو : يعني التشرد وعدم الاستقرار النفسي والاجتماعي ، وضنك العيش ، والتصادم المستمر مع الحياة والأحياء .

أما المفهوم القديم للصعلكة الذي يعني قطع الطريق واغتيال ثروات الأغنياء لتوزيعها على المحتاجين كما كان يفعل الشعراء الصعاليك الأقدمون مثل عروة وتأبط شراً وغيرهم فلم يعد لها وجود .

على أن صعلكة عبد الحميد الديب وتشرده وحياته النكدة التي عاشها لا تعود إلى سبب واحد ، بل إلى سببين ، أولهما تلك النشأة الاجتماعية الخشنة التي جُوبه بها في طفولته ، فقد كان أبوه جزاراً قروياً فقيراً يعول أسرة كبيرة ، فلم يظفر شاعرنا بشيء من الاهتمام ولا ذاق طعم النعيم الذي كان يراه في حياة أثرياء قريته (كمشيش بالمنوفية) فهذا سبب خارج عن إرادته ، لأنه نشأ مرغماً في هذه الأسرة الفقيرة التي لابد له في اختيارها ، وإنما هي قدره الذي شاء له الله تعالى أن ينشأ فيه.

أما السبب الثاني لصعلكته فهو متعلق به هو ، فقد كان أبوه على الرغم من ضيق يده ، حريصاً على تعليم ابنه فلما أتم صاحبنا حفظ القرآن وتجويده في سن مبكرة أرسله – على عادة أهل الريف في ذلك الزمان – إلى المعهد الديني بالإسكندرية

حيث نال منه شهادته المتوسطة ثم أرسله أبوه إلى القاهرة بعد ذلك عام ١٩٢٠م ليستأنف تعليمه العالي في الأزهر . وهنا بدأ انحراف عبد الحميد الديب عن الطريق السويّ الذي سلكه نظراؤه من الذين سارت بهم مواكب الحياة سيرتها التقليدية فأتموا تعليمهم والتحقوا بوظائف حكومية كفلت لهم حياة كريمة .

ويبدو أن لنفسية الديب المتمردة ، وشخصيته الثائرة ، أثراً في تغيير مسار حياته ، فقد قضى شطراً من عمره في الأزهر ثم يمم شطر دار العلوم التي كانت آنذاك قبلة الأدباء ومحط رحال الشعراء والمبدعين ، غير أنه أكبّ على كتب الأدب والتراث في دار الكتب يلتهمها التهاماً ، وأهمل دراسته ، حتى التقى ذات يوم بالمطرب الشهير سيد درويش الذي أعجب بعبقرية صاحبنا فأخذه ليعيش معه في قصره الفخم ويشاطره حياته المترفة إلى أقصى حدود الترف .

وعاش صاحبنا مع سيد درويش لاهياً عن كل شيء إلا الفن والحياة الصاخبة ، فضيّع دراسته ، ومستقبله . ولم يطل به العهد بالنعيم فقد مات سيد درويش فجأة وهو في عنفوان الشباب عام ١٩٢٣م وطُرد صاحبنا من القصر الفخم إلى الشارع فاستأجر لنفسه غرفة حقيرة في حي الحسين الشعبي بالقاهرة وبدأت حياته مع التسكع والكدية والصعلكة على نحو استمر حتى وفاته عام ١٩٤٣م .

وقد يبدو التماس جوانب للفكاهة في حياة كئيبة كهذه الحياة ضرباً من المستحيل ، لكنّ ذلك في الحقيقة ليس مستحيلاً إذا استعان الباحث في شعر الديب بشيء من الصبر والأناة ، فمثل هذا الشاعر البائس المتمرد لا تخلو روحه من الدعابة والسخرية ، بل لعل السخرية من لوازم التمرد والتصعلك وهذا ما نلمسه في شعره

حين يصور لنا حياته البائسة في غرفته تلك الحقيرة التي عاش فيها والتي كانت تشبه جحراً بل كان يسميها (جحر الديب) وفيها يقول :

أفي غرفتي يا رب أم أنا في لحد ؟ — ألا شدّ ما ألقى من الزمن الوغد
لقد كنت أرجو غرفة فأصبتها — بناءً قديم العهد أضيق من لحدي
فأهدأ أنفاسي يكاد يهدها — وأيسر لمس في بنايتها يُردي
أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها — فأرجله أمضى من الصارم الهندي
تساكنني فيها الأفاعي جريئة — وفي جوها الأمراض تفتك أو تعدي

ثم يصف أثاث هذه الغرفة وصفاً مضحكاً . فهذا الأثاث ليس في حقيقته إلا شاعرنا نفسه !!

فهو لا يملك إلا معطفاً يفترشه صيفاً ويتغطى به شتاءً . ويتخذ لنفسه وسائد من أوراق الصحف يغطي بها حجراً صلداً حتى يلين قليلاً ليصلح وسادة وهو في حياته هذه يشبه المهاتما غاندي الذي عزف عن متاع الدنيا الزائل وعاش زاهداً يقول الديب :

تراني بها كل الأثاث ، فمعطفي — فراش لنومي أو وقاء من البرد
وأما وساداتي بها فجرائد — تُجدَّد إذ تبلى على حجر صلد
تعلمت فيها صبر أيوب في الضنى — وذقت هزال الجوع أكثر من غاندي

وعلى الرغم من هذه الحالة المزرية التي يقدم لنا فيها الشاعر صورة غرفته القذرة فإنه يحكي لنا عن تلك المعارك الضارية التي تشتعل أول كل شهر بينه وبين صاحب البيت بسبب أجرة البيت التي كانت ثمانين قرشاً هي بالنسبة لشاعرنا نكبة النكبات وأزمة الأزمات يقول الديب :

ثمانــون قرشــاً أهلكتنــي كأنهــا ... ثمانــون ذنبــاً في ســجل عــذابي

طويــت لهــا الــدنيا ســؤالاً وكُديــة ... فــما ظفــرت نــفسي بــرد جــواب

لُعنــتَ كِــراءَ البيــت كــم ذا أهنتنــي ... وأذللــت كــبري بــين كــل رحــاب

لأجلــك إمــا أن أبيــع كرامتــي ... وإمــا أفــديها ببيــع ثيــابي

ففــي كــل شــهر لي عــواء بموقــف ... يباعــد عنــي أسرتي وصــحابي

وطـول ليـالي الشـهر يهتـاج مضجعي ... مخافــة رب البيــت يغلــق بــابي

يطــالبني في غلظــة فأجيبــه ... إجابــة مــن يرجــو يــدا ويحــابي

ألا ســكن ملكــي ولــو بجهنــم ... وأكفــي مــن الأيــام شر حســابي

ويصور لنا عبد الحميد الديب كيف كان صاحب البيت يهينه إذا تأخر في دفع كراء الغرفة ، ويعيره بفقره وبأن غرفته خالية من أي أثاثات يمكن الحجر عليها إذا ما شكاه صاحب الدار إلى الشرطة . فلا شيء يملكه الشاعر يمكن احتجازه رهناً مقابل الإيجار الضائع . وهذه المعايرة تتكرر أول كل شهر وشاعرنا لا يقف ساكناً ذليلاً ، وإنما يرد الكيل لصاحب الدار فيعيره بأن بيته حقير لا فرق بينه وبين القبر . وإذا كان في جيبه مال تعمد أن يضع يده في جيبه فيضرب بعضه

ببعض فما أن يسمع صاحب الدار رنين النقود حتى تنقلب حاله . ويخف من غلوائه ويتودد إلى شاعرنا في لطف وحنو فيذكِّره بحب اليهود للمال وتكالبهم عليه يقول الديب :

صحوت على قصف الرياح وصوته ... وما أحدث الطرق الخليع من الجرس

يطالبني بالأجر في غيظ دائن ... تصيده المحتال بالثمن البخس

وقال يداري ظلمه : أي ضامن ... لسكني تعرت عن سرير وعن كرسي؟

أراك بها كل الأثاث ولا أرى ... سوى قلم ثاو على الأرض أو طرس

فقلت له : هذي جدودي كما ترى ... فما سكني في البيت بل أنا في رمس

وقلت معاذ الدين ما كنت مرة ... غريماً ولا أذللت يومي ولا أمسي

ويغوص الديب في النفس الإنسانية القذرة التي أعماها حب المال فسلبها الحس المرهف والإنسانية الشاعرة ، فإذا هي أما المال تنقلب من حال الذئب الضاري إلى حال الحمل الوديع :

وأخضع فقري كبره وثراءه ... وأي غنًى للمرء غير غنى النفس

إذا كانت السكنى بأجر مذلة ... فما أرحب المجان في غرف الحبس

فإني أرى فيها الطعام ، ولا أرى ... غريما يلاقيني بعارضة النحس

وإن لم أجد فيها الطعام ميسراً ... فإني رخي البال ... أطعم من حسي

وتأبى أقدار الحياة إلا من السخرية من شاعرنا فتسوق إلى غرفته تلك المتهالكة لصّاً يسرقها ، فلا يجد إلا لحافاً ممزقاً هو كل ما يملك شاعرنا من أسباب

النعيم . فيبكي شاعرنا لحافه الوحيد فيقول ساخراً أنه لا يحزن على فقد اللحاف بقدر حزنه على هلهلة سمعته فاللحاف في حال لا تسر عدواً ولا حبيباً . فهو يخشى الفضيحة إذا قيل : هذا لحاف إنسان !! . ويعتب صاحبنا على اللص الذي يعتبره أخاً في المحنة . وصديق شدة كان حرياً به - والحال كذلك - أن يرأف به ويترك له لحافه يقول الديب :

لحافي ،وهل غير الهباء لحافي ؟   بقية نسج دارس ونداف
أطاف به لص فقير كعيشتي   فيا بؤسها من هجرة ومطاف
ولم أخش من ذا الرزء إلا فضيحتي   بأني قد مُلِّكْتُ شر خاف
فليتك يا لصي الجريء وجدتني   غنياً وسعدي في الحياة موافي
ويا ليتني ما كنت صيدك إنما   سرقت لحافي جاهداً وشغافي
ويا ليتني دون اللحاف ضحية   فإني صديق في الحياة موافي

ومن ألطف نماذج الفكاهة في شعر عبد الحميد الديب . تلك المقطوعات التي هجا فيها بعض أصدقائه هجاءً مقذعاً استلهم فيه قول جرير : (إذا هجوتم فأضحكوا) . فها هو ذا يصور لنا صديقه اللدود الشاعر الصحفي كامل الشناوي ببدانته المعروفة وهو يجلس جلسة صفاء وبجانبه غادة حسناء يحاول تقبيلها فتنفر منه لأنها أكرهت على مجالسته طمعاً في ماله أو في كأس تنالها في صحبته فيقول الديب واصفاً كامل الشناوي :

يصــول عـــلى زجـــاج عبقـــري ... يكـــاد ببطنـــه الكـــبرى يـــلالي

وبـــين يديـــه واحـــدة العـــذارى ... شرى يـــدها بكـــأس أو بـــمال

تغمغـــــم إذ يقبلهـــــا استيـــــاءً ... لأن الفيـــل يعبـــث بالغـــزال

ويشجر خلاف بين شاعرنا وبين شيخ معمم أمام (بار اللواء) ينتهي بمعركة حامية بينهما يشتبكان فيها بالأيدي ثم تتمخض هذه المعركة عن قصيدة يهجو فيها شاعرنا ذلك الشيخ ويتخذ من العمة (= العمامة) التي يرتديها الشيوخ وسيلة للغمز في ذمة صاحبه فهو يتهمه بأنه فاسد الدمة . يتخذ هذه العمامة مظهرا من مظاهر النفاق والنصب على الأبرياء بالرياء فهو يتكسب منها بالغش والزور وقد تبدلت بها حاله من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش :

عِمـــة تحتهـــا ضـــلال ولـــؤم ... وهـــي عـــش الخنـــا وبيـــت الـــداء

نســـجت مـــن ســـفاهة وفســـوق ... وعـــلى الخســـة انطـــوت والريـــاء

أطعمـــت ربهـــا زجاجـــاً حنيـــذا ... وســـقته " الكونيـــاك " بعـــد المـــاء

ويدافع صديقاه الشاعران كامل الشناوي وعلى محمود طه عن ذلك الشيخ بقصيدة يشتركان في تأليفها وينشرانها فيرد الديب عليهما ويمعق في وصف ذلك الشيخ وصفاً تهكمياً بليغاً فيقول :

خلـــيليَّ لم أظلـــم وإن بـــت ظـــافراً ... وقد تضعف الأضغان من كان قادراً

ألم تريـــا ذا الشـــيخ في طـــول نخلـــة؟ ... عـريض القفـا فينـان كـالفرع نـاضراً

ألا لا تلومـــاني عـــلى صـــفع وجهـــه ... فـذلك وجـهٌ يقبـل الصـفع صـاغراً

فقـــدمّا رأينـــاه وللعـــين أختهـــا   فأمسى مكان العين بالضرب شاغراً

على أن شاعرنا إذا هجا لم يكن في جميع الأحوال مضحكاً بل كان هجاؤه يصل أحياناً إلى حد من الغلظة كبير . فقد حدث أن زار أديباً كان وزيراً معروفاً في الأربعينيات ، وكان مشهوراً بعطفه على الأدباء والشعراء ، فلم يتمكن من مقابلته بسبب صاحب له غليظ القلب ساءه أن يدخل رجل زريّ الهيئة مثل الديب على سيده الوزير فاشتد ذلك على الديب فقال يهجو الوزير وخادمه في شعر لخفة الظل فيه :

قصـــــدت إلى بابـــــك الموصـــــد   فطـــوردتُ بالخـــادم الأســـود
غـــلام يمثـــل حظـــي لـــديك   وقلبـــك في البيـــت والمعبـــد
كـــأني حـــين طلبـــت النـــدى   إليـــك طلبـــت يـــد المعتـــدي
لقـــد عشـــت يـــا رب حتـــى رأيـــ   ـــت من النـاس أقسى من الجامـد
فخـــذني إليـــك وأنـــت الكريـــ   ـــم فقـد ضـقت بـالزمن الأنكـد
ولســـت أرى البـــؤس عـــاراً إذا   رأيـــت إبـــائي بـــه مُسعـــدي

ومن المواقف الفكهة الطريفة في حياة شاعرنا ذلك الموقف الذي صار فيه شاعرنا موضع سخرية ماجنة من صديقه الفنان سيد العقاد الذي وعده بسهرة ممتعة فسار معه في الطريق وفجأة تعلق العقاد بالترام بجواره فانطلق به ، وترك شاعرنا مذهولاً فتلقفه صديقان له ، فحكى لهما ما صنع به سيد العقاد فأخذاه ليطعماه ويسقياه ، فلما وصلا إلى حجرة أحدهما ادعي الإفلاس وجمع له زجاجات

خمر فارغة ليرهنها عند (كركور) وهو صاحب خمارة كان معروفاً لهم . ويشتري بالرهن طعاماً وشراباً . ودسّ صديقه بين تلك الزجاجات زجاجة زيت خروع فارغة وقد اكتشف (كركور) الخدعة ومع ذلك فقد أعطى الديب ما أراد من مال فقال شاعرنا يذكر هذا الموقف :

وبعنا زجاجات الطِّلا بعد شربها	لنظفر من أثمانها بكؤوس
فيوماً شربناها بعين وفضة	ويوماً شربناها ببيع نفوس
وشِمنا من " العقاد " أنذل باخلٍ	يضن لدى البلوى بنفل فلوس
جزى الله " كركوراً " معيناً فإنه	أضاء ببشر الخمر ليل عبوسي
وبدل ماء الخلد حزني بشاشة	ففارقني كربي وشدة بوسي

وهكذا عاش الديب بائساً . ومات بائساً . ولم يرحم أصدقاؤه هذا البؤس بل كانوا يتخذونه مادة للسخرية . ووسيلة للاستهزاء . وكان شاعرنا يبادلهم احتقاراً باحتقار ويرد على بذاءاتهم ببذاءات أشد لا نستطيع ذكر نماذج لها في هذا المقال ...

السخرية السياسية في شعر محمد الأسمر

تميز الشاعر "محمد الأسمر" (١٩٠٠ - ١٩٥٦م) من بين شعراء جيله بقدرة فائقة على الإبداع في مجال الشعر الفكاهي الساخر وإن لم ينزلق إلى حد استعمال الألفاظ العامية كما فعل معاصروه ممن أبدعوا فن الشعر الساخر المسمى بالحلمنتيشي الذي اختلف عن غيره بهذا المزج المتعمد بين الألفاظ العامية والفصحى مع الحفاظ على الوزن سليماً، والقافية محكمة.

لكن شعر الشاعر الأسمر الفكاهي احتفظ بالمهابة التاريخية للقصيدة الخليلية ممثلة في جزالة الألفاظ، وقوة المطلع، والعناية بالمحسنات البلاغية التقليدية وإلى جانب ذلك، التزم الشاعر "الأسمر" ما التزمه معاصروه الشعراء من عدم التبذل الخلقي، واختار لشعره الفكاهي موضوعات ذات مضمون اجتماعي خلقي، وحتى في أشعاره الشخصية التي مثلتها تلك المداعبات الإخوانية بينه وبين أصدقائه لم يزل قلمه إلى الإسفاف والابتذال وكانت سخريته دائما "نظيفة" إن جاز هذا الوصف.

ومن روائع الشعر الفكاهي عن "الأسمر" ما خص به الحياة السياسية المصرية في عصره من سخرية مريرة، ونقد لاذع ، لما كان يسود تلك الحياة السياسية من تزييف وتزوير ومهاترات وسنختار منها مثالين:

الأول: انتخابات البرلمان:

تشكك الأسمر في جدوى الانتخابات النيابية . وكان في مصر آنذاك مجلسان : مجلس للنواب وآخر للشيوخ . وكان الأسمر يرى أن ما يجري في انتخابات المجلسين هو في الواقع "تمثيل" من السلطات الحاكمة على الشعب بدعوى اختيار "ممثلين" للشعب!! فليس هناك مجال لنجاح مرشح جاد يستطيع أن يعارض معارضة قوية، فالأمر لا يعدو كونه "تعييناً" مقنعاً، وإن تم في شكل انتخابات فهو يقول:

وقيل انتخابٌ قلتُ في الشكل وحده ... (كشوفُ) و(أصوات) وكلَّ مُعَيَّنُ
فما ناجحٌ إلا المرادُ نجاحهُ ... ولو أنّهُ كَلٌّ على الناس هَيِّنُ
لقد بات وادي (النيل) نَهْبا مقسَّما ... ولا تَطْلبوا البرهانَ فالأمرُ بيّنُ

هذه الانتخابات الزائفة تجر على البلاد بلاء كثيراً، وبخاصة إذا أدت إلى إثارة الفتن بين العائلات، وبث الشقاق الذي قد يتطور إلى نزاعات مسلحة يسقط فيها القتلى والجرحى والشاعر "الأسمر" يوجه خطابه في أبياته التالية إلى الأمة ساخراً من فهمها لمعنى الانتخابات ونتائجها، فالانتخابات غايتها اختيار نواب يتفقون ويختلفون حول قضايا مجتمعهم لكن اختلافهم لا يخرج عن حدود الكلام وتبادل الحجج ، أما أن يتحول الصراع إلى قتل وقتال فهذا مؤشر على سخف في تفكير الأمة، والتواء في فهمها للأمور، ودليل على انحدار مستوى الوعي السياسي لدى الأمة .

فيقول شاعرنا :

دمـــاءٌ بـــين أهليهـــا تســـيلُ ... فَقَـــاتلُهمْ وإن يســـلمْ قتيـــلُ
طريـــقُ البرلمـــان طريـــق ســـلمٍ ... قُصـــارى أمـــرِه قـــالٌ وقيـــلُ
وألفـــاظٌ يـــدبِّجُها خطيـــبٌ ... وتصـــفيقٌ كثـــيرٌ أو قليـــلُ
ففـــيم تخـــذتموهُ طريـــقَ حـــربٍ ... وفـــيمَ القتـــلُ والهـــمُّ الطويـــلُ؟!
فيالـــك أمـــةً ســـارت فضـــلَّتْ ... وقـــد وضـــحتْ لســـالكها الســـبيلُ

ولم يكن مثقفو مصر وأدباؤها وصحفيوها في تلك الأيام - الربع الثاني من القرن العشرين - بمعزل عن الحياة السياسية، فقد نجح الأستاذ عباس العقاد في دخول البرلمان ممثلاً للأمة وسجن تسعة شهور حين دافع عن الدستور في مواجهة الملك فؤاد في قصة مشهورة، كما كان الصحفي اللامع الأستاذ "فكري أباظة" برلمانياً مرموقاً لعدة دورات. وحدث ذات مرة أن رشح أربعة من مشاهير الصحفيين أنفسهم ونجحوا في الفوز بعضوية البرلمان وهم الأساتذة. "مصطفى أمين" وشقيقه "على أمين"، و"جلال الحمامصي"، و"كامل الشناوي". وكانوا جميعاً أصدقاء لشاعرنا "محمد الأسمر" فأرسل إليهم تهنئة شعرية ضمنها تحذيراً شديداً من التقصير في أداء واجباتهم في البرلمان ، وطالبهم بالوفاء بما وعدوا به ناخبيهم أثناء دعايتهم. وبأن يحذروا الكسل والخمول فقال مخاطباً إياهم:

تهنئـــاتي: ثـــم كونـــوا عنـــدما ... قلـــتمُ قبـــل دخـــول (المجلـــسِ)
واحـــذروا (الكـــرسيَّ) كـــم مـــرَّ بـــهِ ... مـــعشرُ غـــيرُكمُ ثُـــمَّ نُسي

لا تكونـــوا فوقـــهُ مثـــل الـــذي ... يحضرُ (الجلســـةَ) مثـــل الأخـــرس
أو كَمَـــــن يهتـــــفُ للــــزور به ... فـــإذا الحـــق بـــدا لم يَنْـــبِسِ
أو كَمَـــــن ثروتُـــــهُ تصـــــفيقُه ... وهـــي عنـــدي رأسُ مـــال المُفْلِـــسِ
أو كَمَـــن قيـــل لَـــهُ كُـــنْ فوقـــهُ ... صـــنماً، جئـــتَ هـــذا فـــاجلسِ
أو كَمَـــنْ يشـــتمُ قومـــاً ظالمـــاً ... فهـــو يَعـــوِي كعُـــواء الأطلـــسِ
أو كـــرهطٍ فوقـــه سِـــيماهُمُ ... عَـــدمُ الفهـــمِ، وهَـــزُّ الأرؤسِ!!
أو كَمَـــنْ نـــام بـــهِ لـــيس لـــهُ ... مـــن وجـــودٍ فيـــه غـــيرُ الـــنَّفَسِ!!
أو كعُرْيـــــان رآهُ متجـــــراً ... فهـــو فيـــه قاعـــدٌ كـــي يكـــتسي

ثانياً: كرسي الوزارة:

وقد وقف الأسمر من مقاعد الوزارة موقفاً متشدداً، كما فعل معاصره الشاعر الفكه "محمد مصطفى حمام" في قصيدته الشهيرة التي قالها على لسان وزير يخاطب الكرسي الذي "التصق" به حيناً من الدهر ومطلعها:

تقبلتنـــي بـــالرغم منـــك نـــزيلاً ... فلا ترجُ مني – الدهر – عنك رحيلاً
نشـــدتك يـــا كـــرسيُّ إلا صـــحبتني ... طـــويلاً ولم تخطـــب ســـوايَ خليـــلا
ولم تتـــبرم بالـــذي أنـــت حامـــلُ ... فـــإني لأخشـــى أن تكـــون ملـــولا
وإني لأخشـــى أن يُفَـــرِّقَ بيننـــا ... فتـــورثني حزنـــاً عليـــك طـــويلا
وتشـــمت بي خصـــماً يُـــروِّي نفوسَـــهم ... هـــواني ويشـــفي للصـــدور غليـــلا

أما "الأسمر" فلم يسلك مسلك حمام الشديد السخرية من نفسية الوزير المتشبث بكرسيّه، وإنما جاءت سخريته ذات طابع وطني عام، فلم يشغله أمر الوزراء بقدر ما شغله هذا التقلب المستمر والتغيير المتوالي للوزارات إرضاءً للقصر الملكي أو السفير البريطاني ولكنه لم يستطع الإفصاح عن كل ما كان يختلج في صدره من مشاعر فقال متحسراً على أحوال مصر آنذاك:

تَــــرُوحُ وزارة وتجــــيءُ أخـــرى ومصرُ تُقلِّـــبُ النظـــراتِ حــيْرى
تَشِــيمُ فـــلا تـــرى إلا بروقـــاً كـــواذبَ ربــما أمطـــرنَ جمـــراً
فيـــا وزراءَ مصرَ بكــــل عهــــدٍ لقــد مــلَّ الروايــةَ شــعب مصرا
أُجَمْجِـــمُ بالمقـــال وإن أشـــفى لـــنفسي أن أقـــول القــول جهـــرا
أروني شـــاعراً حُـــرًّا يُغَنِّـــي بـــما أهـــوى فلســتُ اليــوم حُــرّا
تَعَشَّـــقْنا وصـــالحنا وهمنـــا بهـــا ومصـــالح الأوطـــان أحـــرى
فَـــوَا حزنـــا لمصرَ جَـــرتْ رحيقـــاً لمعــــتصرٍ يُجَرِّعُهَـــا الأمــــرّا
عَجِبــتُ لهـــا، تفــيضُ بكـــل خــيرٍ ولا تَلْقَـــى عـــلى الأيـــام خـــيرا
بهـــا مـــا شـــئتَ مـــن قمـــحٍ وقطـــنٍ ولكنّـــا نجـــوعُ بهـــا ونَعْـــرى

ولكننا نراه في قصيدة أخرى يبدو أكثر جرأة، وأشد صراحة فهو يصف مقاعد تلك الوزارات بأنها تحمل وزراء هم في الحقيقة دمى يحركها اللاعبون بها كيفما شاءوا، بحيث إذا تخلوا عنها سقطت وتحطمت والإشارة هنا تأتي واضحة

إلى تدخل بريطانيا السافر في تأليف الوزارات التي تأتي وتذهب وفق مشيئة المحتل الغاصب، فيقول الأسمر:

وزراتٌ يُــــراحُ بهــــا ويُغــــدَى … فَقُـــلْ للحـــاملين لهـــا رُوَيْـــداً

دُمــىً خَــزَفٌ، وألـــواحٌ زُجـاجٌ … وإن لاحــــتْ حداتــــد أو أشـــدَّا

إذا يــــدُ ســــانديها أغْفَلتْهـــا … تَبــدَّى أمرُهـــا فـــيها تبـــدى

هَـــوَتْ فـــإذا بهـــا مـــتحطمات … ولـــو لبســـتْ مـــن الفـــولاذ سَرْدا

و يوجه الشاعر "الأسمر" خطابه صريحاً إلى السفير البريطاني ومن يقفون خلفه من سادته الذين يحكمون مصر من قصورهم في لندن، فيصف أولئك الإنجليز بأنهم لا عهد لهم وبأنهم لا يحفظون حقوقاً ولا يرعون عهوداً، ولا يرقبون في الموالين لهم إلاّ ولا ذمة، بل إنهم يضربون بعضهم ببعض، ويؤلبون بعضهم على بعض كما فعلوا حين فرقوا بين سعد زغلول وعدلي يكن، وبين "النحاس" و"مكرم عبيد"، وغيره من نجوم ذلك الزمان، فيقول:

فيـــا أبنـــاءَ (لنـــدن) بعـــض هـــذا … كفـــى عبثـــاً بنـــا ، عهـــداً فعهـــداً

إذا شِـــدتُمْ هـــدمتمْ بعـــد حـــينٍ … فَمَـــنْ أحببْتُمُـــوهُ فَقَـــدْ تـــردَّى؟!

ولـــيس لكـــمْ صـــديقٌ أو عزيـــزٌ … ولكـــن تبتغـــونَ الكـــلَّ عبـــداً؟!

وقـــد تســـتبدلون بـــذاك هـــذا … ولا تَخْشَـــوْنَ مـــن أحـــدٍ مَـــرَدَّا

ولَســـتُمْ ذاكـــرينَ لـــذاك ودّاً … ولســـتُمْ حـــافظينَ لـــذاك عهـــدا

تُـــديرُ يـــداكمُ كأســـاً سَـــقَيْتُمْ … بهـــا مـــن قبـــلُ (عـــدليّا) و(ســـعدا)

إذا هيـــــأتُم مَهْــــداً لقـــــومٍ طَـــوَيْتُمْ في ثنايـــا المهـــد لحـــداً!!

ثم يوجه خطابه إلى وزراء مصر، أولئك المذبذبين الذين يقبلون أن يكونوا قطعاً في رقعة شطرنج يحركها القصر أو تحركها السفارة. فهم يسيرون حسب ما تسير بهم أمواج السلطة التي جاءت بهم إلى مقاعدهم، فيقول:

فيـــا وزراء مصر بكـــل عهـــدٍ أرى عِقْـــدَ الـــوزارةِ صـــار قيْـــدا
وكـــلٌّ ســـفينةٍ نزلـــت ببحـــرٍ أطاعـــتْ موجَـــهُ، جَـــزْراً ومَـــداً!!

ولم يختلف الأمر كثيراً بعد ثورة ١٩٥٢م، فقد ظل أعضاء البرلمان "يعينون " في صورة منتخبين، فقال الشاعر الشاب "هاشم الرفاعي" يصف أولئك النواب في أول برلمان بعد الثورة مخاطباً عبد الناصر:

هـاهم ، كما تهوى ، فحركهم : دمى لا يفتحون – بغير ما تهوى – فما !!

فهل تغير الحال كثيراً بعد ٦٠أو بعد٥٠ عاماً من تلك الأحداث؟!! لا تظن. !!

بين العقاد والجبلاوي

كان بين العقاد والشاعر طاهر الجبلاوي (١٨٩٨ - ١٩٧٩م) صداقة حميمة، وعلاقة أخوية وثيقة . تجلت أصداؤها في دواوين العقاد . وفي مذكرات طاهر الجبلاوي التي نشرها بعنوان (ذكرياتي مع عباس العقاد) . والتي ذيّلها بصور لمجموعة من الرسائل الشخصية التي كان العقاد أرسلها إليه في المحافظات المختلفة التي كان الجبلاوي يُنقل إليها من حين لآخر في عمله الحكومي وهي (الفيوم ، وأسيوط ، وسوهاج ، وقنا) . . ويبدو أنه كان مغضوباً عليه من رؤسائه إذ كان النقل إلى الصعيد في تلك السنين عقوبة من العقوبات التي ما كان أكثر ما توقع الموظفين بعامة والمدرسين بخاصة . وقد أشار إلى هذا الشاعر حفني ناصف في قصيدته الشهيرة :

قالوا : نُقلتَ إلى قنا ... يا مرحباً بقنا وإسنا

وعارضها الشاعر المعاصر عبد المجيد طه حين نقلوه . إلى مدينة طما وقرية مشطا بمحافظة سوهاج فقال :

قالوا : نُقلتَ إلى طما ... يا مرحباً بطما ومشطا

قالوا : أكلتَ المشّ قلـ ... ـتُ وحبذا بالمشّ لهطا

ويبدو أن طاهر الجبلاوي كان قد طلب إلى العقاد التوسط له لدى كبار موظفي الوزارة ليعيدوه إلى القاهرة فينعم بمحافلها الأدبية وندواتها الثقافية وأمسياتها الشعرية التي عرفته شاعراً فحلاً في أواسط هذا القرن .

والذي يؤكد أنه طلب إلى العقاد التوسط تلك الأبيات التي أرسلها إليه وهو في أسيوط يقول فيها :

هـــل أنصـــفوا الجـــبلاوي   وهْـــو بأســـيوط ثـــاوي ؟
أعـــيش بـــين أنـــاس   هـــم آيـــة في المســـاوي
مُصـــبَّحاً ومُمَسَّـــي   مـــنهم بـــذئب عـــاوي
واللـــؤم والشر فيهـــم   أضـــعاف مـــا قـــال راوي
أنجـــد أخـــاك فـــإني   عـــلى شـــفير هـــاوي

ويرد عليه العقاد قائلاً إنه كلم له قوماً في شأن نقله منهم الأستاذ محمود رشيد ويبدو أنه كان صاحب مركز في الوزارة . فلم يفعلوا شيئاً . فعليه أن يصبر إذاً على ما هو فيه [وإذاً هذه تساوي في لهجة القاهرة كلمة : بقى - بفتح القاف - التي استخدمها العقاد هكذا وهم ينطقونها بأه] يقول العقاد :

كلمـــت في النقـــل قومـــاً   مـــنهم رشـــيد وغـــاوي
ومـــنهم مستقيـــم   فـــيما يقـــول ولاوي
فـــما أفـــادوا بشـــيء   إلا عـــريض الدعـــاوي
فاقعـــد "بَقَـــا" واصـــطليها   في الحـــر والحـــر شـــاوي

وحين كان الجبلاوي في الفيوم امتدت يد أحد اللصوص فسرق حافظة نقوده ولم يترك له شيئاً ، فاستنجد بصديقه العقاد ليرسل له نقوداً . فأرسل له العقاد " شيكاً " ومعه الأبيات التالية يتهمه فيها بانه ظلم اللصوص حين ادعى أنهم سرقوه ويصفه بأنه (خيتعور) وهي كلمة عامية لا معنى لها وإن حملت سمة التهكم فيقول :

تتجنى على اللصوص من الظلم ... فيا ليتهم تجنَّوا عليكا
إن يكن ضاع ما ضاع فاعلم ... أن كفيك غالتا كفيكا
بين كأس شهية وكتاب ... عبقري تجلو به عينيكا
فتقبل شيكاتنا ، ثم حاذر ... أن تزوغ الشيكات من كفيكا
ثم هرول يا خيتعور من الفيوم ... جرياً ولو على قدميكا

وينقل الجبلاوي إلى سوهاج وينتقل طاهر الجبلاوي إلى محافظة سوهاج في الصعيد فيرسل إليه العقاد الأبيات التالية يدعوه فيها للحضور لقضاء أحد الأعياد في القاهرة . وهي في ديوانه (ما بعد البعد) الذي أصدره المرحوم الأستاذ عامر العقاد ابن شقيق العقاد بعد وفاة عمه . يقول العقاد :

في العيد منتظروكا ... فاحضر لنا يا ويكا
سوهاج أضيق من أن ... تغنيك أو تحتويكا
فالعيش فيها ضنين ... بكل ما يرضيكا
ولو أردت انتحاراً ... لما وجدت (فِنِيكَا)

[والفنيك هو نوع من الكيمياويات السامة].

ويكاد العقاد في قصيدته هذه أن ينتهج نهج الشعر الحلمنتيشي الذي يزاوج – في بنائه الفني – بين الكلمات الدارجة والكلمات الفصحى . فهو ينجت الفعل (يقيقهر) للدلالة على من يسكن القاهرة مقابل الفعل (يسوهج) للدلالة على من يسكن سوهاج . ويستخدم كلمتي (جهركا ، وسيكا) وهما مقامان موسيقيان مختلفان كما تختلف سوهاج عن القاهرة :

ومن يقيهر خير ... ممن يسوهج ديكا
هذا يغني جهركا ... وذاك ينشد سيكا
وذا يصيح فصيحاً ... وذاك يهذي ركيكا
وجائز حين تأتي ... ألا تعود وشيكا

وذات مرة مات كلب لطاهر الجبلاوي فكتب العقاد رثاءً جميلاً في هذا الفقيد نعى فيه صديق صديقه نعياً مؤثراً . فقد كان هو وصاحبه مع الدنيا على أتم وفاق ، وكان يتبادلان الخبرات والأدوار . فقد يقرأ الكلب ، وقد يخرج طاهر للصيد يقول العقاد :

حزناً على كلب طاهر ... فإنه طاهر الكلاب
تشابها في خليقة ... واتفقا – شيمة الصحاب
كلاهما يستفيد من ... صاحبه علمه العجاب
فكان للصيد طاهرٌ ... وكلبه الفحل "للكتاب"

ونـــــم لخطأهمـــــا عـــــلى | سر في الصـــوف في حجـــاب
وربـــــما عـــــيّ طـــــاهرٌ | وكلبـــه حـــاضر الجـــواب
فلـــــيس يوفيـــــه حقـــــه | في اكتئـــاب وانتحـــاب
إلا إذا بـــــات نابحـــــاً | نـــبح المســاعير في الخــراب
عوْعــوْ عَــووْوْ - بــلا ونــيّ | ولا انقطـــاع ولا اقتضـــاب
لا تســـألوا رحمـــةً لـــه | قـــد رحـــم الله واســـتجاب
لعلـــه مـــات قانطـــاً | مـــن قلـــة الأكـــل والشراب
منتحـــــراً في شـــــبابه | وهكـــذا يفعـــل الشـــباب
أراحـــه المـــوت مـــن ضـــنى | أنقـــذه القـــبر مـــن عـــذاب
فليحمـــــد الله ربـــــه | مـــن جـــاع فلـــيرضى بـــالتراب

وقد حاول الفنان صلاح طاهر - وهو صديق مشترك للعقاد والجبلاوي التسرية عن الجبلاوي بعد موت كلبه . فأهداه كلباً جديداً أطلق عليه الجبلاوي اسم (ديوجين) تيمناً باسم الفيلسوف اليوناني الكلبي (ديوجنيس) وذهب إلى صائغ فعمل له مصباحاً من الفضة علقه في رقبته . وأعد له جرة خاصة في منزله يعيش فيها مكرماً محترماً . ولكنه كان يأبى إلا الاختلاط بكلاب الجيران . وذات يوم تفقده الجبلاوي فلم يجده فكتب عنه يقول :

هجرتنـــــي واختفيـــــت | فـــأي بيـــت قصـــدت
مـــا كـــان حظـــك منـــي | أقـــل ممـــا طلبـــت

اللحـــــم والخبـــز عنـــــدي والعطـــف والـــود فـــت
وحجـــرة لـــك فيهـــا مـــن الرغائـــب شـــتى
وشـــاعراً فيلســـوفاً ملبيـــاً إن غويـــت
كـــم مـــن كتـــاب نفـــيس بـــلا حســـاب قطعـــت
وكـــم صـــحيفة شـــعر خطفتهـــا وجريـــت
فـــما ضربـــت لـــذنب ولا بقـــول نهـــرت
لم يـــترد بعـــض وجـــد عـــلى عزيـــز خلفـــت
فقدتـــه طـــي لحـــد وأنـــت حيـــاً فقـــدت
وكـــان فيـــه عـــزاء مـــن رزئـــه لـــو أردت
فمـــن لرزأيـــي أبغـــي إذا مضى ومضـــيت
في كـــل حـــي تـــراني مســـائلاً أيـــن بنـــت
وكلـــما شـــمت كلبـــاً أقـــول هـــا هـــو أنـــت
وأرجـــع الـــدار عـــليّ أراك للـــدار عـــدت
فـــما اهتـــديت بســـعي ولا إليّ اهتـــديت
فيـــا ديـــوجين قـــل لي مـــاذا دهـــاك فغبـــت
وكلبـــة كنـــت تهـــوى خلفتهـــا وهجـــرت
فـــلا وداعـــاً جمـــيلاً ولا ســـلاماً تركـــت
فهـــل خشـــيت ضـــلالا مـــن الهـــوى فارتحلـــت

أم اكتويـــــت بنـــــار ... مـــن الغـــرام فهمـــت
ســـيان في الحـــب هـــذا ... وذلـــك أني ذهبـــت
بـــالله قـــل لي مـــاذا ... بعـــد الفـــراق وجـــدت
وبـــين قـــوم كـــرام ... تعـــيش كيـــف أردت
لا يحرمونـــك عطفـــاً ... ورأفـــة أن شـــكوت
أم أنـــت بـــين صـــغار ... لا يرحمـــون وقعـــت
موثقـــاً في حبـــال ... بغـــير ذنـــب جنيـــت
تجـــر في كـــل درب ... فـــإن عصـــيت ضربـــت
وصرخـــة لـــك تمضي ... مـــا بيـــنهم إن غضـــبت
مصـــباحك اليـــوم ينجـــي ... مـــن كـــل شر رأيـــت
فاحملـــه وانشـــد صـــديقاً ... مـــن الأنـــام ألفـــت
عليـــك منـــي الســـلام ... في أي دار حللـــت

فكتب إليه العقاد مواسياً في مصيبة فقد (ديوجين) الغالي قصيدة ذكّره فيها بموت كلبه السابق ، وفرار كلبه الحالي . واستنتج من ذلك أن الجبلاوي بخيل ولولا بخله ما هجرته كلابه . يقول العقاد :

أمســـت كلابـــك شـــتى ... وأنـــت يـــا صـــاح أنـــت
كلـــب نجـــا وهـــو حـــي ... وآخـــر فـــر ميتـــاً
مـــا بـــين تـــارك دينـــا ... وتـــرك لـــك بيتـــاً

قـــل لي بربـــك مــــاذا ... عـــلى الكـــلاب جنيـــت
حتـــــى ديــــوجين ولى ... يــا ســوء مــا قــد صــنعت
والله مــــا كــــان يـــأبى ... لـــو صـــادف الخبـــز بحتـــا
أو جـــدت يومـــاً عليـــه ... فصـــــادف الأدم زيتـــــا
زعمتـــــه راح يهـــــوى ... مـــن قومــه الغـــر بنتـــاً
لا تلـــزم الحـــب ذنبـــاً ... مـــن الصـــيام تـــأتى
فاحمـــل رغيفـــاً تجـــده ... في أي صـــوب نظـــرت
مصـــباحه لـــيس يجـــدي ... فـــلا تضـــع فيـــه وقتـــاً
أنعـــم بـــه مـــن حكـــيم ... إلى ديـــوجين متـــاً
رأي الســـلامة حقـــاً ... ومـــن رأي الحـــق أفتـــى

رسائل شعرية متبادلة :

وكان الجبلاوي - وهو من محافظة دمياط - يفضل أن يقضي الصيف في مصيف رأس البر فكتب إليه العقاد رسالة شعرية على عنوانه برأس البر يقول فيها

إلى الأســـتاذ طـــاهرٍ الجبـــالي ... بـــرأس الـــبر أو بـــرِّ الرمـــال
ســـلامٌ مـــن نـــديوتكم بـــمصرٍ ... ومـــا التصـــغير إلا للجـــلال

ثم يذكر له بعض ندوة العقاد الدائمين كالأستاذ الأديب الشاعر محمد خليفة التونسي ، والأستاذ محمد الشوريجي ، والأستاذ عبد الحي دياب ، وغيرهم ويختتم العقاد رسالته الشعرية بقوله :

وسـلِّم أنـت عنـدك يـا أخانـا ... عـلى الزيـات والزيـات قـالِ
" وقـالِ " هـذه : قَـلْيٌ وقـولٌ ... ونظـم الشـعر في قيـل وقـال
سـلام في سـلام في سـلام ... وشرط الـرد يُكتـب في ارتجـال

فهو في هذه الأبيات يهدي سلامه إلى صديقهما الصحفي الأديب المحامي عبد حسن الزيات . ويسترسل في دعابته الشعرية مستخدماً التورية في كلمة (قالِ) فيقول أنها تحتمل أن تكون من القَلْي - بفتح القاف وسكون اللام - بمعنى إنضاج السمك في الزيت ، أن من القول . وقد كان الجبلاوي عند حسن ظن صديقه فكتب الرد ارتجالاً من رأس البر فقال :

بعثـت إلى مـن وادي الظـلال ... بأبيـات مـن السـحر الحـلال
عـرائس مـن مـروج الشـعر جـاءت ... تـرود الفـن في شـط الخيـال
فأنسـتني المصـيف ومـا حـواه ... مـن الفـتن المدلـة بـالجمال
تُـذَكِّرُ بالنـديّ وزائريـه ... كـأني بالنـديّ عـلى اتصـال
وإن تسـأل عـن الزيـات إني ... أراه محـيراً في كـل حـال
عـلى الغيطـان مشـغول وأنـا ... لـدودة قطنـه يـدعو نـزال
وهـذا الشـعر مرتجـل فعفـواً ... فشرط الـرد يكتـب بارتجـال

وقبل أن يعود الجبلاوي من مصيفه في رأس البر يكتب إليه العقاد رسالة شعرية أخرى تفيض عذوبة وخفة ظل . فهو يتخيل ما يعيش فيه في مصيفه ذاك

النعيم والتمتع بملذات الحياة ، ويذكِّره بأن يأتي إليهم حين يعود بالحلوى الدمياطي الشهيرة باسم (المشبِّك) فيقول العقاد :

سلام في سلام في سلام ... إلى الطيهور يقرأ كل عام
برأس البر مصطافاً وأنعم ... برأس البر في طيب المقام
يطيل بها الصلاة مع الصيام ... ويسكن في محاريب الإمام
ويرتاد الشواطئ بين عذب ... وملح زاخر الأمواج طام
ويركب طفطفاً ويخاف جداً ... من القفز السريع إلى الترام
ويأكل لحم طير يشتهيه ... مع السمك المبطرخ في البرام
ولا ينسى الفطائر ذات حشو ... أحب إليه من حشو الكلام
وقل ما شئت في عشرين صنفاً ... من الحلوى تجئ مع الطعام
وحين نرى المشبك في يديه ... يكون لقاؤه مسك الختام

ويرد الجبلاوي على العقاد ملتزماً الوزن والقافية نفسيهما كما هو الحال في أية معارضة شعرية ، ويؤكد أنه سيحمل (المشبِّك) إلى أصحابه في طريق عودته إلى القاهرة ، يقول الجبلاوي مجيباً العقاد :

وهذا فضل أستاذ كريم ... فقل ما شئت في فضل الكرام
يجود بها فرائد كالدراري ... تألق في دياجير الظلام
و هأنذا أغادر رأس بري ... إلى رأس من العلياء سام
تجمل بالنهى وازداد حباً ... إلينا بالمودة والوئام

وفصـــل القـــول أني عـــدت تـــواً   وفي يـــدي المشـــبك في ســـلام

الجبلاوي في أسيوط :

ويبدو أن حظ طاهر الجبلاوي مع الصعيد كان سيئاً للغاية فبعد أن سرقوه في الفيوم ، وبعد أن نقلوه إلى سوهاج ، نقلوه إلى أسيوط كما أشرنا سابقا فأرسل أبياتاً لصديقه العقاد يستعيث به ليتوسط له في النقل إلى القاهرة ، ويصف له أهل أسيوط بأنهم آية في سوء العشرة فيقول الجبلاوي :

هـــل أنصـــفوا الجبـــلاوي   وهـــو بأســـيوط ثـــاوي ؟

أعـــيش بـــين أنـــاس   هـــم آيـــة في المســـاوي

مُصـــبِّحاً ومُمَسِّـــي   مـــنهم بـــذئب عـــاوي

واللـــؤم والشر فيهـــم   أضـــعاف مـــا قـــال راوي

أنجـــد أخـــاك فإنـــي   عـــلى شفـــير هـــاوي

ويبدو أن الجبلاوي قد هفا هفوة مما يكون بين الأصدقاء . وعوقب فيها من العقاد وصحبه ، فاعترف بخطئه ووصف نفسه بأنه (وِحِش) - بكسر الواو والحاء وهي كلمة عامية معناها : غير لائق - فكتب إليه العقاد وهو في أسيوط سنة ١٩٢٩م يقول :

قلـــت بهـــا معترفـــاً   وكنـــت فيهـــا منصـــفاً

فأنـــت في الوحاشـــة   بيـــك وقيـــل باشـــته

وأنـــت في الملاهـــي   أعـــبط خلـــق الله

ومرة يكتب العقاد إلى الجبلاوي وهو في أسيوط يتنبأ له بالنقل بعد أسيوط إلى قنا وربما ينقل بعدها إلى قرية (دراو) المتاخمة لمدينة أسوان في أقصى الجنوب، ويؤيسه من التفكير في العودة إلى مصر - أي القاهرة - فيقول :

اليـــوم تـــدعى الســـيوطي ... وســـوف تـــدعى القنـــاوي

وقـــد يجيئـــك يـــوم ... فيـــه تســـمى الـــدراوي

مـــا أنـــت والله آت ... لمصر يـــا جـــبلاوي

الجبلاوي في الفيوم،

أما المدة التي قضاها الجبلاوي في الفيوم فقد شهدت كثيراً من المراسلات بينه وبين العقاد، وقد يرجع ذلك إلى أن الجبلاوي كان ينتهز فرصة عطلة الجمعة وقصر المسافة من الفيوم إلى القاهرة فكان يحضر إلى أصدقائه بعد ظهر الخميس أسبوعياً. وربما يصادف أن يكون السبت عطلة لأية مناسبة فتزداد مدة بقائه مع صحبه في القاهرة كما يظهر من قصيدة العقاد التي بعث بها إليه يدعوه للحضور لاستغلال إجازة الجمعة والسبت وفيها يقول العقاد :

إن يـوم السـبت القريـب بطالـةْ ... فاركـب القطـر عـاجلاً وتعالـةْ

شـوف تلقـى إذا حضرت إلينـا ... أكلـة حلـوة تسـيل الريالـةْ

" مكـروني " الطليـان هيفـاء بيضـا ... كـومض الأشـعة المختالـةْ

وإذا مـا الفيـوم أبقتـك فـاقتنع ... ؟؟؟؟؟ هنـاك أو بزبالـةْ

وسـلام عـلى " ديـوجين " منـا ... فهـو نعـم الزميـل في كـل حالـةْ

وهـــو أولى مــــن طـــاهر بســلام   أو كتـــاب مزخـــرف أو رســالة

ويكتب إليه مرة يغريه بالحضور يوم الخميس القادم فيقول :

يـــوم الخمــــيس حضـــور   وســــــهرة وســــحور
وقــــد يكــــون غـــداء   وقــــد يكــــون " فضــــور "
وهكـــــذا في جديـــــد   كـــــما تــــدور نـــــدور
إن جئـــت أهـــلاً وســهلاً   أو لا فأنـــــت تغــــــور !

وفي رسالة أخرى يهدد العقاد صديقه بأنه إن لم يحضر إليهم يوم الخميس فسوف تتغير نظرتهم إلى شعره وقصصه فيقول :

يـــا جبـــالي قـــل لنـــا هـــل تجـيء   بعـد ظهـر الخمـيس أولا تجـيء ؟
لـك شـعر إن جئـتَ عـذبٌ بليـغ   فـــإذا لم تجـــئْ فشـــعر رديء
والروايـــات أنـــت تحســـن فيهـــا   فـــإذا لم تجـــئْ فأنـــت تسيء !
ولهـــم عنـــك قـــول نـــاس لطـــاف   حـين تـأتي ، أو لا فقـــول بـــذيء

الجبلاوي في قنا :

وقد شهدت المدة التي قضاها الجبلاوي في قنا مراسلات شعرية من نوع خاص فأكثر تلك المراسلات إما يتعلق بالضغط على موضوع نقله إلى القاهرة . وإما يتعلق بالجوافة التي اعتاد الجبلاوي أن يبعث بها من قنا إلى صديقه العقاد فكانت تصل إليه في حالة يرثى لها من الضعف والاهتراء . فيكتب العقاد لصاحبه يقول :

أيهـا الخيتعـور قـد وصـلت جـو ... افـة منـك تشـبه الجوافـة !!
وعـلى الوعـد نحـن بالكتـب شـتى ... والروايـات جمـةً ، والسـلامة
وعليهـا يـا حـظ حفلـة تكريـ ... ـم كعهـد النهـى ، وعهـد السخافة
فـانتظر في قنـا إذا خفـت يـا حـظ ... وهيهـات أن تفيـد المخافـة

ويصف العقاد الجوافة التي وصلته ذات مرة بأنها (موحوسة) فيكتب إلى صديقه الجبلاوي ليصفه بأنه هو أيضاً (موحوس) فيقول مهدداً :

أنـت - والله - "برضُـهُ" موحـوسُ ... بـل غريـقٌ في نحسـه مغمـوسُ
إن جوافـةً بعثـت بهـا لا ... خـير فيهـا يأيهـا الملحـوسُ
ولعمـري يـا فـارس الكـون إني ... منـك في كـل حالـةٍ مفـروسُ
فـانتظر حيـنما تجـيء إلينـا ... كـل خـير تصبو إليـه النفـوسُ

الفكاهة في شعر بيرم التونسي

على الرغم من الحس اللغوي والأدبي المرهف الذي تميز به عقل وقلم بيرم التونسي ، فإن صفة الزجال هي التي عرف بها حياً وميتاً فقد كان للمواويل والأغاني والأزجال التي عاشت في وجدان الشعب العربي بعامة والشعب المصري بخاصة ، أثر كبير في تلقيب بيرم بـ " شاعر الشعب " وإضفاء صفة الزجال عليه بصورة تلازمية .

وقد ساعد على انتشار هذه الفكرة ، ضآلة إنتاجه الفصيح من جهة وإعراض النقاد ومؤرخي الأدب عن دراسة ذلك الإنتاج الفصيح الذي يتمثل في تلك القصائد القليلة التي نعرفها ، وتلك المقطوعات التي تتخلل مقاماته التي نشرت في جزأين حتى الآن عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفي تقديري أن الحياة الشخصية المضطربة التي عاشها بيرم التونسي وما شهدته من تقلبات وما عاناه من عذاب النفي والتشريد ثم انهماكه في عدة أعمال صحفية لضمان لقمة العيش ، ثم اندماجه فيما بعد في العمل الإذاعي والسينمائي والمسرحي . كل ذلك كان وراء قلة إنتاجه من الشعر الفصيح وغلبة اللغة الشعبية على فنه الشعري بدليل هذا الكم الكبير من المواويل والأزجال التي خلفها والتي كان كثير منها أجزاء من أعمال أوبرالية أو مسرحية أو إذاعية قدمها بيرم في مراحل مختلفة من حياته .

ويبدو أن سوء الحظ الذي عاشر بيرم معظم سني حياته ، قد حالف أعماله بعد وفاته ، فلم يحظ إنتاجه بالتقدير اللائق بها من جانب النقاد والدارسين . وظل معظم ما كتب عنه مجموعة من الكتيبات أو المقالات والبحوث التي قدمت في مؤتمرات أو في مناسبات مختلفة أحييت فيها ذكراه.

وإذا بحثنا في هذا الكم الضئيل مما كتب عنه عمن تناول أشعاره الفصيحة سنجد عملين اثنينهما :

١. كتيب في نحو ثلاثين صفحة متوسطة من تأليف الأستاذ عبد الفتاح غبن نشر ملحقاً للعدد ٢٠٧٨ من مجلة الإذاعة والتليفزيون المصرية الصادر في ١١ يناير ١٩٧٥م.

٢. كتاب للشاعر عبد العليم القباني عنوانه " محمود بيرم التونسي " ١٨٩٣ ١٩٦١ " يقع في نحو ستين ومائة صفحة صدر عن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

ومما يؤكد ما حدسناه من ملازمة سوء الحظ لإنتاج بيرم التونسي الفصيح أن الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة أصدرت في مارس ١٩٩٦ كتاباً تذكارياً عن بيرم التونسي يقع في ثلاث وتسعين ومائتي صفحة ويضم اثنى عشر بحثاً ليس من بينها بحث واحد يتناول شعره الفصيح بل يدور معظمها حول أزجاله ومقاماته ونقده للمجتمع .

لم يخرج شعر بيرم الفصيح في قوالبه الشكلية عن الأطر التقليدية للبحور الخليلية على الرغم من قدرته التشكيلية الهائلة التي تبرز أكثر وضوحاً في أزجاله

فجميع شعره الفصيح أتى في البحور التقليدية وإن كانت هناك سمات خاصة بشعره فمن الممكن إجمالها في أنه أفاد كثيراً مما في تراثنا من محاولات تجديدية

فقد كان بيرم التونسي مستوعباً جيداً للتراث العربي . وينقل صديقه عبد الفتاح غبن على لسانه شهادته عن استيعابه للتراث حيث يقول بيرم.

" لقد حفظت القرآن الكريم ودرست ستة كتب في تجويده وتلاوته بقراءته الثابتة عند أئمة الشريعة والدين . . واستوعبت دراسة الأدب العربي القديم من أمهات مصادره وشربته من أصفى ينابيعه ودرست البلاغة وعلوم اللغة وفقهها وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالمعصم ".

فإذا حاولنا أن نرى أثر ذلك في شعره الفصيح – من حيث الشكل – فإننا نجد تلك القصة التي وردت في كتاب " إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس" والتي تقول إن الخليفة هارون الرشيد كان يسير يوماً بصحبة وزيره جعفر البرمكي فوجدا فتاة تتغنى على بئر ماء بقولها :

قـــولي لطيفـــك ينثنـــي عـن مضـجعي وقـت المنـام
كـــي أســتريح وتنطفـــي نـــار تـــأجج في العظـــام
دنـــف تقلبـــه الأكـــف عـــلى بســـاط مـــن ســقام
أمـــا أنـــا فكـــما علمـــت فهـــل لوصـــلك مـــن دوام ؟

فسألها الخليفة : أهذا من مقولك أم من منقولك ؟ فلما قالت إنه من شعرها طلب إليها أن تمسك المعنى وتغير القافية فقالت :

قـــــولي لطيفـــــك ينثنـــــي　　　عــن مضــجعي وقــت الوســن
كـــــي أســـــتريح وتنطفـــــي　　　نــــار تـــــأجج في البــــدن
دنـــــف تقلبـــــه الأكـــــف　　　عـــلى بســـاط مـــن شـــجن
أمـــا أنـــا فكـــما علمـــت　　　فهـــل لوصـــلك مـــن ثمـــن ؟

فكرر الخليفة سؤاله وطلبه فقالت أبياتها نفسها جاعلة كلمات دالية ثم عينية القافية متكان الكلمات الأربع الأخيرة من الأبيات .

مثـل هـذا التكنيـك اسـتخدمه بـيرم في إحـدى مقاماتـه علـى لسـان أحـد المجـاورين (= طلاب الأزهر قديماً) واسمه المتيم بن ولهان الذي يصف وقفته في محطة الترام ناظراً إلى ساق إحدى الفتيات وقد مضى خلفها يقول متغزلاً في ساقها :

أيهـا السـاق الـذي قـد دملجـا　　　وتحاشـى حجلـه أن يخرجـا
يتهـــادى يمنـــة أو يسرة　　　خلفـه أو خفـة لا حرجـا
كلـما سـارت بـه ربتـه　　　خلتهـا عمـدا تـدوس المهجـا
كيـف يلقـاك محـب والـه　　　إن تمـددت عليـه ابتهجـا ؟

قال المتيم بن ولهان : فمرت ولم تفهم فقلت إلى جهنم . ورجع إلى مكانه من محطة الترام فلما جاءت أخرى ذات نهد عظيم تبعها متغزلاً في نهدها وهو يقول

أيهـا النهـد الـذي قـد قبقبـا　　　وغـدا كالكـأس حـين انقلبـا
يتهـــادى يمنـــة أو يسرة　　　فاتنـــاً إفرنجهـــا والعربـــا

كلـــما ســـارت بـــه ربتـــه — أظهــر الطـيش وأبــدى اللعبـا
كيـــف يلقـــاك محـــب والـــه — قـــد تلظـــى قلبـــه والتهبـــا

وقد كرر بيرم هذا اللون من التشكيل الفني في مقاماته أكثر من مرة وهو ملمح تراثي ملحوظفي غالب نتاجه الفصيح . وهناك ملمح آخر وهو اللزوميات التي تفرد أبو العلاء المعري بالتوسع فيها في تراثنا الأدبي القديم حتى نسج على منوالها ديوانه الشهير المتفرد " لزوم مالا يلزم " وقد مارسها بيرم التونسي في شعره الفصيح ومن ذلك قوله ملتزماً قافية النون والكاف من قصيدته من شعره الجاد الذي يصف به سوء حاله ويتخيل نفسه يتحدث إلى محبوبة هي سليمى ويطلب منها أن توصل شكواه إلى طلعت باشا حرب مؤسس الاقتصاد المصري الحديث والذي اقترن اسمه ببنك مصر الذي أسسه في العشرينيات يقول بيرم :

ســـليمى لم يكـــن بعـــدي — لصـــد أو غنـــى عنـــك
ولكـــن لم أكـــن ألقـــى — بجيبـــي نصـــف افرنـــك
ولا قرشـــــاً بـــــه أشري — لعينـــي قطـــرة الزنـــك
عســـى أن تصـــل الشـــكوى — لطلعـــت صـــاحب البنـــك
هـــو الحـــرب الـــذي أضـــحى — بـــمصر هـــازم الضـــنك

ومن لزوميات بيرم الفكهة قوله في قصيدة (بائع الكفتة والكباب) يصف جلسة معهودة في الأسواق الشعبية حين يتحلق العامة حول باعة الأطعمة الذين لا

تعنيهم صحة الناس في شيئ فيبيعونهم الكفتة والكباب وما شاكلهما في ظروف صحية واجتماعية وأخلاقية يرثى لها :

وقدامهم حطوا صحون تخلل ... بحافات هاتيك الصحون هباب
ستصبح في مصر وزارة صحة ... بها يسبح الصياع ، وهي عباب
وتركب فيه المركبات سريعة ... شيوخ تردى تحتها وشباب
أرى للفتى الجربان في السوق نصبة ... يباع عليها كفتة وكباب
محبشة رقطاء تحسب نقطها ... من الفلفل الهندي وهو ذباب
وحول الفتى رهط من الناس واقف ... عليهم دخان عابق وضباب
وقد جحظت أبصارهم من تلمظ ... وعسر ازدراد بين ذاك سباب

وكتب بيرم محاولاً الإضحاك فإذا به ينظم هذه الأبيات الرائعة في تأمل الحياة ، تختلط فيه السماحة بالألم والسخرية :

الأرض عندي كلها أرض فلا ... باريسها تمتاز عن بيروتها
والناس في نظري سواء كلها ... وشريفها ما امتاز عن عكروتها
ويغيظني أني رأيت جماعة ... حملت لتعرفها الدنى بكروتها
ولقد ضحكت من الجبابرة التي ... زلت بها الأقدام في جبروتها

ومما يتصل بهذا أيضاً ولع بيرم التونسي بالمعارضات وهي من فنون التراث الأدبي القديم ، وقد جدد بيرم في هذه الناحية فلم يكن يعارض بالشكل الذي يعارض به معاصروه كشوقي وحافظ .

وإنما كانت موهبته الفنية تجعله يقلد أشعار معاصريه محاولاً تقمص شخصياتهم الفنية . فهي معارضة من نوع جديد لا نعم أحداً غير بيرم برع فيه

وقد تخيل بيرم أن مجموعة من شعراء عصره جلسوا يكتبون قصائد لهم عم زلزال قوي ضرب اليابان في الربع الأول من هذا القرن وكتب بيرم ما تخيل أن كل شاعر من هؤلاء كان سيكتبه ملتزماً الملامح الفنية الخاصة لكل منهم فقال على لسان خليل مطران:

تقطعت الأوصال من عزمة الفتى … وما الخطب إلا أن تقطع أوصال
عجبت وأرجاء السماء عريضة … عن الأرض أن يبقى على الأرض أثقال
تفجر صلصال الأديم وما درى … على علمه أن البرية صلصال
أفي كل يوم للسماء صواعق … وفي كل يوم للبسيطة زلزال ؟

ويتخيل بيرم التونسي ما يكتبه مصطفى صادق الرافعي عن الزلزال فيقول على لسانه - ساخراً من جنوحه إلى الإثارة العاطفية والتفلسف والإغراق في الفكر على حساب الحس والخيال الفني الذي يمنح الشعر بهاءه :

ما للورى ؟ هلك الورى ضل الورى … أين الورى؟ ذهب الورى كهباء
والموت ليس الموت بل هو نفسه … يفنى فناء قبل أي فناء
يا أمة الشرق قد أنزلت … بين الطبيعة من ذرى العلياء
أجدر بشعبك أن يعيد فخاره … بين الأنام بهمة قعساء
إن كان من فوق الطبيعة من يد … ما خلتها غير اليد الصفراء

أما حافظ إبراهيم فإن بيرم التونسي يقول على لسانه مستخدما طريقة نظمه التي تفضل البنية الخطابية الجهيرة التركيب لكي تناسب جهورية صوت حافظ الذي كان يتفنن في إلقاء شعره بنفسه في المحافل والمنتديات

بلـد الشـمس أي خطـب دهاهـا   فطغـى سـفلها عـلى أعلاهـا
إيه يا مطلع الشمس لقد أظلمت   مـا بـين ليلـة وضـحاها

حتى إذا وصل الشاعر أحمد رامي التقط بذكاء ما يميز شعر رامي من أن معظمه عن الحب . وأن كثيراً من القصائد التي كتبها رامي نونية القافية . . بل إن بعض التعبيرات التي استخدمها بيرم في تقليد رامي ما زالت تتردد في قصائده :

في ريـاض الهـوى وتلـك الجنـان   خليـاني في سـكرتي خليـاني
واسـقياني كـؤوس ذكـر حبيبـي   واغلظا والحفا عـلى السـكران
خفـق القلـب وهـو دار حبيبـي   ولهـذا أخشـى مـن الخفقـان
إن مـا سـألت عـن خفـق قلبـي   لا تسـل بعـده عـن اليابـان

ويقول بيرم التونسي بأسلوب الشاعر إبراهيم عبد القادر المازني الذي يظهر فيه اهتمامه برسم الصورة الشعرية ساخراً أيضاً من بعض التعبيرات التي استخدمها المجددون الرومانتيكيون الذين عرف عن المازني ولعه بهم :

تزلـزل وجـه الأرض والظهـر حقبـة   غـداة تولتهـا أكـف العصـائب
فألقـت عـلى صـفر الوجـوه غياهبـا   أحاطت بلاد الصفر من كـل جانب
تذوب خروق الدهر في مصنع الدجى   فتـدمي بخطـب قـاتم اللـون ذائب

فـلا يتـولى وصـفها غـير شـاعر ولا يتـولى سردهـا غـير كاتـب

أما من ناحية المضمون فإن شعر بيرم التونسي - وأزجاله كذلك - كان مثالاً للالتزام بقضايا عصره ومجتمعه وقد أغفلنا في هذا المقال قصيدته الشهيرة عن المجلس البلدي لكثرة ذيوعها . وتبقى كلمة نرجو فيها باحثينا الجادين في الجامعات أن ينهض أحدهم بعبء دراسة شعر بيرم الفصيح فما أجدره بالدراسة المتأنية الجادة .

الفكاهة في شعر محمود غنيم

كان للفكاهة في حياة الشاعر الراحل محمود غنيم (١٩٠١ - ١٩٧٢ م) وشعره جانب وافر.فقد عُرف عنه أنه سريع البديهة ، حاضر النكتة ، خفيف الظل وما يروى على ألسنة مخالطيه من الأدباء أكبر بكثير مما حوته دواوينه المطبوعة وديوان (صرخة في واد) هو أشهر دواوين محمود غنيم .فقد نال هذا الديوان جائزة الشعر الأولى في مسابقة المجمع اللغوي بالقاهرة ونشر عام ١٩٤٧م عن طريق لجنة البيان العربي - ويحتوي هذا الديوان على عدد لا بأس به من قصائد الفكاهة الراقية التي جمعها شاعرنا تحت عنوان (مداعبات) .

ومن قصائد الفكاهة الممتعة في هذا الديوان تلك القصيدة التي داعب فيها محمود غنيم صديقاً شاعراً سلبه اللصوص سبعة جنيهات . وكان لمثل هذا المبلغ في وقته شأن أي شأن وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة الرسالة في ٦ يونية سنة ١٩٣٨م ومطلعها آية في الإجادة وبراعة الاستهلال إذ يقول شاعرنا مواسياً صديقه المسروق :

هوِّن عليك وجفف دمعك الغالي   لا يجمع الله بين الشعر والمال

ويتجه شاعرنا إلى صديقه ساخراً مؤنباً فيقول وهو يمزج سخريته من صديقه الشاعر بالسخرية من نفسه أيضاً :

مِن أين أصبحتَ ذا مالٍ فتُسْلَبُه   يا أشبه الناس بي في رقة الحالِ ؟

فيالها سبعة من جيبكَ انطلقت   وأنت أحوج مخلوق لمثقالِ

وتأخذ مواساته لصديقه شكل النصح وصوت الحكمة . فهو يقول إن صديقه كاد يفقد عقله بفقده النقود . ولعل ضياع النقود يكون وسيلة لسكون النفس فالذي لا يملك شيئاً ينام قرير العين رضيّ البال لأنه لا يخشى على شيء يملكه ويفخر بنفسه فهو أقوى من اللصوص بما هو فيه من فقر :

قالوا خلت يده من كل ما ملكت   فقلت بل رأسُه من عقله خالِ

لم يبق عندك ما تخشى عليه فنم   كما أنام قريراً ناعم البالِ

نفسي فداؤك ليت اللص صادفني   قد يغلب النصَّ بالإفلاس أمثالي

وتبلغ سخرية الشاعر بصديقه أقسى درجاتها حين يتساءل كيف سيقضي هذا الصديق شهراً كاملاً بلا مال ؟ هل سيصوم ؟ أم سيعيش على شعره يقتات منه ويرتوي به ؟ كما يرتوي الظمآن بالسحاب من بعيد :

يا ليت شعريَ ماذا أنت صانعه   أتزمع الصوم حتى شهرك التالي ؟

عش من قريضك في ري وفي شبع   إن كان ينتفع الظمآن بالآل ؟

وفي ختام القصيدة يتهم شاعرنا صديقه المسروق بأن النقود فرت من جيبه لأنه جيب ممزق في ثوب قديم لعبت به يد الزمن . فهو في سوء حاله ورقة سرباله لا يختلف كثيراً عمن سرقوه :

أقسمتُ ما سَلَبَتْ تلك النقودَ يدٌ   لكنها أبَقَتْ من جيبك البالي

الذئب لا يشتهي لحم ابن جلدته   فكيف أوقع نشالٌ بنشالِ ؟

ومن مداعبات محمود غنيم الراقية أنه استمع ذات مرة لمحاضرة ممتعة ألقاها صديقه **الأديب الكبير** كامل الكيلاني عن فلسفة جحا ويبدو أن المحاضرة كانت جامعة شاملة مقنعة بسلوكيات جحا ذلك الفيلسوف الذي اشتهر في تراثنا العربي بذكائه وفطنته وبخله . فعقب محمود غنيم على هذه المحاضرة قائلاً :

إني حسبت جحا مُجانَةً ماجنٍ فإذا به رجلٌ جليل الشانِ

هو فيلسوف قام ينشرُ فَضْلَهُ بين البرية فيلسوفٌ ثانِ

مازال يُطريه ويُعلي قدره متحدثاً عنه كل لسانِ

حتى حسِبتُ (جحا) ابنَ سينا عصرِهِ أو من أقارب كامل الكيلاني

ومن المساجلات الشعرية الفكاهية التي كانت كثيراً ما تحدث في تلك الحقبة بين الشعراء ، ما دار بين شاعرنا محمود غنيم وبين الشاعر محمد الأسمر رحمه الله وقد كان الأستاذ محمد الأسمر نشر كلمة نثرية في جريدة الأهرام يحث فيها الضيوف الذين يقلقون راحة الناس في منازلهم أن يراعوا مشاعر الناس وأوقات راحتهم و اقترح الأستاذ محمد الأسمر على كل صاحب بيت أن يعلق على بابه بيتين للشاعر الأستاذ محمد الهراوي يخاطب فيهما الضيف فيقول :

إن في الفندق مأوا ك ، وفي السوق غذاءك

ليس ذنباً لأناسٍ أن يكونوا أقرباءك

فكتب الشاعر محمود غنيم في الأهرام يوم ١١ يوليو ١٩٣٨م يرد على كلمة الأستاذ محمد الأسمر ويداعبه قائلاً إن عليه أن يصوم إذا كان عنده ضيوف ويقدم

ما عنده من طعام وغطاء لضيوفه . فإن تمسك ببخله وحرصه . فإن أصدقاءه من الشعراء سوف يتشككون في انتسابه إلى العروبة . وسوف يقومون بتحليل دمه [وهي تورية لطيفة قد يقصد بها أنهم سيحللون دمه لمعرفة إلى أية فصيلة ينتمي وقد يراد بها أنهم سيستحلون دمه لبخله].

وفي النهاية يقدم الشاعر لصديقه وصفة طبية لعلاج البخل تتمثل في أن يأخذ " نقيع " الجود فيشربه ليشفى من داء البخل . يقول غنيم لصديقه الأسمر

أنــت إن لم تَنْسَــخْ مثــل الـــ ـــعرب أنكرنــا إخــاءك
وشَــكَكْنَا فيــك يــا صـا حِ وحلّلْنــا دمــاءك
لا أَوَاكَ البيــت والفنــ ـــدقُ يــأوي أقربــاءك
فــيم يخشــى فقــدَكَ النـا سُ ويرجــون بقــاءك ؟
إن يهــن عنــدك ضــيفٌ يكــن الهــون جــزاءك
فــدع الحــرص وإلا عجِّــل الحــرص فنــاءك
إنــما يُفقــرك الحــر ص. ويُغنــي وُرَثــاَءك
رُبَّ يــوم أنــت فيــه تــارك المــال وراءك
يــا صــديقي قــد فَحَصْـ ـــناك فكــان البــخلُ داءك
خــذ نقيــع الجــود واشـ ـــربْهُ تجــدْ فيــه دواءك

وينهي محمود غنيم قصيدته بتقديم واجب العزاء لصديقه الأسمر في فقيد عزيز هو " السخاء والكرم " الذي كان يتحلى به أمس ثم فقده فهو يعريه في كرمه الذي كان فيقول :

كنـــتَ بـــالأمس ســـخياً رحـــم الله ســـخاءك
ابـــكِ مـــا شـــئتَ عليـــه أَجْمَـــلَ الله عـــزاءك

وقرأ الأستاذ الشاعر محمد الأسمر أبيات صديقه محمود غنيم فرد عليه في "الأهرام " بتاريخ ١٩٣٨/٧/١٧م ووصف صديقه بأنه يحاول ادعاء الكرم مع أنه بخيل بطبعه ، وبأنه كشف ستر نفسه ولم يكن بحاجة إلى إجهاد نفسه في التزيي بزي غيره . قال الأسمر :

يـــا صـــديقي أنـــت في شعـــــرك لم تلـــبس رداءك
يـــا كـــريم الـــعصر مـــا أجـــــمل في الجـــود ادعـــاءك
شـــدَّ مـــا أتعبـــت شيـــــطان قوافيـــك وراءك
قـــد عرفنـــاك صـــغيراً وتبيَّنـــا ســـخاءك
فاحمـــد الله عـــلى السَّتْـــر ولا تكشـــف غطـــاءك
لا أطيـــل القـــول أنـــت اليـــوم أصـــبحت ســـواءك
صرتَ محمـــوداً جديـــداً بعـــد مـــا داويـــتَ داءك
فأطـــال الله للجـــود الـــكلاميِّ بقـــاءك

ويتطاير شرر المعركة . ويستمر أوارها . فيرد محمود غنيم على صديقه الأسمر بقصيدة ينشرها الأهرام يوم ١٩٣٨/٧/٢٠ يذكر فيها أن له فضلاً على الشاعر محمد الأسمر . وأنه أطعمه وأكرمه عدة مرات . وأنه يريد أن يذكِّره بهذا لولا خشيته من أن يقول الناس إنه يمنُّ عليه . ويناشد محمود غنيم صديق الأسمر أن يتوب إلى الله ويعترف بما لصديقه من فضل عليه ويسعى إلى تعلم الكرم والجود فيقول غنيم :

أيهـــا المنكــــرُ جـــودي   رحـــــم الله حيـــــاءك
أنـــا لـــولا أن يقولـــوا :   مـــنْ أظهـــرتُ افـــتراءك
هـــل تناســـيتَ ســـخائي   وتناســـيتَ ثنـــاءك ؟
كـــم نظمـــتَ الشـــعر في مـــد   حـــي فأجزلـــتُ عطـــاءك
وعـــلى جـــوديَ - بعـــد اللـــ   ـــهِ - علَّقـــتَ رجـــاءك
أنـــت مـــن يـــوم بعـــادي   عنـــك لم تمـــلأ وعـــاءك
عَـــرَفَ الرِّفَـــاءُ يـــا أســـ   ـــمر مـــن بعـــدي كســـاءك
وعجيـــب منـــك أن تهـــ   ـــدم مَـــن أعْـــلى بنـــاءك
رُبَّ شـــخص أنـــت أحسنـــ   ـــت إليـــه فأســـاءك
صـــاح تُـــب أمنحـــك عفـــوي   وادْعُنـــي أقبـــلْ دعـــاءك
وإذا شـــئـتَ فكـــن ضيـــ   ـــفي وَقُـــدْ جيشـــاً وراءك
تجـــد المـــنَّ شرابـــاً   لـــك والســـلوى غـــذاءك

فتعلم منّي الجو دَ وعلَّم أقرباءك
لستَ بالمصريِّ أو تُعلنَ للناس سخاءك

فبعث إليه الشاعر محمد الأسمر بالأبيات الآتية وكانت ختام المداعبة

ويك يا محمود هل تنسى ردائي ورداءك ؟
يوم تمشي فيود الدهرُ لو قام قفاءَك
فاذكر الدار التي كنا بها واذكر بكاءك
لم تَحُزْ هِرةُ دار يوم أضربْنا مُواءك
طفتَ بالمطبخ سبعاً وتناولتَ حساءك
أنت لم تترك لمصرٍ يوم نادتك غداءك
أترى تتركُ للضيفِ ذا جاء عشاءك
يا صديقي هكذا كنا فهل صرت سواءك ؟
ياكريم العصر هل تبصر قلقاساً وراءك
ما هجوناك ولكنَّا ذكرنا لك داءك

والمقصود بالدار في هذه الأبيات دار مدرسة القضاء الشرعي التي كان الشاعران غنيم والأسمر زملاء دراسة بها أيام التلمذة .

وأما قصة القلقاس فتتلخص في أن تلامذة القضاء الشرعي أضربوا يوما عن دخول مطعم المدرسة احتجاجاً على تصرفات الإنجليز ضد الوطن . ولكن الشاعر

محمود غنيم لم يصبر على الجوع فدخل المطعم وحده وتناول الغداء وكان قلقاساً فالأسمر يعيره هنا بهذه الواقعة .

ويلاحظ من يقرأ هذه المساجلة :

١. أن الشاعرين التزما بحراً واحداً . وقافية واحدة . ومع ذلك فقد جاءت الصياغة الشعرية عند كليهما محكمة لا ضعف فيها ولا تكلف .

٢. أن المساجلة قامت على ادعاء من كلا الطرفين وقامت على تبادل الاتهام بالبخل وادعاء كل منهما أن له على الآخر فضلاً وأن الآخر لا يعرف الجود والكرم .

٣. أن الإطار الذي صيغت فيه أبيات كلا الشاعرين إطار أخلاقي يسيج بالأخلاق العالية الرفيعة فلا شتم ولا بذاءة ولا إسفاف وهذا هو شأن الفكاهة الراقية

٤. أن رد كل من الشاعرين على صاحبه كان يأتي سريعاً وقوياً في آن واحد

ومن فكاهات محمود غنيم ذات الوزن الثقيل ما وصف به شاعراً صديقاً له أغمي عليه عندما سمع صوت غارة جوية . وكان ذلك إبان الحرب العالمية الثانية وكان الشاعران في الإسكندرية . ومن عادة الناس في أثناء الحروب أن يستمعوا إلى بوق الإنذار . فإذا سمعوه لجأوا إلى اقرب مخبأ من تلك المخابيء التي تكون معدة تحت الأرض أو وراء ستائر رملية لتقي المدنيين من آثار القصف العشوائي

وقد لجأ الشاعر وأصدقاؤه فيما يبدو إلى أحد المخابيء . فلما حدثت الغارة أغمي على صديقه ذاك حتى إذا أفاق اكتشف أصدقاؤه أنه لوث نفسه . فقال غنيم هذه الأبيات التي نشرها "الأهرام" في ١٠/٩/١٩٤١م

أرأيـــــت صُـــــنْعَ محمـــــدِ   في مخبـــأ بالنـــاس حافـــلْ
ســـــمع الصـــــفير مدوِّيـــــاً   فتفككـــت منـــه المفاصـــلْ
مـــا كـــان أشـــجعَه فقـــد   لاقــى "القنابــل" "بالقنابــلْ"
ووهـــتْ عزيمتـــه فأفْلَـــتَ   يـــابسٌ منـــه وســـائلْ
ويحـــي عـــلى رفقائـــه   مـــن قاتـــلٍ هربـــوا لقاتـــلْ

وهكذا هرب أصدقاء ذلك الشاعر الرعديد من قصف القنابل خارج المخبأ فوقعوا فيما هو شر منها مما أحدث صاحبهم من جزع وهلع وتلوث بيئي وأصوات منكرة .

ومن أشهر أشعار محمود غنيم الفكاهية تلك الأبيات التي سارت بين أوساط المثقفين والأدباء وكررت الصحف والمجلات نشرها مرات ومرات لأنها ارتبطت بشاعر آخر هو ابراهيم ناجي . وقصتها أن الوزير الأديب دسوقي ابراهيم أباظة باشا وكان صديقاً لجميع أدباء عصره - دعا محمود غنيم مع آخرين إلى حفل رسمي وكان يتعين على من يحضر حفلاً رسمياً أن يرتدي الردنجوت [بدلة رسمية للمناسبات الرسمية] - فذهب غنيم بملابسه العادية فلما رآه الوزير سأله عن سبب عدم مجيئه بالردنجوت فتعلل الشاعر بأنه فكر أن يستعير واحداً من بعض أصدقائه - كما فعل ابراهيم ناجي - ولكنه تراجع عن ذلك خوفاً من أن يمنَّ عليه من يعيره . ودلل على ذلك بأن جميع الحاضرين يرتدون أزياء ردنجوت مستعارة فأنت ترى القصير منهم يرتدي زياً طويلاً ، والطويل يرتدي زياً قصيراً يقول غنيم :

"الردنجـوتُ" يـا جنـاب الـوزير   ليس يقوى عليه جيب الفقير
رمـتُ أن أسـتعيره مثـل "نـاجي"   ثم أحجمت خوفَ مَنِّ المعير
كـم رأيـت القصـير فـوق طويـل   ورأيت الطويـل فـوق قصـير
لست أرضى بثـوب غـيري وإن هـم   نسـجوه مـن سـندس وحريـر

ولما اطلع الأستاذ الشاعر ابراهيم ناجي على تلك الأبيات أجابه مداعباً بقصيدة طويلة جاء فيها :

وأُقسـم لـو أن " الردنجـوت " نِلْتَـه   وجاد به مَنْ جاد قهراً وسلَّفا
لقلَّبتَـــه ظهــــراً لــــبطنٍ تحــــيُّراً   به تحسبنَّ الوجهَ -مِنْ عَبَطٍ- قفا

فأجابه الشاعر بقوله هاجياً إبراهيم ناجي وكان طبيباً :

لنا طبيب يداوي الناس إن مرضوا   بالفصل ما بين أرواح وأبدان
ومـن تجـرع كـأس المـوت مـن يـده   فلـن يمـر عـلى جنـات رضـوان
ردّ " الردنجـوتَ " موبـوءاً لصاحبه   فلم يطهـره " محلـول السـليماني "

و" محلول السليماني " من محاليل التنظيف الشهيرة في ذلك العصر التي كانت ذات فاعلية في قتل الحشرات وعلاج الأوبئة .

وهكذا كانت حياة شعراء تلك الأيام : حباً متصلاً ، ووداً وثيقاً ، وفكاهة راقية على نحو ما نرى في دواوين طائفة كبيرة من هؤلاء الشعراء الذين يمكن أن نطلق عليهم شعراء الموجة الثانية الذين لم تتح لهم ظروف الحياة ما أتاحت لشعراء الموجة الأولى كشوقي وحافظ ومطران من شهرة وذيوع صيت ، فعوضوا ذلك بأن أسعدوا أنفسهم بالحب والتصافي بدلاً من الشهرة والتجافي .

الفكاهة في شعر ابراهيم ناجي

على الرغم مما عُرف عن الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي من خفة الظل وجمال الروح . فإن ديوانه المطبوع لم يحفظ لنا نوادره وفكاهاته الشعرية إلا بقدر يسير لا يتفق وما كان يرويه عنه مخالطوه من خفة الروح التي كانت تبلغ أحيانا حدًا لا يصل إليه الا القليلون حيث كان يتندر بنفسه وقد شاعت عنه قصة كان يرويها في مجالسه . خلاصتها أن أحد مرضاه كان رجلاً فقيراً أزرى به البؤس وأنهك جسده المرض . وكانت زوجته ترافقه إلى عيادة الدكتور إبراهيم ناجي . وبعد أن كشف الطبيب . أدرك بفطنته وعلمه أن مريضه لا يشتكي إلا الجوع الشديد فانتحى بزوجة الرجل جانباً وأخرج لها من جيبه مبلغاً لا بأس به من المال وأعطاها إياه ونصحها بأن تشتري لزوجها منه لحماً ودجاجاً وأن تعتني بطعامه وتصادف أن رأى تلك السيدة بعد حين في أحد الشوارع فناداها وسألها عما فعلت بالمبلغ . فقالت له في براءة إنها أخذت المبلغ وأخذت زوجها وذهبت به إلى طبيب آخر (يفهم في الطب) على حد قولها . إلى آخر تلك النوادر التي كان ناجي يقصها لجلسائه .

وأول ما يطالعنا من فكاهاته الشعرية تلك المعركة التي دارت بينه وبين الشاعر محمود غنيم ، فقد كانا مدعوين في حفل أقامه الوزير الأديب دسوقي باشا أباظه . وكان من شروط الحفل - كما اشترط الداعي - ارتداء " الردنجوت " وهو البدلة الرسمية التي تلائم المناسبات الرسمية . وحدث أن ذهب محمود غنيم بلباسه

العادي . فعاتبه دسوقي باشا أباظه لعدم ارتدائه الردنجوت - فقال غنيم إنه لا يملك الردنجوت لأنه فقير ، وما كان ليستعيره كما فعل ابراهيم ناجي وكثير من الحاضرين . فهاهم أولاء يجلسون وقد تخبطوا في لباسهم لأنها ملابس مستعارة لا تلائمهم طولاً وقصراً كما قال غنيم :

الردنجـوت ياجنـاب الـوزير ... لـيس يقـوى عليـه جيب الفقـير
رمـت أن أسـتعيره مثـل "نـاجي" ... ثـم أحجمـت خـوف مَـنِّ المعـير
كـم رأيـت القصـير فـوق طويـل ... ورأيـت الطويـل فـوق قصـير
لستُ أرضى بثوب غيري وإن هـمْ ... نسـجوه مـن سـندس وحريـر

ولم يكن ابراهيم ناجي ليسكت بعد أن أضحك غنيم عليه المجلس . فنظم قصيدة طويلة في هذه المناسبة بدأها بمدح الوزير الأديب دسوقي أباظة باشا فقال

دعـوت فلبينـا ودارُك كعبـةٌ ... بها انعقد الإخلاصُ والحبُّ طُوَّفا
خميلتُنـا تهفـو إليهـا قلوبنـا ... وأي فـؤادٍ لخميلـة مـا هفـا
بنـوك الألى تحنـو عليـهم تعطفـا ... وترعـاهم . بـراً بهـم متلطفـا
إذا خلعوا بعض الوفاء فسعهم ... فمثلك عن مثل الذي صنعوا عفا

وبعد أن يتحدث ناجي عن ندوة أباظة وما تفيض به من كرم وأريحية وما يجده الشعراء فيها من راح وروح وطعام وشراب . ينتقل إلى أصدقاء الندوة فيسأل إن كان فيهم من يستطيع أن ينقل للآخرين أخبار واقعة الردنجوت التي دارت بين ناجي وغنيم :

فيا ندوة السمار هل من مسجل ... يدوّن إعجاز القرائح منصفا
ليشهد أن الشعر شيء مشى بنا ... مع الطبع جل الطبع أن يتكلفا
وفي دمنا يجري به متواصلا ... مع النَّفَس الجاري وينساب مرهفا
فهل ناقل عني الغداة وناشر ... مقالة صدق قد أبت أن تحرّفا
حديث غنيم والردنجوت والذي ... جرى بيننا ما كنت بالحق مرجفا

ويحكي ابراهيم ناجي كيف رأى محمود غنيم أمام أطباق المائدة المتجاورة وقد دارت رأسه . واستبدت به الحيرة . وأخذ يتلفت يمنة ويسرة مستنجداً بمن يجاورونه عسى أن يسعفوه . فهو لا يدري ما طبيعة اللحم الذي أمامه . أهو لحم ديوك أم لحم خراف ؟ وما إن رأى إبراهيم ناجي قريباً منه حتى أرسل إليه نظرة مستغيث حائر يسأله أن ينتشله من هوة الارتباك حتى يعرف ما الذئي أمامه ؟ ففهم ناجي الإشارة وتقدم بشهامة ليقدم كلاً منهما للآخر . يا أيها الديك هذا أخونا محمود غنيم ، ويا غنيم هذا ديك يؤكل فتبادلا النظر ولم يتعرف أحدهما إلى الآخر إلا بعد جهد جهيد .

بصُرت به والصحن بالصحن يلتقي ... فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا
تراءى له لحم فلم يدر عنده ... تَدَيَّك من بعد الطوى أم تَخَرَّفا
وأومأ لي باللحظ يسألني به ... أتعرفه ؟ أومأتُ باللحظ مسعفا
وقدمته للديك وهو كأنما ... يطير إليه واثبا متلهفا
غنيم ! أخونا الديك! قَدَّمْتُ ذا لذا ... فهذا لهذا بعد لأي تعرفا

وما إن تعارف المتناكران : غنيم والديك ، حتى أخذا بأسباب المودة وتبادلا الغزل العفيف ، فارتفعت بينهما الكلفة . وما هي إلا لحظات فإذا بغنيم يصرع الديك ويمزقه إرباً إرباً بأسنان لا تعرف للرحمة اسماً . فأصبح الديك بين تلك الأسنان العتيقة نسيا منسياً :

وما هي إلا لحظة وتغازلا　　　وقد رفعا بعد السلام التكلفا
فمال على الورك الشهي مُمَزِّقَا　　　ومال على الصدر النظيف منظِّفا
جزى الله أسناناً هناك عتيقة　　　ظللن على الصحن الأباظي عكفا

ثم ينتقل إبراهيم ناجي إلى حديث الردنجوت فيخاطب صديقه غنيما فيقول : إنك تعيّر ناجي بأنه استعار معطف الردنجوت ، فلِمَ لَمْ تستعر أنت واحداً مثله ؟ إن سبب عدم استعارتك مفهوم وهو أنك لا تفهم كيف يرتديه من يرتدونه ولو أن أحداً أعارك إياه لتحيرت لا تدري كيف تلبسه ولم تعلم له ظاهراً من باطن ولا وجهاً من قفا وما ذاك إلا لما فيك من سذاجة و(عَبَط) :

تُعير ناجي بالردنجوت جاءه　　　معاراً فغامر واستعر أنت معطفا
وأُقسم لو أن الردنجوت نلته　　　وجاد به من جاد كرها وسلّفا
لقلبته ظهرا لبطن محيرا　　　به تحسبن الوجه من عَبَط قفا

ويعود ناجي بعد ذلك إلى نهم صديقه غنيم وجوعه . وما يلم به حين يرى العدس الأباظي الشهير وقد جيء به إلى المائدة . فإذا هو ينتفض انتفاضة المصاب

بالحمى إذا بشروه بالشفاء . وما إن يستوي الطبق أمامه حتى ينهال عليه ولا يتركه إلا قاعاً صفصفا :

رأيتـك والعـدس الأبـاظي قـادم	كـما انـتفض المحمـوم بُشِّرَ بالشـفا
وناهيك بالعدس الأباظي منظرا	عظـيما كـما هيـأت للعـين متحفـا
عـلى أنـه مـا جـاء حتـى رأيتـه	توارى كطيف لاح في الحلم واختفى
فللـه مـن لفـظ ببطنـك راسـب	قريـر ومعنـاه برأسـك قـد طفـا

وعلى غرار ما كان يفعل الشعراء القدامى حين يقولون (قفا نبكِ) - فقد كان لكل شاعر عربي رفيقان لا يفارقانه . أحدهما خادمه . والثاني راويته - ينادي إبراهيم ناجي رفيقيه ليقفا معه حتى يبكي الثلاثة إذا شاءوا البكاء . أو يضحكوا إذا شاءوا الضحك من منظر صاحبهم غنيم العجيب الذي تتراءى له صحاف العدس كأنهن غيد يغازلهن بعينيه فإذا أقبلت إليه واحدة منهن أنكرته وتساءلت من يكون ؟ مع أن ما به من جوع وشوق إليها لا يخفى على أحد (وهنا يُضمِّن إبراهيم ناجي البيت الشهير لأبي فراس الحمداني :

تسـائلني مـن أنـت وهـي عليمـة	وهل بفتى مثلي - على حاله - نُكُرُ؟

مع تعديل طفيف فيقول ناجي :

قفا نبك أو نضحك على أي حالة	قفا صاحبي اليوم من عجب قفا
كأن صحاف الدار في عين صاحبي	غـوان كسـتهن المحاسـن مطرفـا
أشـار لإحـداهن إذ بـرزت لـه	وناجته عن بعد وأبدت تعطفا

" تسائلني من أنت وهي عليمة " وهل بفتى مثلي على حاله خفا؟
سأخبرها من أنت! انك شاعر قنوع إذا ما الخبر جاء تفلسفا
ومن أنت حتى ترفض النعمة التي أتيحت وتأبى مثلها متقشفا
فتى حاله غلبٌ وآخره الطوى وخطته عبريّ ومشروعه اخفا

ومن فكاهات ابراهيم ناجي الشعرية الشهيرة تلك المقطوعة التي هجا فيها صديقا له دميماً، وصفه بأنه حشرة. وبأنه - بمنظره المشوه - يعتبر فخراً بداروين الذي قال بأن أصل الإنسان قرد. ويتخيل الشاعر أن أم صاحبه حين ولدته ونظرت إلى وجهه شعرت بأنها ارتكبت جرماً عليها أن تعتذر للبشرية عنه:

رجــــل أرى بــــالله أم حَشَرَهْ سـبحان مــن بعبيــده حشَرَهْ
يــا فخــر داروين ومذهبــه وخلاصــة النظريــة القــذرهْ
يــــا عبقريــــاً في شــــناعته ولــدتك أمــك وهــي معتــذرهْ

ويهجو ناجي شاعر سوء من أولئك الذين يرتكبون الشعر دون موهبة فإذا هم ينحتون من الصخر بيوتا لا روح فيها. فكأن ما ينظمونه حجارة يرجمون الناس بها إذا أنشدوها على مسامعهم. وها هو ذا ناجي يستمع إليه فيبلغ به اليأس مبلغاً عظيماً فيصرخ في وجه صاحبه: كفّ أيها المتشاعر فأنت لا تصلح لأن تكون شاعراً. فشعرك يزهق الأرواح لما فيه من ركاكة وما يسببه من إزعاج فليتك تموت ليستريح الناس:

أيهـــا الحـــي ومـــا ضر — الـــورى لـــو كنـــت مُتّـــا
أوَ شـــعرٌ ذاك ؟ لا بـــل — حجـــر ينحـــت نحتـــا
تلقـــم النـــاس وترميـــ — ـــهم بـــه فوقـــا وتحتـــا
صـــحت مـــن يـــأسي لمـــا — بركيـــك الشـــعر صـــحتاً
آه يـــا قاتـــل يـــا سفـــ — ـــاك ! حتـــى أنـــت حتـــى !

وهكذا يبدو أثر ثقافة ناجي في شعره الفكاهي ، فهو طبيب ثقافته علمية ومن ثم فهو يجنح إلى وصف دمامة مهجوه بأنها تطبيق لنظرية داروين ، ويتمنى لمهجوه الآخر الموت . والحياة والموت من المفردات الشائعة في لغة الأطباء لأنها ترتبط بطبيعة عملهم .

أمير الشعراء... المزيف!

في أواسط القرن العشرين، كانت المنتديات الأدبية، والسهرات الثقافية على المقاهي سمة بارزة من سمات الحياة الفكرية في مدينة القاهرة.

وكان جماعة من الشعراء قد اعتادوا في سهراتهم الأدبية أن يتبادلوا الدعابات والمرح، ولا تخلو لياليهم – بين حين وآخر- من متطفلين يفسدون عليهم متعتهم، فإذا بهم يوسعون أولئك المتطفلين هجاءاً وسخرية ونقداً.

وكان من أولئك المتطفلين شويعر خفيف الظل اسمه "حسين أفندي محمد" كان محبّباً إلى الشعراء لخفة ظله التي تغفر له ركاكة شعره. ولكنه كان شديد الإيمان بأنه شاعر عظيم!! وأنه سيد شعراء عصره ولا فخر ، وقد لقّب نفسه بلقب

"البرنس" وهي بالإيطالية تعني الأمير. وذات ليلة من ليالي شهر رمضان. اقترح الشعراء إقامة حفل لمبايعة البرنس "حسين أفندي محمد" أميراً للشعراء بعد أن مر نحو ربع قرن على وفاة "أحمد شوقي بك" دون أن يخلفه أحد على إمارة الشعر العربي!!

وكان من بين هؤلاء الشعراء: "محمد الأسمر" و"أحمد الكاشف" و"السيد حسن القاياتي" و"محمد الهراوي" و"حسين شفيق المصري" و"كامل كيلاني"...وغيرهم.

وقد قال الشاعر "محمد الأسمر" في تلك الحفلة قصيدة في مبايعة أمير الشعراء البرنس "حسين أفندي" جاء فيها:

يـــــا أمـــــيرَ الشُّـــــعراءْ   أنـــــــتَ أوْلَى بـــــــاللواءْ
ســــيدي فلتهنــــإ اليــــو   مَ بمُلْـــــكِ الأدبــــــاء
(امـــرؤُ القـــيس) عــلى بــا   بـــكَ بعـــضُ (الأُمَنَـــاء)!!
و (أبـــو الطيِّـــب) في الـــدو   لـــةِ بعـــضُ الــــوزراءْ!!
و (النُّـــــواسيُّ) و(هـــــا   رونُ)معـــــاً في النُّـــــدماء؟!
و (المعـــريُّ) لَـــدى السُّـــ   ـــدَّةِ يجبـــو للعَـــلاء!!

ســـيدي رجِّـــعْ لنـــا شِعْـــ   ـــرَكَ، واهتِـــف مـــا تشـــاء
حيــــثُ لا تســــمعُكَ الأَر   ضُ، ولا تُصـــغي الســـماء
ســـيدي مـــولايَ يـــا مَـــوْ   لَى جميـــع الشـــعراء

ثَبَّتَ اللهُ لكَ (العَرْشَ) وإن كانَ هواءْ!!

وقال الأستاذ "أحمد الكاشف":

إمارةُ الشعر خُذْها يا حسينُ فقد ... أتى يبايُعكَ الإخوانُ والصَّحبُ
وأدرك اللقبَ المُضْنَى سِواكَ بهِ ... ليطمئنَّ إلى غالي اسمك اللقبُ
يا مَنْ يُدَبِّرُ سلطانًا ومملكةً ... وليسَ فيها لهُ بيتٌ ولا نَشَبُ
ومَن يُحَيِّيه اتباعٌ وحاشيةٌ ... وقد يُقام لهُ التمثال والنُّصُبُ
وحسبُكَ اليوم دار الكتب عاصمة ... لدولتيك، وإيواناً كما يجب
من لي بسدتك العليا أُقَبِّلُهَا ... ودون سدتك الأستار والحجب
هذا نصيبي من الفوضى ظَفرتُ به ... من بعد ما خانني في غيرها الأدب
لم يغنني الجد في قول وفي عمل ... وقد لعبتُ عسى أن ينفع اللعب!!

وقال الأستاذ "محمد الهراوي":

إلى العرش فاصعدْ وامضِ بالأمر واقطعِ ... ومُر، وانهَ، وامْنح ما بدالك، وامنعِ
وصرِّفْ أمور الشعر في الأمة التي ... تُميتُ رجال الشعر فيها ولا تَعي!!
فأنت أمير الشعر غير منازع ... وكل أمير غير شخصك مُدّعِ

وقال الأستاذ "السيد حسن القاياتي":

يا حسين يا عزيزي يا أميري ... يا أمير الشعر في اللب الغرير
سد كما ساد صرير شد ما ... أمَّرَ الأقلام في وادي الزئير

وقال الشاعر " حسين شفيق المصري":

يا حُماةَ القريضِ حولَ البرنس … أصبحَ الشعرُ دولةً ذاتَ كُرْسي
وهل الحكم والإمارة إلا … لبرنس يُضحي برأي ويُمسي
يقرض الشعر مثلما يقرض الفا … ر حبالا قد تلت من دمَقْس
كان من قبله القريض بجلبا … ب فأضحى (ببنطلون) (وجرس)
أيها الشاعر الكبير رضينا … ك أميراً، فكنه تفديك نفسي

وقال الشاعر" كامل كيلاني":

تِه بالإمارة لا تعدل بها بدلاً … وقم بأعبائها - إن شئتها - بطلا
قد ارتضاكَ حُماةُ الشعر قاطبةً … أميرَهُمْ فلتكنْ في عصرنا مثلا
عابوا المقلد في الأشعار ينظمها … وأنكروا أن يروه نادباً طللا
قلنا "صدقتم. فهاتوا من روائعكم … فجمجموا القول مسروقاً ومنتحلا
قلنا " أبينوا، خسئتم، لا أبالكم … وأفصحوا هبلتكم أمكم هَبَلا
فأجفلوا، ثم قالوا:" ما لمثلكم … أبداعُنا، فرأينا جدهم هزلا
قد جَدَّدَ العصرُ في وزنٍ وفي لغةٍ … فلست تعرفُ شعراً قال أم زجلا!!
رطانةٌ لستَ تدري حينَ تسمعهُا … أقالَ مُحتفلا أمْ قال مُرتجلا
فكن أميراً لهذا العصر مضطلعاً … بثقلهِ واحتملْ أعباءهُ رجلا
إن يركب الجحش شُعرورٌ لغايته … فما رأيناك إلا راكباً جملا
وإن يكنْ شعرُهم من سَخْفهِ بصلاً … فإن شعرك يحكي الشهدَ و العسَلا

(مُرْ وادع وانه وسل وأعرض لخضهم   تمــن وارج كــذاك النفــي قــد كمــلا)

وقال الشاعر الخطاط الشهير "سيد إبراهيم":

مــن حيــثُ إنَّ الفنــونَ أضـحتْ   في مركـــــزٍ تـــــاعسٍ خســــيسِ
وصـــارَ أمــرُ القــريضِ فَـوْضى   ولـــيسَ للشـــعر مـــن رَئـــيس

****

وحيـــث إن الــــبرنسَ أهــــل   لـــــذلك المنصـــــبِ الخطــــيرِ
قــد قــرر المحتفــون جَمْعــاً   تقليــــده منصــــب الأمـــــيرِ

****

فيــا أمــيرَ القــريض أقــدم   وبــدّل الفــــنَّ مـــن أساسِــه
ومَــنْ يُخــالف فامنحــه عفــواً   وإن تشـــأ فلـــتطح براســـهْ

****

واقبـــل إذا شـــئتَ بعـــد هـــذا   إمـــــارة الخـــطّ مُسْـــتَقِلاَ
فقــد غــدا الفــنُّ لا يســاوي   قلامـــــة الظفـــــر أو أقـــــلاَ

****

والشـــعر في مصر يـــا أمـــيري   مســـتفعلن فاعـــل فعـــول
فكـــن أمـــيراً عـــلى القـــوافي   فالنـــاس ليســـت لهـــم عقـــول

وقال الشاعر" عبد الجواد رمضان ":

دَعتْــكَ وقــد تَــوَافَر طالبُوهــا   وهـــل يَحْـــوي العُـــلاَ إلاَّ بَنُوهـــا

أمـيرُ الشـعر أنـتَ وإن تَغـالَى | وأسرفَ في الدّعايـة مُـدَّعُوها
جِيـاعٌ تـاجروا باسـم القـوافي | وقـد ربحـوا الحيـاةَ و أخْسَرُوهـا
سـأحمي عَرْشَـها وأذودُ عنهـا | زعـانفَ للرذيلـة سَـخَّروها
وهـل خُلقتْ جلالتُهـا لغـيرِي | وشِـعْرِي أمُّهـا وأنـا أبُوهـا

وقال الشاعر" عزيز بشاي ":

على العرش فاجْلس أو على النجم فاحللِ | فـدونك هـذا منـزلاً بعـد منـزلِ
بلغـتَ سـماءَ الشـعرِ وحـدك عاليـاً | عـلى النـاس فـالبس تاجَـهُ وتقبَّـل
وصِرْتَ أمـير العـرشِ فـارفع لـواءهُ | على مصرَ واجلس في الإمارةِ وانجل
أمـيرٌ إذا هـزَّ اليراعـة أقبلـتْ | ملـوكُ النُّهَـى تسـعى إليـك وتجتلي

وفي نهاية الحفل ألقى أمير الشعراء المزيف قصيدتين اثنتين. وفيما يلي القصيدتان اللتان أنشدهما (البرنس) في هذا الحفل الدُّعابي.

القصيدة الأولى:

عـلى الشعراء قـد صرتُ الأمـيرا | وإن كنـتُ الجَبْعْنَـة الصـغيرَا
أنـا (المتنبـي) في نظمي ونثري | أقـول الشِّـعر مخـتلا فخـورا
وإني للـرّئيس بكـلِ نـادِ | أحـاكي الشـمس في الـدنيا ظهـورا
بـدار الكتـب قـد قضيت عمري | نقـى الجيـب أسـتاذاً حصـورا
تـلاني الشـاعر المتنبـي قـدما!! | وجبـت قريضـهُ سـبحاً بحـورا
لـوائي قـد سـما فـوق الثريـا | لـه القِـدح المُعـلَّى هـدىً ونـورا

لــه القــدح المعــلى في المعــالي لــوائي مــا بــدا يســمو البــدورا
عــلى الشـعراء قـد صرتُ الأمـيرا عــلى الشــعراء قــد صرتُ الأمــيرا

القصيدة الثانية :

رجــال المجــد دُمْــتُمْ للمعــالي مَــدى الأيــام في تَحســين حــالي!!
فــأنتم ســادةُ الأدبــاء طــراً وأنـــتم كالفرائــد في الجــمال
فهــذي حفلتــي بكــمُ أقيمــتْ بــرغم حواســدي، آلَ العــوالي
أدام الله ســـعيكمُ إلينـــا بحــاء قبــل مــيم قبــل دال؟!
بكــم نلــت الإمــارة في قــريضي بكــم جــزت الأواخــر والأوالي
لشــاعركم بــرنس المجــد كونــوا لــه نعــم الــشِّمال مــدى الليــالي
برنســكم لكــالمتنبي شــعرا وفي هــذي الإمــارة فهــو تــالي
أدام الله عليــاكم جميعــاً لإحيــاء المــروءة كــالخوالي
وأبقــى أنســكم في كــل نــادٍ وأجلســكم عــلى الســبع الطــوال
وأحيــاكم حيــاة لي وعــزاً وأبقــاكم لنــا دونَ انفصــال
وأبقــاكم طــوال العصر حصنــاً وجاهــاً لي بَــدا دونَ الــزوال
بكــم تبــدو المواســم وهــي تشــدو رجَــال المجــد دمــتم للمعــالي

الفكاهة في شعر العقاد

ليس في عنوان هذا المقال خطأ من أي نوع . فقد كان العقاد شاعراً ما في ذلك شك . وإن أنكر ذلك كثيرون . وكان العقاد فكهاً مرحاً ما في ذلك شك . وإن جهل ذلك الكثيرون . والذين عاصروا ندوة العقاد سجلوا . ورووا في مجالسهم الكثير من " قفشات " الأستاذ - كما كان يلقب بحق - التي تنم عن خفة ظل مطبوعة ودعابة مركوزة في هذه النفس العظيمة التي كانت تتخفى دائماً وراء قناع من الهيبة والوقار .

والذي يتابع روح الفكاهة في دواوين العقاد يجد كثيراً مما يؤيد ما نذهب إليه من غلبة روح الفكاهة على نفسية العقاد كما تبدو في شعره .

ولم يكد ديوان من دواوين العقاد يخلو من قسم مخصص لأشعاره الفكاهية وعلى سبيل المثال ففي ديوانه الأول (هدية الكروان) نجد قصيدة فريدة في بابها عنوانها (البيلا) وهي منظومة في طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقداراً قليلاً جداً من الجعَّة (البيرة) يشربه بين حين وآخر . فألف الطفل الجعَّة واستطابها وأصبح يؤثرها على الحلوى والفاكهة . وفي هذه القصيدة يتحدث العقاد على لسان الطفل الذي لا يكاد يحسن نطق كلمة (البيرة) فينطقها (البيلا) ويقول ما أحلى شرب البيلا ! ويكتبها العقاد على لسان الطفل (ما أحلى سُلْب البيلا) ومن هذه القصيدة :

البـــيلا ، البـــيلا ، البـــيلا — البيلا ما أحلى " شُلْب البيلا "
هـــاتوا البـــيلا واســـقوني — هـــاتوا البـــيلا داووني
الطـــب " ودينـــي " يوصـــيني — بـــالبيلا ، تحيـــا البـــيلا
البـــيلا ، البـــيلا ، البـــيلا — مـــا أحـــلى البـــت البـــيلا
مـــالي ومـــا الشـــكولاتا — تمشي لي تاتـــا تاتـــا
بطـــلٌ مـــثلي هيهاتـــا — بـــالحلوى ينســـى البـــيلا
البـــيلا ، البـــيلا ،البـــيلا — أبـــدًا لا أنســـى البـــيلا

وفي ديوانه الثاني (أعاصير مغرب) تتراجع الفكاهة المباشرة لتطل برأسها في ثنايا قصائد أو مقطوعات جادة الفكرة ولكنها لا تخلو من مفارقة كما في قوله

مـــن جانـــب القـــبر لســـانٌ بـــدا — يكـــذب مـــا شـــاء ولا يستحـــي
هـــذا هـــو التـــاريخ لـــو أننـــي — صـــورته يومـــاً عـــلى المسرح

ويضم هذا الديوان قصيدة العقاد الخالدة في رثاء كلبة الوفي " بيجو " الذي قدم لها بمقالة ضافية نشرها في مجلة الرسالة في ١٩٣٠/١٠/٣م عدد فيها مزايا كلبة الفقيد وخصاله وحلل نفسيته أيما تحليل وأتبعاها بقصيدته في رثاء الكلب والتي مطلعها :

حزناً على بيجو تفيض الدموع — حزناً على بيجو تثور الضلوع

وفي ديوانه الثالث (بعد الأعاصير) نجد قسماً خاصاً بشعره الفكاهي نقتطف منه تلك الأبيات التي بعث بها إلى الوزير الأديب إبراهيم دسوقي أباظة

الذي كان قد دعاه عدة مرات إلى ندوته التي كان يحضرها الكثيرون من أدباء مصر في الأربعينيات . وكانت تنتهي دائماً بوجبة من "العدس الأباظي " الشهير . وحدث أن اعتذر العقاد مرة بعد مرة عن تلبية الدعوة حتى إذا استشعر الحرج من كثرة الاعتذارات أناب عنه صديقه الشاعر العوضي الوكيل وبعث إلى ابراهيم دسوقي باشا يقول :

يــا مطعــم الأدبــاء مــن ... خــير الــذبائح والبقــول
مــا طــاب مــن ضــأن ومــن ... طــير ، ومــن عــدس وفــول
" عــوضي الوكيــل " إذا دعــوا ... ثــم دعــوةً عــوضي الوكيــل
عــوضٌ إذا مــا شــئتمُ ... عنــي وأكّــال أكيــل
بــين الموكــل والمؤكــ ... ــل ، فــاز بــالغنم الأصيــل

ويسخر العقاد من الجاهل الذي يطرق ساكتاً فيخشى الجالسون بأسه ويظنونه على شيء من العلم . ويدلل العقاد على أن الإطراق والسكوت لا علاقة له بالفكر . فالحمار أخشع ما يكون حين يأكل الشعير مطرقاً :

لا تغرّنّــك منــه إطراقــة الــرأ ... س فليســت برأســه أفكــار
أشــبه الخلــق بــالمفكر إطــرا ... قــاً ، لــدنْ يأكــل الشــعيرَ ، حمــار
رأســه مطــرقٌ وفيــه خشــوع ... وهــو للجهــل رمــزه المســتعار

وفي ديوانه الرابع (وحي الأربعين) نجد العقاد يقتفي أثر صديقه الشاعر العربي القديم ابن الرومي الذي كان من أكابر الهجائين وأجملهم تصويراً . والدي

برع العقاد في تحليل نفسيته في دراسته التي كتبها عنه . يقتغي العقاد أثره فيهجو سيدة قبيحة فيبدع في هجائها فهي في دمامتها كأنها خلاصة مركزة تجمعت فيها دمامة سبعين قرداً لا قرداً واحداً يقول العقاد :

من رأى زهرة الجمال فهذي زهرة القبح أسفرت تتحدى !
طلعة الشؤم من رآها يخلها خُلقتْ من وجوه سبعين قردا

ويرثي العقاد - في الديوان نفسه - كلب صديقه الشاعر الأديب طاهر الجبلاوي فيقول إن الفقيد الكريم - الكلب - يشبه صاحبه في أخلاقه وصفاته . بل ربما فاقه أحياناً حين يصيب العيُّ طاهراً وينبح كلبه في لباقة حاضرة :

حزناً على كلب طاهرِ فإنه طاهر الكلاب !
تشابها في خليقةٍ واتفقا - شيمة الصحاب
وربما عَيَّ طاهرٌ وكلبه حاضر الجواب
فليس يوفيه حقه من اكتئاب أو انتحاب
إلا إذا بات نابحاً نبح المساعير في الخراب
عوْعوْ ، عَوَوْوَوْ، بلا وَنَى ولا انقطاع ولا اقتضاب

ويهيب العقاد بالباكين على الكلب ألا يطلبوا له الرحمة . فإن الله تعالى قد رحمه حين أرسل إليه الموت لينقذه مما أصابه من جوع عند صاحبه طاهر الجبلاوي ويستخدم العقاد تورية لطيفة وتضميناً شعبياً محكماً حين يقول (من جاع فليرض

بالتراب) وهي كناية عن الرضا بالقليل واستخدمت هنا تورية لأن الكلب لما دفن بالتراب فكأنه رضيه بديلاً عن الجوع الذي فر منه . يقول العقاد :

لا تسألوا رحمة له ... قد رحم الله واستجاب
لعله مات قانطاً ... من "أزمة" الأكل والشراب
منتحراً في شبابه ... وهكذا يفعل الشباب
أراحه الله من ضنىً ... أنقذه القبر من عذاب
فليحمد الله ربه ! ... من جاع فليرضَ بالتراب

وينتقل طاهر الجبلاوي إلى محافظة سوهاج في الصعيد فيرسل إليه العقاد الأبيات التالية يدعوه فيها للحضور لقضاء أحد الأعياد في القاهرة . وهي في ديوانه (ما بعد البعد) الذي أصدره المرحوم الأستاذ عامر العقاد ابن شقيق العقاد بعد وفاة عمه . يقول العقاد :

في العيد منتظروكا ... فاحضر لنا يا ويكا
سوهاج أضيق من أن ... تغنيك أو تحتويكا
فالعيش فيها ضنين ... بكل ما يرضيكا
ولو أردت انتحاراً ... لما وجدت (فِنِيكَا)

[والفنيك هو نوع من الكيمياويات السامة]

ويكاد العقاد في قصيدته هذه أن ينتهج نهج الشعر الحلمنتيشي الذي يزاوج في بنائه الفني - بين الكلمات الدارجة والكلمات الفصحى . فهو ينحت الفعل

(يقيقهر) للدلالة على من يسكن القاهرة مقابل الفعل (يسوهج) للدلالة على من يسكن سوهاج . ويستخدم كلمتي (جهركا . وسيكا) وهما مقامان موسيقيان مختلفان كما تختلف سوهاج عن القاهرة :

ومـــن يقيهـــر خـــير   ممـــن يســـوهج ديكـــا
هـــذا يغنـــي جهركـــا   وذاك ينشـــد ســـيكا
وذا يصـــيح فصـــيحاً   وذاك يهـــذي ركيكـــا
وجـــائز حـــين تـــأتي   ألا تعـــود وشـــيكا
تظـــل في مصر نســـياً   كـــما هنـــاك نســـوكا

وذات مرة كان طاهر الجبلاوي في الفيوم . فامتدت يد أحد اللصوص فسرق حافظة نقوده ولم يترك له شيئاً . فاستنجد بصديقه العقاد ليرسل له نقوداً . فأرسل له العقاد " شيكاً " ومعه الأبيات التالية يتهمه فيها بانه ظلم اللصوص حين ادعى أنهم سرقوه ويصفه بأنه (خيتعور) وهي كلمة عامية لا معنى لها وإن حملت سمة التهكم فيقول :

تتجنى على اللصوص من الظلم   فيـــا ليـــتهم تجنَّـــوا عليكـــا
إن يكـن ضـاع مـا ضـاع فـاعلم   أن كفيـــك غالتـــا كفيكـــا
بـــين كـــأس شـــهية وكتـــاب   عبقـــري تجلـــو بـــه عينيكـــا
فتقبـــل شـــيكاتنا ، ثـــم حـــاذر   أن تـــزوغ الشـــيكات مـــن كفيكـــا
ثـم هـرول يـا خيتعـور مـن الفيـوم   جريـــاً ولـــو عـــلى قـــدميكا

ويبدو أن حظ طاهر الجبلاوي مع الصعيد كان سئاً للغاية فبعد أن سرقوه في الفيوم ، وبعد أن نقلوه إلى سوهاج ، نقلوه إلى أسيوط فأرسل أبياتاً لصديقه العقاد يستعيث به ليتوسط له في النقل إلى القاهرة ، ويصف له أهل أسيوط بأنهم آية في سوء العشرة فيقول الجبلاوي :

هـــــل أنصـــــفوا الجـــبلاوي	وهـــــو بأســـــيوط ثـــــاوي ؟
أعـــــيش بـــــين أنـــــاس	هـــــم آيـــــة في المســـــاوي
مُصــــــــــبَّحاً ومُمَسَّي	مـــــنهم بـــــذئب عـــــاوي
واللـــــؤم والشر فـــــيهم	أضـــــعاف مـــــا قـــــال راوي
أنجـــــد أخـــــاك فـــــإني	عـــــلى شـــــفير هـــــاوي

ويرد عليه العقاد قائلاً إنه كلم له قوماً في شأن نقله منهم الأستاذ محمود رشيد ويبدو أنه كان صاحب مركز في الوزارة . فلم يفعلوا شيئاً . فعليه أن يصبر إذاً على ما هو فيه [وإذاً هذه تساوي في لهجة القاهرة كلمة : بقى - بفتح القاف - التي استخدمها العقاد هكذا وهم ينطقونها بأه] يقول العقاد :

كلمـــــت في النقـــــل قومـــــاً	مـــــنهم رشـــــيد وغـــــاوي
ومـــــــنهم مســـــــتقيم	فـــــيها يقـــــول ولاوي
فـــــما أفـــــادوا بشيء	إلا عـــــريض الـــــدعاوي
فاقعـــــد بقـــــا واصـــــطليها	في الحـــــر والحـــــر شـــــاوي

وهكذا أظهرت النماذج السابقة - وما هي إلا أمثلة - كم كان العقاد يتمتع بروح مرحة أضفت على أشعاره ، ومن قبلها أضفت على علاقاته الاجتماعية جواً من الحب والود ، ولعل في تلك النماذج خير دليل على شاعرية العقاد من جهة وتقديره للفكاهة من جهة ثانية .

المعنى في (بط) الشاعر!!

شاع على الألسنة عند التوقف أمام بيت شعري غامض قولهم : " المعنى في بطن الشاعر"!! أي في عقله ، وذهنه . ولكن المعنى في القصة التالية في " بطن " الشاعر الحقيقية : أي في معدته !! ويمكن أن نقول إن المعنى في القصة في " بط " الشاعر الكبير الدمياطي محمد مصطفى الماحي (١٨٩٥-١٩٧٦) .

فحين صدر " ديوان الماحي " في طبعته الثالثة عام ١٩٦٩م [وكانت الطبعة الأولى منه قد صدرت عام ١٩٣٤ في العام ذاته الذي صدر فيه أول ديوان لكل من إبراهيم ناجي وعلى محمود طه ثم صدرت الطبعة الثانية من ديوان الماحي عام ١٩٥٧م] . احتفلت به الأوساط الأدبية في مصر ، وأقيمت عدة ندوات حول هذا الديوان في دار " جمعية الشبان المسلمين " بالقاهرة ، وفي دار " جمعية الشبان المسيحية " وفي دار " جمعية الأدباء " ، وفي دار " الرابطة الإسلامية " ورابطة الأدب الحديث وغيرها .

وفي إحدى هذه الندوات ألقى الشاعر الفكه عبد السلام شهاب قصيدة متميزة ، غمز فيها الشاعر الماحي غمزتين فكاهيتين ، أولاهما حين تحدث عن حجم الديوان الضخم فقال :

ديـوان " المـاحي " الـدمياطي ... سـبحان الوهـاب العـاطي
أرأيـتم دفـتر تليفـونٍ ... " معبوطاً " أو " تحت الباطِ"؟

ثم انتقل إلى الغمزة الثانية ليصنع منها المفارقة . فهذا الشاعر الذي أنتج ديواناً بهذا الحجم الضخم الذي جعله أشبه بدليل التليفونات هو من أهل دمياط المعروفين بين المصريين بشدة حرصهم – أو بخلهم – فيقول شهاب :

هو من دمياط – لا عجب !!– يــــزن الــــدنيا بــــالقيراطِ
والـــــــدمياطي بفطرتـــــــه " لقَّــاط " القــرش بملقــاط

ومع أنه من بلد معروف أهلها بشدة حرصهم . وجمعهم المال والحفاظ عليه فإنه رجل كريم . سمح . يستمتع أصحابه إذا كانوا ضيوفاً عليه بما يأكلون وما يشربون :

واســـأل مـــن زاروا منزلـــه عـــن ألـــف ســـماطٍ وســـماطِ
فلبســـتان المـــاحي صـــيتٌ في جمـــع الـــبط " الزغـــاطي"

وبالرغم من أن عبد السلام شهاب – فيما يبدو بعد ذلك من المعركة – لم يكن قد زار الماحي ولا ذاق طعم بطه ولا طعامه . فإن حيلته قد نجحت . وانطلت على الشعراء حاضري الندوة.

وكان الشاعر محمود غنيم واحداً من أبرز شعراء الفكاهة والمساجلات الإخوانية . وكان مشغوفاً بالدخول في معارك " البطون " بصفة خاصة كما نرى في قصائده عن العدس الأباظي . ولحوم الخراف . والديوك . . وغيرها مما نجده في ديوانه .

وبعد انتهاء الندوة كتب محمود غنيم إلى صديقه الماحي يعاتبه لأن عنده مزرعة بط وأطعم منها عبد السلام شهاب وغيره من أصحابه ولم يدع غنيماً معهم مع شدة ما يرى من الغلاء الفاحش الذي يفتك بالناس . فقال يخاطب الماحي :

قد سمعنا عن بطكم ما سمعنا ... فأكلنا بالأذن حتى شبعنا
غير أن الأفواه تنطق همساً: ... ما عرفنا لذلك البط معنى!!
يا أبا مصطفى ، عليك سلامٌ ... أفيُرضيك أن شبعتَ وجُعْنا؟
وسع الناس كلهم بطك النا ... ضِج دُهناً ، لكنه لم يسعنا
جُدْ علينا ولو بطيف جناح ... لا تَدَعْنا نشكو الطوى،لا تدعنا!
نحن في عهد أزمة وغلاءٍ ... قد رهنَّا فيه المتاع وبعنا
نحن قوم لنا العفاف شعارٌ ... إن سُقينا حِسَاءَ بط قنعنا
وإذا نالنا كريم بإحسا ... نٍ ، شكرنَا صنيعه وأذعنا
ونذيق البخيل هَجْواً وبيلاً ... مِثل حدِّ السلاح ضرباً وطعنا
صاح،لا عذر بعد هذا،فقُلْ لي: ... قد سمعنا ما قلتَه وأطعنا

وحين وصلت أبيات محمود غنيم إلى الشاعر الماحي ، أدرك أنه خاسر لا محالة ، فإما أن يدعو غنيماً وصحبه إلى وليمة ضخمة تجور على ثروته من البط وإما أن يستعد لقصائد الهجاء المقذعة فيخسر سمعته ومكانته الرفيعة بين أدباء عصره ، فلجأ إلى التحايل ورفع لواء المسكنة ، والتشكي من الغلاء والبلاء وسوء الحال ، وزعم أن عبد السلام شهاب لم يزره ولم يطعم عنده بطاً ولا دجاجاً ، وإنما

قال ما قال تحت وطأة الجوع . وللجائع أن يحلم كيف شاء بما شاء فكتب إلى محمود غنيم يقول :

يا أخي ، يا غنيم ، رفقاً بحالي إن عبد السلام بات يُغالي
لا تصدق ما قاله ، يا صديقي إنه شاعر رحيب الخيالِ
لم يزرني ولم أزره ، ولكن هاجه الشوق للطعام الغالي
كان فيما مضى يُقدَّمُ بطٌّ ودجاجٌ مُحمَّرٌ في المقالي
يوم كان الزمان سهلاً رخياً لا يمر الغلاء فيه ببالِ
فغدا البط والدجاج - كما تَعْـ ـلم - ضربين من ضروب المحالِ

ويبدو أن الماحي بعد أن كتب الأبيات السابقة خشي مما كان يعرفه من سلاطة لسان غنيم ، وتخيل ما ينتظره من سوء العاقبة إن لم تنطل على غنيم حيله السابقة، وشكاواه من الغلاء . فأردف يدعوه دعوة رقيقة لا جزم فيها ولا تحديد موعد فقال :

غير أني - وقد تصوَّرتُ ما قا ل صحيحاً - أراه سهل المنالِ
لك عندي وللصديق شهاب أسمن البط في قريب الليالي
ولمن شئت من محبيك طُراً أنا والله لست بالبخَّال
فاقترح ، يا أخي - فديتك - يوماً واختبر - إن شككتَ - صدق مقالي

ومع ذلك فلم يسلم من لسان غنيم ، الذي أرسل إليه يسخر مما جاء في قصيدته من ادعاء للفقر ، وشكوى من الزمان ، مما كاد يدفع بمحمود غنيم إلى أن

يتبرع له بما يملك من قوت أولاده . وسخر من دعوته التي جاءت في آخر أبياته لأنها دعوة مذبذبة لا حسم فيها ولا تأكيد . فقد تلقى من محمود غنيم قصيدة حادة اتهمه فيها بالبخل ومحاولة التمسح بالغلاء، مع أن أصحابه لم يطلبوا منه ذبح عجل من الماشية ولا ذبح ناقة ولا جمل . لكنهم لم يجمحوا بخيالهم الطامح لأكثر من ذبح بطة هزيلة جائعة. فلماذا يصر على دعوتهم بهذا القلب الهلوع ؟ وتلك النفس الوجلة ؟ فقال غنيم للماحي :

أيهـا الشـاعر الرقيـق الحـال ... أنـا لم أدرِ أن جيبـك خـالي
أنت قد بِتَّ تدَّعي الفقرَ حتى ... كِدتُ أهدي إليك قوت عيالي
ما طلبنا إليك ذبح فَصِيلَيـ ... ـن ، وفحلين من فحول الجمالِ
بل طلبنا جناح أنثى من البط ... إلى الله تشتكي من هُزالِ
فعلام الأسى، وطول التشاكي ... والتباكي على الزمان الخالي؟
لستَ ممن يدعو الضيوف بقلبٍ ... بل بقول ممزقِ الأوصال
لست ممن يدعو بطرف قريرٍ ... بل بطرفٍ ذي مَدمَع سيَّال
مُومِئاً نحو باب دارك للضيـ ... ـف بيُمناك ، طارداً بالشِّمال
والكريم الكريم يدعو بقلبٍ ... ثابتٍ ثابتٍ ثبات الجبالِ

ثم بدأ غنيم في تنفيذ ما هدد به من هجاء مقذع . فقال للماحي إنه ابن أصل لهذه المدينة التي اشتهرت بين المصريين بالحرص الشديد . مع ما عرف من أنها بلد الأدباء والشعراء . ونفض محمود غنيم - بهذا الهجاء القومي - يده من

فكرة دعوته إلى أكلة من بط الماحي ، وليستعد الماحي بعد ذلك لجولات أخرى من الهجاء في كل مناسبة فقال غنيم :

يـا ابـن دميـاط ، إنّ دميـاط — إن عدّت بنيها تعدك ابن حلال !!
إن دمياط مهبط الشعر ، لكن — هـي في الخـرص مضرب الأمثـال
إن أنجالهـا كثـير ، ولكـن — أنت ، يا صاح ، أنجب الأنجال !!
بكرُهـا أنـت حكمـةً وبيانـاً — وفتاهـا حرصـاً عـلى الأمـوال !!
صاح دعني من أكل بطك،دعني — أوثـر الجـوع ؛ إن عِـرضيَ غـالي!

واستمرت المعركة سجالاً ، فرد الماحي مدافعاً عن نفسه ، متذرعاً بسوء الأحوال – مرة أخرى – والغلاء الفاحش ، واستغرب ألا يحس غنيم بوطأة هذا الغلاء لما حققه من ثراء وما جمعه من ثروة :

يـا صـديقي،لقد عهـدتك عـدلاً — منصـفاً في المقـال والأفعـالِ
أنـا لا أشـتكي-كـما قلـتَ- فقـراً — لا،ولا البخـل خصـلة مـن خصـالي
فلـم الجـور والتشـكك فـيما — سُـقتَه باكيـاً لرقـة حـالي؟
فـيم نُكرانـك الغـلاءَ، وكـل الـ — ـناس يشـكون مـن أذى مغتـالِ؟
فـإذا لم تحسـه، فهنيئـاً — لـك مـا قـد جمعـت مـن أمـوالِ
أنـا عنـدي مـن القناعـة كَنـزٌ — ومـن الله فضـله المتـوالي

ولم يجد الشاعر مصطفى الماحي بداً من الدفاع عن بلده (دمياط) فوصفها بأنها بلد الجد والاجتهاد والعمل ، وما شاع عنها إنما هو حقد من الآخرين عليها

لأنها تفرق تفريقا عميقا دقيقا بين " الحرص" بمعنى " الشطارة" أو الوعي الاقتصادي، وبين " البخل " بمعناه المذموم شرعاً وعرفاً. وعلى هذا الأساس من التفريق بينهما ،اضطر الماحي إلى تجديد دعوته إلى غنيم لكي يأتي - ومن شاء معه - إلى دمياط لتناول البط ليدرأ الماحي عن نفسه تهمة البخل :

إن دميـاط ذات جـد ، وقصـدٍ ... لا لحـرص، ولا لسـوء فعـالِ
تضع الحق في النصاب ولا تفـ ... ـعل فعـل الأغفـال والجُهـالِ
هـل أجاريـك في دُعايتـك الحر ... ى، وأنـت المـداعب المتغـالي
لا، وحسـبي أني أعـود إلى دعـ ... ـوتك اليـوم، صـادقاً في سـؤالي
مـع مـن شئت مـن محبيـك ، إني ... لا أمـاري، ولسـتُ بالبخَّـال
فاقترح، يا أخي - فديتك - يوماً ... واختبر - إن شككت - صدق مقالي

ولما رأي محمود غنيم أن دعوة صاحبه الماحي لم تزد عن سابقتيها وما تزال دعوة هشة هزيلة مذبذبة كتب عشر مقطوعات ساخرة نال فيها من الماحي نيلاً عظيماً وجعل لكل منها عنواناً مستقلاً . وهذه المقطوعات آية من آيات الإبداع الفني فيما تجلى فيها من خيال ودقة تصوير وتنوع في معاني السخرية اللاذعة وهي :

١- دون الوصال

بالله،يـا ذات المُحيّـا الضـاحي ... قـد طـال بي لـيلي، وأنـت صـباحي!
قالت: أتطمع في الوصـال ودونـه ... قُبَـلُ النجـوم وأكـلُ بـط المـاحي؟

٢- ليلى المريضة في العراق

ويلاه،لـيلى بـالعراق مريضـة ... قـد أصَـبَحتْ في عـالم الأرواحِ!
كيـف السبيل إلى الـدواء، وإنـما ... هـو دِرْهـمٌ مـن دهـن بـط المـاحي؟

٢- حامل الأوسمة

قال الصديق: لقد وصلتُ، فزينوا ... صـدري بـألفِ قـلادة ووشـاحِ
فسألته: أوليـت عرشـاً؟ قـال: لا ... لكـن لمحـت خيـال بـط المـاحي !!

٤- مصارع الأساد

ساءلته مـن أنـت؟ قـال: أنـا الـذي ... يـدري الكـماة المُعْلَمُـون كفـاحي
صـارعت آسـاد الشرى؛ فصرعتهـا ... لكـن عجـزت أمـام بـط المـاحي !!

٥- الفرسان الثلاثة

لـو أن "هانبيـال" جـاء محاربـاً ... في ألـف ألـف مـدجج بسـلاحِ
أو أن "نـابليون" عـاد، و "هتلـراً" ... لم ينجحـوا في غـزو بـط المـاحي !!

٦- المستحيلان

لا شيء في دنيـاك غـيرُ متـاح ... مـن يسـعَ، كُلِّـلَ سـعيُهُ بنجـاحِ
إلا طبيبـاً قـام يُحيـي ميتـاً ... أو طامعـاً في أكـل بـط المـاحي!

٧- في زحل

لمـا تكَشَّـفت النجـوم، وأفلحـوا ... في غزوهـا بـالعلم أيَّ فـلاحِ
ساءلت عـن زُحـل: أفيـه خلائـقٌ؟ ... قـالوا: وجـدنا فيـه بـط المـاحي !!

٨- عفريت من الجن

أسمعت عن جن ابن داود الذي قد جاءه بالعرش فوق جناح؟
لو ظل يبحث ألف عام كاملٍ لم يدر أين مكان بط الماحي!!

٩- محتضر يتمنى

شاهدت خِلِّي وهو يلفِظُ رُوحه فسألته: ما تشتهي يا صاحِ؟
فأجاب: أطلب من حبيبي قبلةً أو قطعةً من لحم بط الماحي !!

١٠- مهر الخطيبة

قال الخطيب: لقد فقدت خطيبتي وأطول حُزني بعدها ونواحي!!
كيف السبيل إلى الزواج، ومهرها هو ريشة من ريش بط الماحي؟

وقد أجاب الماحي على هذه الدعابات ملمحاً إلى ما جاء فيها بقوله:

يا أخي، يا غنيم سامحك اللـ ـه! فما كنتُ يا أخي بالشَّحاحِ
كم قصيد دبّجته كنت فيه مَثَلاً في براعة اللَّمّاح
تحسب البط نعمة الله، حتى بِتّ ترضى بريشة من جناحِ
مرة تطلب الحساء، وأخرى تتغنّى بالبط في إفصاحِ
أتُرى: ليس في البسيطة شيءٌ يملأ البطنَ غير بط الماحي؟
إن ذكرت الغلاء يوماً تشككـ ـت، وبالغت في مقالة لاحي
ورفعتَ السياط حتى كأني جئت ذنباً فوق الرضا والسماح

ثم بدأ الماحي يجامل غنيماً ويشيد بأبياته في مقطوعاته ويجدد الدعوة له فقال واصفاً شعر محمود غنيم الساحر في تلك المقطوعات:

كـم تـأتي مستنفراً في حـديث — خَالِـب للعقـول والأرواح
في خيـال مُجنَّـح، وبيـان — أيـن منـه بلاغـة الوضّـاح؟
صـغت فيـه ملاحمـاً وحِكايـا — ت تجلـت في أجمـل الأوضـاحِ
ولقـد كـدتُ أحْـزَنُ اليـوم حتـى — أتلقـى العِتـاب كـل صـباحِ
فهـو عتـب مُحبّـب بـل نكـاتٌ — مُسـكراتٌ للـنفس مثـل الـراحِ
غـير أني أعـود ألمـحُ مـا يسـ — ـفر عنـه البيـان مـن إلحـاحِ
يـا أخـي إنني دعوتـك فاقبـلْ — واطعـم الـبط في هنـا وانشراحِ
واقترح يـا أخـي – فـديتك – يومـاً — واختبر – إن شككت – صدق الماحي

وأخيراً ذُبح البط؛ فقال الشاعر محمود غنيم شاكراً وذاكراً توقفه عن كتابة الشعر بعد أكل بط الماحي، ومهدداً بتجديد الهجاء إن لم تتجدد الدعوة إلى (عزومة) ثانية:

يقولـون: مـا للشـعر غـاض معينـه — وكنت تقـول الشـعر في الـبط محكـماً؟
فقلت لهم: قد كان جـوعي مُلهمي — فلـما أكلـت الـبط؛ لم ألـق مُلهـما
فـلا شـكر للماحـي إذا لم يُثنِّهـا — فـإن هـو ثَنَّـى كـان أسـخى وأكرمـا
وإلا فإنـا قـائلون لبطـه: — "إلى حيـث ألقـت رحلهـا أم قشـعما"
وأهـون مـن هـذا لـديّ: لـو انني — حفـرت بظفـري في الجنـادل مـنجما

لـــه الله بطـــاً صِـــدته بقصـــائدٍ تكـاد تصـيد الـنجم مـن كبـد السـما!

وهكذا ، أثبتت لنا هذه المعركة الطريفة أن المعنى يكون أحياناً في " بطن " الشاعر بمعنى معدته، ويكون أحياناً في " بط " الشاعر . . إذا كان مثل شاعرنا الكبير محمد مصطفى الماحي رحمه الله !!

الفكاهة في شعر هاشم الرفاعي

يعد الشاعر الشاب الشهيد هاشم الرفاعي [١٩٣٢-١٩٥٩م] ظاهرة فريدة في تاريخ شعرنا العربي الحديث . فهو يشترك مع غيره مثل صالح الشرنوبي . وأبي القاسم الشابي في الوفاة المبكرة والنبوغ الفني ، ولكنه يمتاز عنهما بأنه فقد حياته في مؤامرة خسيسة ، فقد اغتيل غدراً في مساء يوم ٢يوليو١٩٥٩م في النادي الرياضي في بلدته " أنشاص " إحدى قرى محافظة الشرقية على يد فتية حاقدين من أنداده

وقد طبع ديوان هاشم الرفاعي مرتين ، الأولى نشرتها وزارة التربية والتعليم بمصر عام ١٩٦٠م بتحقيق وتقديم الأستاذ محمد كامل حته . والثانية نشرت في أوائل التسعينيات بتحقيق الدكتور محمد حسن بريغش . كما قامت إحدى دور النشر بطبع قصيدته المطولة الشهيرة " رسالة في ليلة التنفيذ " في كتيب يحمل عنوانها . وما بين كل نشرة وأخرى من شعره . كان الشاعر الشهيد ينتقل به دارسوه من اتجاه إلى اتجاه . وكل جماعة تحاول ادعاء موالاته وتستثمر شعره لنصرة قضاياها . وهذا ما يلاحظه القاريء بسهولة في تكلف محققي شعره .

والسطور القادمة لن تتعرض لهذه التصنيفات الجائرة لشعر هاشم الرفاعي لأنها ستقف فقط عند جانب الفكاهة في شعره . والذي تم ضمه مع الزجل في نهاية النشرة الأولى من ديوانه [سنة ١٩٦٠م] وهو جانب ليس قليلاً فقد ضم ثماني قصائد يجمعها جميعاً أنها تدور في فلك صداقاته وعلاقاته الشبابية ماعدا اثنتين

منها اتخذتا طابعاً عمومياً هما قصيدة " مثني الهلافيت " وقصيدة " الفول أكلي ما حييت ".

شعره الفكاهي في الرياضة :

نظم هاشم الرفاعي قصائد حول الفريق الرياضي الذي يمثله أولها قصيدة (الخيبة الكبرى) وقد قالها في فريق معهد الزقازيق الديني حين انهزم أمام فريق كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في مباراة كرة قدم ومطلعها :

ياخيبـــــة قـــــدَّروها بالقناطـــــير   جـــاءت لنـــا في نهـــار كالـــدياجير

وفيها يقول إنه ذهب إلى "النادي" فوجده حزيناً بائساً يبكي حظه لهزيمته بسبب لاعبيه الخاسرين ، وكلهم - مع الأسف - طوال عراض يصلحون لجر عربات " الحنطور " بدلاً من الخيل والبغال . فقد تسببوا في جلب الخزي والعار لمعهدهم المرموق :

إني ذهبـــت إلى النـــادي فطـــالعني   مقطَّـبَ الوجـه مغـبَّرَ الأسـارير
يبكـي وينـدب مـن خـابوا بملعبـه   وفي المبـاراة صـاروا كـالطراطير
مـن كـل شـحط أطـال الله قامتـه   يكـاد يصـلح في جـر الحنـاطير
مـا للغبـي " وللفتبـول " يلعبهـا   يـاليتهم علقـوكم في الطنـابير
أخـزاكم الله قـد جئـتم لمعهـدنا   بالعـار يافتيـة مثـل المـواجير
في " الماتش " لم تلعبوا لكـن رأيتكم   في البرتقـال نـزلتم كالمناشـير
لـو كنـت أعلـم أن الخيبـة انقسـمت   مـن حظكـم في سـجلات المقـادير

لكنـــت جئـــت بطبـــال يـــزفكمُ ورحـت أتلـو عـلى لحـن المـزامير:

" لا بأس بالقوم من طول ومن غلـظ جسـم البغـال وأحـلام العصـافير"

والشاعر يستخدم في هذه القصيدة الكلمات العامية كما يستخدمها الشعراء الحلمنتيشيون المحترفون مثل بيرم التونسي . وحسين شفيق المصري - رواد هذا الفن - فمن ذلك كلمة (شحط) وهي في العامية بمعنى الطويل الجسم ولكنها ذات دلالة تغمز في القدرات العقلية المرتبطة بهذا الطول . كما يستخدم الشاعر كلمات الطراطير والحناطير والمواجير والطنابير بدلالاتها العامية المفهومة . ويستخدم كلمة (الفتبول) الإنجليزية بمعنى كرة القدم وكلمة (الماتش) الإنجليزية بمعنى المباراة وهذه الاستخدامات هي مصدر من مصادر الفكاهة في الشعر الفكه (الحلمنتيشي)لأنها ترد في سياق الوزن الشعري مضبوطة بالشكل كما لو كانت فصحى .

وحين انهزم فريق كرة السلة بالمعهد ولحق بفريق كرة القدم المهزوم . نظم هاشم الرفاعي قصيدته (هزيمة) التي افتتحها بقوله :

تعالى يا فريق هنا تعالى *** فدمُك بيننا أضحى حلالا

وقد أوسع فيها فريق السلة سخرية وضمه إلى فريق كرة القدم المهزوم من حيث أن لاعبيه لا خبرة لهم بفنون اللعب . ومهاراته . وإنما استطاعوا التسلل إلى اللعب في الفريق بالإلحاح والضغط لا بقدرات أبدوها . أو مهارات أدوها . وكيف يصلحون للرياضة وهم غلاظ كالأفيال اكتنزت اللحوم في أجسادهم فهم يحركونها

بجهد جهيد ، ومع ذلك يتخيلون أنفسهم كالغزلان رشاقة وخفة ؟ . إن مثل هؤلاء لا يناسبهم إلا ما يناسب البغال والحمير من جر المحاريث فلا علاقة لهم بفن اللعب

لنا في " الباسكت " اختاروا فريقاً ... يحاكي في ضخامته البغالا
وفي " الفتبول " أفراد تبدَّوا ... عراضاً في ملاعبها طوالا
إذا ما صوبوا كرة يميناً ... لخيبة أمرهم طلعت شمالا
وليس لهم بها علم ولكن ... تَخذُوها بالتلامة والرذالا
أيصلح للرياضة فيل قوم ... إذا ما سار تحسبه الجبالا
يحرك جسمه المكتظ لحماً ... ويحسب نفسه فينا غزالا
إلى المحراث شدوهم وإني ... سأفتل لكي نجرَّهمُ الحبالا

وتتوالى هزائم فريق كرة القدم ، فينهزم مرة أخرى وأخرى أمام فرق شبين الكوم وطنطا والمنصورة والإسكندرية ويفيض الكيل ، ولا يستطيع هاشم الرفاعي صبراً عليهم فيصرخ مطالباً بوقف هذا الفريق الخائب بل يتمنى إعدامهم لخيبتهم الشديدة وهزائمهم المتكررة :

قِفوا هذا الفريق غداة خابا ... طويلاً إن لي معه حسابا
فريق لو عدمنا لاعبيه ... إذاً والله قد فعلوا صوابا
هم نالوا الخيابة بامتيازٍ ... وأعطوا كل دلدول منابا

وتعتمد سخرية هاشم الرفاعي من لاعبي الفريق على مفارقة تبدو واضحة لمن يراهم فهم يخشون بأس منافسيهم ، وهو إذا لعبوا لم يؤدوا أداء اللاعب الماهر المتقن ، وإنما يجري أحدهم يميناً ويساراً بلا هدف ، كأنه دابة لا تعرف لها اتجاهاً

إذا ذهبوا إلى النادي تراهم — على خوف بهم — بلُّوا الثيابا !
يظل هنالك " المحروس " منهم — يبرطع مثل عجل فيه سابا
ويبرع في الهيافة كل " فلق " — يعرِّش حجرةً ويسد بابا
ولا يُنْبيك عن سر المخازي — كمن في (جوزة) شرب الهبابا

فاللاعبون الذين يتميزون بأجسام كجذوع النخيل (فلق = جذع النخل) التي تصلح سقفاً لمنزل ، لا قدرة لهم على مواجهة منافسيهم ، لأنهم ادمنوا تدخين المعسَّل !!

ويندم الشاعر على ما أنفقه المعهد على فريق لاعبيه من أموال كان المجاورون الفقراء أولى بها منهم. فلا معنى لأن يتنازل المجاورون لأمثال هؤلاء المهزومين عن حقوقهم ليشربوا بها برتقالاً في استراحتهم بين المباريات . وهم لم يحرزوا أي نصر يستحق هذا التكريم :

فلوس من " جرايتنا " عليه — لوجه الله نصرفها احتسابا
وفي " الهاف تايم " يطفح برتقالاً — شَرَوْهُ له بأموال " الغلابا"
أريحونا فإنا قد شبعنا — كسوفاً واكسبوا فينا ثوابا
عليكم بالشوارع والحواري — وفيها فالعبوا كرةً " شرابا "

شعره الفكاهي مع رفاقه :

ومن قصائده الساخرة قصيدة (أمير الهعهع) تلك القصيدة التي قالها في زميل له أزهري كان منصلح الحال مستقيم الطريق إلى أن التحق بكلية دار العلوم فتبدل حاله على عكس الحال . فكان دائماً ضحوكاً طروباً عاطفياً على غير المعهود بالأزهري . وقد استهل قصيدته تلك بقوله :

زين الشباب الجامعي *** التابعيُّ التابعيّ

ويصف هاشم الرفاعي زميله الأزهري بأنه " دون جوان " -معشوق النساء- المدلع الناشيء في العز والنعمة . فكان الأزهري - قبل أن يأتي إلى الكلية - مثل البعبع للفتيات ولكن بعد أن جاء ذلك الزميل الـ " دون جوان " قوبل بالترحاب من تلك الفتيات. فاستخفه الطرب . ولعب به الخيال ورأى في نفسه غير ما يرى فيه أصدقاؤه :

الضــــاحك المــــرح الطـــــ	ـــروب العـــاطفي اللوذعـــي
الـــــدون جــــوان الفـــذ	مـــن تهـــواه ذات البرقـــع
الغيـــــدُ قــــد دلَّعْنـــــه	افْدِيــــهِ مــــن مُتَــــدَلِّع
قـــد كـــان يبـــدو الأزهــــ	ـــريُّ لهـــن مثـــلَ البعبـــع
حتـــــى أتــــى هـــــذا	فقوبـــل بـــالفؤاد المولـــع

وتزداد سخرية هاشم الرفاعي من زميله وهو يصفه بأنه ملك للفكاهة وأمير للضحك وأنه أصبح يجذب قلوب العذراى نحوه بمشيته المختالة الفخورة . وكلما رأينه أشرن نحوه بأن هذا هو الذي خلب عقولهن وامتلك قلوبهن :

يــا صــاح : يــا ملــك الفكاهــة ..... يــــا أمــــير الهعهـــع
أصـــبحت تجتـــذب الـــ ..... ـــقلوب بمِشـــية المتقمـــع
ويشـــار نحـــوك إن مـــررت ..... عـــلى الحســـان بأصـــبع

ويذكره الشاعر بأصله ويسأله هل نسيَ متون الكتب الأزهرية وما حوته من علم ؟ أنسيَ مرويات الأصمعي ؟ أم نسيَ تلك الأيام والليالي التي كان يرهق فيها بصره وهو يقرأ تلك الألفاظ الحوشية الغريبة التي كثيراً ما حوتها الكتب الأزهرية

أنســيت مــا حــوت المتــ ..... ــون ومــا رواه الأصــمعي
أنســيت يــوم تخزَّقــت ..... عينـــاك في جَخْلَنْجَـــعِ

ويقول له الشاعر : بعد كل ذلك تستمتع بجلوسك مع الفتيات ولا تصدهن فإذا كان باستطاعتك خداعهن فلا يمكنك خداعنا لأننا نعرفك ونعرف أصلك وها هو ذا أثر عمامة الأزهريين ظاهر فوق جبينك :

الآن تـــأنس بالفتـــاة ..... ولا تقـــول افرنقـــع
فـــإذا اســـتطعت خداعهـــن ..... فإننـــا لم نُخـــع
إني أرى أثـــر العمامـــة ..... في جبـــين المجـــدع

وقد كان للشاعر هاشم الرفاعي صديق كثيراً ما كان يورطه كرمه وحياؤه في مغارم تخلف له الضيق والحاجة . وقد نظم الشاعر هذه القصيدة في ١٥ ديسمبر١٩٥٥م يداعب صديقه على أثر ورطة ذهبت بمصروفه الشهري :

مـــابين بـــؤس وضـــيق   عـــش حـــائراً يـــا صـــديقي
ضـــيوفك اليـــوم جـــاءوا   مـــن كـــل فـــج عميـــق
ولـــيس يـــأتون إلا   في كـــل ظـــرف دقيـــق
" للســـينما " والمقـــاهي   صـــحبتهم .. كـــالغريق
ولســـتَ تملـــك قرشـــاً   في جيبـــك المخـــروق
ضـــيعت " مصروف " شـــهر   فـــيما لهـــم مـــن حقـــوق
فـــداؤك اليـــوم نـــفسي   مـــن حـــاقٍّ عريـــق

ويذكّر هاشم الرفاعي صديقه ذلك الكريم بسفهه حين كان يقترض الأموال من زملائه المجاورين (هيكل) و (فتوح) و(عابد) وأنفق هذه الأموال على ضيوفه الثقلاء ، وترك زملاءه يعانون شظف العيش وشدائد الحياة ويلعنون اليوم الذي عرفوا فيه هذا الزميل الذي يقترض ولا يرد . وينصح الشاعر صديقه هذا بأن يختفي من أمام عيونهم ، وأن يتهرب في المرات القادمة من أولئك الضيوف الثقلاء:

كـــم اســـتلفت نقـــوداً   مـــن " هيكـــل " المزنـــوق
راحـــت جميعـــاً علـــيهم   ياللشـــعور الرقيـــق

قـــد غــــادروك لغلـــب ... مـــرَّة تنشـــيف ريـــق
" فتُّـــوح " يصرخ : مـــالي ... ومـــاهم ، في زعيـــق
و" عابـــد " بـــات يهـــذي ... في غضـــبة المفلـــوق
والشـــيخ " هيكـــل " جفّـــت ... دمـــاؤه في العـــروق
فـــنم بكـــل غـــروب ... ولا تقـــم في الشروق
واهـــرب ولا تبـــدُ يومـــاً ... لزائـــرٍ في طريـــق

ومن أشهر قصائد الفكاهة التي تبرز ملامح خفة الظل عند هاشم الرفاعي قصيدة (من وحي الرحلة) وقصتها أ. الشاعر كان في رحلة لطلبة معهد الزقازيق إلى الأقصر وأسوان . وفي حفلة سمر أقيمت بمعسكر الشباب بأسوان مساء يوم ٣٠ يناير١٩٥٦م ألقى هذه القصيدة . وفيها يذكر كيف خدعه منظِّموا الرحلة حين طلبوا إليه أن يلتزم بالزيِّ الأزهري فجاء يتهادى بينهم "بكاكولته " و " عمَّته" في حين جاء زملاؤه يلبسون ثياباً خفافاً لا تقيد حركتهم :

أتيـــت إلى هـــذه الرحلـــة ... أجـــرر أذيـــال كـــاكولتي
وقيـــل ليَ الـــزي لاتنســـه ... فلـــم تـــنج رأسيَ مـــن عمتـــي
وقـــد لـــبس الكـــل مـــا عنـــدهم ... مـــن البنطلـــون إلى البدلـــة
وهأنـــذا بيـــنكم قـــد ظهـــ ... ـــرت حزينـــاً ..بهـــاتيكم البلـــوة

ويتذكر الشاعر كيف حمل حقيبة تنوء بما فيها من خبز وجبنة وملح . ويندد بمشرفي الرحلة الذين ضيقوا على الطلاب فلم يوفروا لهم الطعام وأجبروهم على حمل تلك الأحمال الثقال من الخبز والملح والجبن . ولم يصرفوا لهم نقوداً يقتاتون بها

وإن أنس لا أنس أمر الطعـ ... ـام لقد أوقع الكل في ورطة
غموسي أكثر ما قد حملـ ... ـت وعيشي تضيق به شنطتي
وما ينفع الخبز في شنطةٍ ... وقد كان يوضع في قفة
لقد قتروا في مصاريفنا ... وما " لايمونا " على الفكة
إذا قلت هاتوا لنا مأكلاً ... يقولون : هل نحن في ختمة؟

ويروي الشاعر كيف أن زميلهم " شاهين " جاء معه بدجاجة راح يمزقها ويتمتع بأطايبها وعيون زملائه ترمقه في حسد وحقد . ولم يفكر في أن يعزم أيّاً منهم لمشاركته في الدجاجة مع شدة شوقهم إلى تذوق طعمها من ما عانوه مع العيش والجبن .

ويهدد هاشم الرفاعي مشرفي الرحلة بأنهم سيواجهون ثورة عاتية إذا أصبح الصباح ولم يبسطوا أيديهم المغلولة . ويرفهوا عن الطلاب بأكلة دسمة يشمون فيها روائح اللحم ويرون الدهون تسبح في بحار الفتة والمرق :

وها نحن لم نلق زاداً لنا ... سوى العيش والملح والجبنة
و" شاهين " جاء لنا عامداً ... يحنسنا اليوم بالفرخة
وراح يقطعها بيننا ... ويبلع ما طاب من لحمة

ومـا قـال : هاشـم .. خـذ حتـةِ وقـد كنـت نـفسيَ في حتـة
فأقسـم إن لم يجيبـوا لنـا لحومـاً مـن الغـد بالأقـة
ويحصـل طـبخ ولهـط وشفـ ـط ونغـرق في الـدهن والفتـة
سـنعلنها ثـورة لا تلـين وكـم أشـعل الجـوع مـن ثـورة

شعره الاجتماعي الفكاهي :

لا بالملام ولا بالنصح تنتفـع

**

متى أراك عن التهليس تمتنـع

رأيت ذقنك مثل الصوف شايبـة

**

ولست عن سيرك البطال تنقطـع

كيف مرمطة .. حريف شعبطـة

**

من غير لخبطة للطيش تندفـع

وأنت مش عيل حتى يليق بـه

**

هذا الهزار وهذا اللهو والدلـع

قضيت خمسين عاماً كلها قـرف

**

حتى كبرت وعاد الضرس ينخلـــع

عار عليك إذا أصبحت منحنيــــاً

**

وفيك كل صنوف الخلس ، والبــدع

وقد بدا رغم " مكياج " تزاولــــــه

**

في رأسك الأبيضان : الشيب والصلع

قطعت عمرك في هزل ومسخــــرة

**

وعندك البؤس بالتشبيح يجتمـــــــع

فكم سهرت بكازينو تبعـــــزق في

**

مصروف بيتك والأولاد ما شبعـــــــوا

وإن رأيت " فاليو" لك ابتسمت

**

تطب في حبها كالعجل إذ يقـــــــع

لك انبساط وتهييص وفرفشـــــــة

**

وللولية همُّ القلب والوجــــــــــع

وحين تطلب شيئاً منك تطبخـــه

**

أراك تخلق أعذاراً متخـــــــــترع

اسمع كلامي يا هذا وكن رجـــلاً

**

مشيُ الهلافيت مشيٌ ليس ينبلـــــع

الفقر يملأ بالمذلة كاســـــــي

***

إني سأشهر في الورى إفلاســـي

لا الجيب يعمر بالنقــــــود ولا

***

فيها الفلوس زي كل النــــــاس

أصبحت باطي والنجوم ولا أرى

***

أحداً يخفف كربتي ويواســـــي

الفول أكلي ما حييت .. وإنـــني

***

متحرق شوقاً إلى القلقـــــاس

قدكدت ياقومي أصيح منهّقـــاً

***

وتخلعت من أكله أضراســـــــي

وإذا مشيت فإنني متهالــــــــكٌ

***

وأكاد ألفظ – جائعاً – أنفاســـــي

البطن خالٍ – كالجيوب – وأشتهي

**

ما في المسامط من لحوم الـراس

وأمر بالحاتي فأهتف قائــــــلاً :

***

كم ذا يكابد مفلس ويقاســـــــي

قد بعت مهريَّ الهدوم وفي غـدٍ

***

سأبيع حتماً للعباد نحاســـــــي

ويظل ينخلع الحذاء على الثرى

***

فمقاس صاحبه خلاف مقاســـــي

الفكاهة في شعر محمد الأسمر

الشاعر محمد الأسمر (١٩٠٠- ١٩٥٦م) واحد من الشعراء الكبار الأفذاذ الذين ظلمتهم شهرة غيرهم فقد كان هو وأقرانه محمود غنيم وعلي الجندي والعوض الوكيل ومحمد عبد الغني حسن وطاهر أبو فاشا ومحمد مصطفى حمام و عبد الحميد الديب ومحمد مصطفى الماحي من الجيل الذي أبدع أيما إبداع ولكن الساحة في الثلث الأول من هذا القرن لم تتسع إلا لشوقي وحافظ ومطران . وفي الثلث الثاني من هذا القرن هاجت البشرية وماجت في حرب عالمية وتقلبات سياسية أثرت في الذوق العام والثقافة العامة فتدهورت مكانة الأدب والفن لحساب السياسة . والتيارات الفكرية الجديدة .

وكان ما يجمع بين هؤلاء الشعراء الذين ذكرنا أسماءهم هو حبهم جميعاً للمرح والدعابة وارتباط بعضهم ببعض في صداقات خالدة بقيت ظلالها واضحة في آثارهم الشعرية . والشاعر الأسمر ولد في دمياط في ٦ نوفمبر ١٩٠٠م وتعلم بمدارسها ثم انتقل إلى القاهرة وتعلم في مدرسة القضاء الشرعي ثم في الأزهر . وعين بعد تخرجه موظفاً في مكتبة الأزهر حتى أصبح أميناً عاماً لها .وله عدة كتب ضمت مقالاته الاجتماعية وديوانان شعريان كبيران احتويا على أشعاره .

ولم يكن الشاعر الأسمر أسمر اللون ولكنه لقب بهذه التسمية لأسباب عائلية . إذ يبدو أن هذا هو لقب عائلته . أما هو فقد كان وسيماً أبيض اللون وكان حريصاً على ارتداء الزي الأزهري حتى آخر لحظة في حياته .

ومن أشهر فكاهات الشاعر محمد الأسمر ما نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان (ثلاثة جنيهات دعابة شعرية) وقصتها أن الشاعر محمد الأسمر أودع عند صديقه اليوزباشي " النقيب " عبد الحميد فهمي مرسي مبلغاً قدره ثلاثة جنيهات بصفة الأمانة واحتفظ بها الرجل في مكتبه وكان يعمل إذ ذاك أركان حرب وزارة الدفاع المصرية . واستبد القلق بشاعرنا محمد الأسمر وكتب إلى صديقه يحثه على بذل الجهد في المحافظة على جنيهاته الثلاثة فيقول :

(أعبد الحميد) وأنت امرؤٌ   عرفتك من عنصر طيب
لنا عندكم مهجة أودعت   لشهر الصيام على الأغلب
ولو أستطيع لأودعتها   إلى رمضان على كوكب
فلا تغف عينك عن حفظها   ولا تنأ عنها ولا تلعب

وينبه شاعرنا صديقه إلى أنه يخشى على نقوده الغالية من أن تمتد إليها يد اللصوص المغامرين الذين يتفننون ويتحايلون ويبتكرون طرقاً مختلفة في سرقاتهم ولولا ثقة شاعرنا بما يتكدس في مكتب صديقه الضابط أركان حرب وزارة الدفاع من أسلحة لما استطاع أن يترك له مهمة حفظ جنيهاته الثلاثة :

فإني أخاف عليها النسيم   وأخشى امتداد يد الأجنبي
ولولا السيوف ولولا الحراب   لديك لما ساغ لي مشربي
معلقة ترهب السارقين   وتبعث بالمنظر المرعب
ومهما يكن فحذار اللصوص   حذار حذار ولا تغضب

فـــإن لهـــم حـــيلاً كلـــما تـــــذكرتها دارت الأرض بي

وبعد هذه الصورة الطريفة التي صور فيها الشاعر نفسه حائراً خائفاً تدور به الأرض كلما تفكر في الحيل التي يمكن أن يلجأ إليها اللصوص، نجده يلح على صديقه في حفظ وديعته وأن يجعل الشك رائده مع كل ضيوفه :

وراقـــب ضـــيوفك يـــا صـــاحبي وحتـــى ذوي النســـب الأقـــرب
وراقـــب يـــديك ولا تعتـــب وراقـــب يـــديَّ ولا تعجـــب
وحـــاذر مـــن "الســـيد المرغنـــي" وإن كـــان فخـــر بنـــي يعـــرب
أبيـــت وجســـمي في منـــزلي وروحـــي وعقـــلي في المكتـــب
ووالله لا الحـــرص مـــن شـــيمتي ولا جمعـــي المـــال مـــن مـــذهبي
ولكنـــه مـــرض طـــارئ يـــزول وعـــدوى الغنـــى المتعـــب
ثـــلاث مـــن الـــورق العبقـــري لـــديكم، وكـــيلي عليهـــا النبـــي
إذا علمـــت أننـــي ربهـــا بحـــثن ولا شـــك عـــن مهـــرب

وقد علق على هذه القصيدة الشاعران الأستاذ (عبد الحميد فهمي مرسي) والأستاذ (علي الجندي) فمما قال الأستاذ عبد الحميد :

تـــروح وتغـــدو إلى مكتبـــي كأنـــك تســـعى لقـــبر النبـــي
تحـــج إليهـــا لكـــي تطمـــئن عـــلى مـــا لجيبـــك مـــن مـــأرب
ولســـت أخـــاف عليهـــا ســـواك إذا مـــا تســـللتَ كالأرنـــب
فـــلا تجـــزعن، ولا تهلعـــن ونـــم مطمئنـــاً، ولا تتعـــب

ومما قاله الأستاذ علي الجندي :

ثلاثٌ من (البنكنوت) النفيس	تنفس عن تعب المتعب
أفي الحق أن يقتني شاعر	ذخائر في عامنا الأجدب ؟
ألم يكفه أنه بيننا	يحل محل (أبي الطيب) ؟
فيا أسمر العين ماذا دهاك	وما ذلك الطمع الأشعبي
أتسمن والضر قد شفني	وتمزح والجوع قد جد بي
وتختال في ثوبك الأزهري	وثوبي بال على منكبي
أعني فإني أخوك الذي	يفديك بالنفس والمنصب

ومن المعارك الفكاهية الكثيرة التي كان الأسمر يشعلها معركة خروف العيد وقصتها أن شاعرنا الأسمر كان قد طلب من صديقه القائمقام (العقيد) الشاعر عبد الحميد فهمي مرسي أن يعيره خروفاً في عيد من أعياد الأضحى التي جاءت خلال الحرب العالمية الثانية مع اشتداد الغلاء وارتفاع الأسعار . فبعث الأسمر إلى صديقه يقول :

عبد الحميد وأنت معوان إذا	هز الخدين حبال ود خدينه
إن كان ذو القرنين عندك حاضراً	فابعث به لنرى ضياء جبينه
ولكي يجاوب – لو يمأمأ مثله	في بيت جاري – مأمآت قرينه
وليعلم الجيران أجمع أنني	إن جاء عيد لم أضق بشؤونه
ولكي يراه من أساء ظنونه	بدراهمي ، فأنال حسن ظنونه

وليطمـئن الـدائنون ويعلمـوا ... أني امـرؤ يـقضي جميـع ديونـه

ويؤكد شاعرنا لصديقه أنه لن يمس هذا الخروف المستعار بسوء . بل سيسهر على تأمين سلامته من الذبح أو العدوان . فكل ما يبغي هو أن يتباهى به كما قال سابقاً - أمام جيرانه. ودائنيه وأولئك الذين يسيئون الظن بقدراته المالية

وأنـا الأمـين عليـه وهـو بمنـزلي ... مـن كـل جـزار ، ومـن سـكينه
يـمسي ويصبح وهـو عنـدي آمـن ... من (فلفل) الطاهي ومن (كمونه)
فابعـث بـه (عبـد الحميـد) فإنـه ... شيء يـرد إلـيكم في حينـه
لسـنا نميـل إلى نعاجـك بـل إلى ... كـبش لـك التفـويض في تعيينـه !!

ثم حدث بعد ذلك أن اتصل القائمقام عبد الحميد فهمي بقريبه الأديب الكبير الأستاذ عبد العزيز سلطان وكان بينه وبين الشاعر الأسمر صداقة ومودة فبعث بأربعة خراف . وأرسلها من محافظة المنيا بالصعيد إلى قريبه القائم قام عبد الحميد فهمي بحيث يعطى خروف لكل من الأسمر وعبد الحميد. ويعطى خروف لكل من الشاعرين علي الجندي ومحمد عبد الغني حسن وكانا قد طلباهما ووصلت هذه الخراف من المنيا متعبة قد نال منها طول الطريق وهدها السفر فظهر عليها الإعياء ولم تعد صالحة للتضحية بها فكتب الأسمر يسخر منها ويقول :

ويـح عبـد العزيـز أرسـل هـرا ... تٍ إلينـا ، وقـال عنهـا خـراف
لم تمأمـأ بـل نونـوت فضـحكنا ... ثـم قلنـا مـا ذلـك الإسراف
أهـدايا ، أم تلـك بعـض الرزايـا ؟ ... رب سـلم ونـج مما نخـاف

أربع أقبلت . فقلت خراف ما تراه العيون ، أم أطياف ؟

ثم يذكر مصيبته في الحروف الذي خُصص له ، فهو خروف ضئيل تكاد العين لا تراه من فرط ضعفه فبينه وبين ما يعرفه الناس عن خراف الأرياف فارق كبير :

كان منها لنا خروف عجيب هو من فرط ضعفه شفاف
لاح كالوهم بل هو الوهم يمشي لا خروف جاءت به الأرياف
هو بين الكباش كبش صناعي وزيف أدقه الزياف
أثري من عهد يوسف موميا خلفته لنا السنون العجاف
ليس فيه من الخراف التي نعرف إلا القرون والأظلاف
كم تمنى أطفالنا أن يروه ورأوه ، فأنكروه وخافوا
أبصرته القدور عندي فمالت ضاحكاتٍ وفرت الأضياف
خذه عبد الحميد خذه ، وحسبي هبه حكماً أما له استئناف ؟

أما الأستاذ محمد عبد الغني حسن الذي كان معروفاً بمجاملاته وخلقه الرفيع فلم يشأ أن يذهب مذهب الأسمر في السخرية ، بل مدح خروفه قائلاً :

وصل الخروف وقد حسبتك مازحاً فإذاك قد بالغت في تسمينه
الله زينه بكل جميلة وجميل صنعك زاد في تزيينه

ومما أبدع فيه الأستاذ محمد الأسمر تلك القصيدة التي جعل عنوانها (قربا مربط النعامة مني) وهو شطر بيت شهير قاله المهلهل بن ربيعة أثناء حرب البسوس

الشهيرة وكرره في قصيدته . وقصة هذه القصيدة أن السيد الشريف مرغني الإدريسي شيخ السادة الأدارسة بالمغرب العربي - وهو سوداني الجنسية شريف النسب كان قد بعث إلى الشاعر الأسمر هدية من الديوك الرومية . والتمر ، وقصب السكر وحوت كبير . وأرسل هذه الهدية عن طريق صديقهما المشترك الشاعر القائم قام عبد الحميد فهمي مرسي . فاستأثر عبد الحميد بالحوت وأرسل الباقي إلى الأسمر وبعد أيام مرض السيد المرغني وكان الأسمر قد عرف بقصة استيلاء عبد الحميد على الحوت فكتب إلى السيد المرغني يواسيه ويذكر ما صنعه عبد الحميد فيقول :

يا سليل النبي عوفيت مما ... بت تشكوه من أذاه الليالي
قال أشكو الأملاح قلت عجيب ... كيف يشكو الأملاح حلو الخصال
الصديق الكريم ، والعسل الصافي ... شهي الوداد ، عذب الخلال
والذي أرسل الديوك فقلنا ... أديوك أم تلك بعض الجمال
والذي أرسل العجيب من التمر ... نواه يباع بالمثقال
ولطيف الأعواد من قصب هش ... رماح وافت بخمر حلال

وهكذا يذكر الأسمر هدايا صاحبه المتعددة فتجيش نفسه بذكرى تلك الخراف الضعيفة التي أهداها لهم صديقهم عبد العزيز سلطان وكانت غاية في الضعف . والهزال فكأنها النمال . ثم يذكر لصديقه المرغني كيف استولى صديقهما عبد الحميد فهمي على الحوت :

لا كعبد العزيز وهو صديق ... حين أهدى الخراف مثل النمال

أو كعبد الحميد حين أتى الحو ... ت إلينا فسفه لم يبال
سفَّه سفةً فجاء عليه ... وهو فوق العشرين في الأرطال
هل رأيتم ، أو هل سمعتم بمزح ... مثل هذا في سابق الأجيال
ليت شعري إن كان ذلك مزحاً ... من صديق فكيف جِدُّ القتال ؟
(قربا مربط النعامة مني) ... إن خطف الصديق للحوت غال
(قربا مربط النعامة مني) ... سفَّ عبد الحميد رزق العيال

وحدث أن كان الأديب الدكتور سيد نوفل - الذي أصبح فيما بعد أميناً عاماً مساعداً بجامعة الدول العربية - يعمل سكرتيراً للدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف . فطلب الشاعر محمد الأسمر منه أن يتوسط لدى الوزير لكي يعاون تلميذاً فقيراً في الحصول على منحة ليتعلم مجاناً - وكانت المجانية آنذاك بالاستثناء - ويبدو أن السيد نوفل قد تباطأ في تلبية رغبة الشاعر الأسمر . فبعث إليه موبخاً وهو يستخدم بعض الألفاظ العامية للدعابة على عادة القدماء فقال :

يا سيد ياجعرُ ... هل أنت حقاً سِكِرُّو ؟
إن كان ذلك حقاً ... فاصنع صنيعاً يسُر
يا نوفلاني قل لي ... وأنت شيخ شخُّر
خلف الوعود حلال ... في الشرع أم هو نكر ؟
يا دلدلاً قد تدلى ... علام لا تستقر ؟
تهتز في غير شيء ... كأنما أنت زر

فلســـــت تنفـــــع يومـــــاً ولســـــــت يومـــــاً تضر
محـــــــــرنجم مزبئـــــــر مهلضـــــم لـــــيس غـــــير
لـــــــولا الـــــوزير ولـــــولا أني بصـــــــحبي بـــــــر
ســـــــمعت زأر قـــــــواف تبيـــــت منهــــا تهـــــر
فمـــــل إلى الصـــــدق وافعـــــل خـــــيراً فـــــذلك خـــــير

وهكذا لا تنتهي دعابات الشاعر محمد الأسمر التي تفيض بها دواوينه. والتي تنم عن شخصية مرحة تتعاطى الفكاهة والدعابة طبعاً لا تكلفاً فتأتي معانيه مليئة بالروح الجذابة والظل الخفيف . في إطار من ألفاظ عربية رصينة غير مبتذلة . وهو في الوقت نفسه يبتعد عن الإسفاف والتدني اللذين كثيراً ما ينزلق إليهما من يتفاكهون تكلفاً وطباعهم تأبى عليهم أن يكونوا خفاف الظل .

الفكاهة في شعر محمد مصطفى حمام

كان الشاعر محمد مصطفى حمام (١٩٠٦-١٩٦٤م) نمطاً فريداً بين شعراء عصره لما كانت تتميز به شخصيته من تفرد لم يعرفه معاصروه في شاعر غيره ؛ فقد كان مثالاً نادراً يجمع بين السلوك القويم . والخلق الحسن . وخفة الظل . والثقافة الرفيعة .

وقد ولد شاعرنا في مدينة فارسكور بمحافظة دمياط عام ١٩٠٦م وفقد أباه وهو في الرابعة من عمره فكفله جده لأمه وألحقه بالتعليم الديني في الكُتَّاب فحفظ القرآن الكريم ثم انتقل إلى التعليم الابتدائي في بلده ومنه إلى المدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة . ولم يستمر فيها طويلاً حيث اندلعت ثورة ١٩١٩م وأضرب تلاميذُ المدارس وخرج شاعرنا من مدرسته محمولاً على أكتاف زملائه وهو يقود المظاهرات المؤيدة للثورة ويفْتَنُّ في ابتكار صيغ الهتاف بصوت رخيم قوي . ويُلهب مشاعر الجماهير بحماسته وتدفقه وحسن إلقائه .

ثم انتهت المظاهرات وانتهى معها أمل شاعرنا في التعليم مرة أخرى فاتصل ببعض الصحف والمجلات ينشر فيها أشعاره وأزجاله . وتتعاقب عليه السنون في العاصمة ويسطع نجمه في المحافل الأدبية ، شاعراً ظريفاً ، وراوية فكِهاً ويحفظ الطرائف والأوابد من الشعر . وفي مصر حينئذ كبراء ووزراء يسمعون ويتذوقون الشعر ويطربون له ففتحوا له الطريق إلى العمل في دواوين الحكومة وأتاحت له وظيفته الصغيرة ما يسد الرمق وتلبية احتياجاته الأساسية ولكنه كان

مزواجاً تزوج ثلاثاً وأنجب عشرة من الأبناء مما زاد أعباءه وفقره ، بيد أنه كان يُرَوِّضُ الفقر ترويضاً - كما يقول عنه صديقه الشاعر طاهر أبو فاشا رحمه الله في كتابه عن الذين أدركتهم حرفة الأدب - وكان يعايش الفقر راضياً ما دام في يديه القليل واتخذ من شعره وسيلة للتكسب والرزق . فكلما مسته الحاجة نظم البيتين أو الأبيات يُضَمِّنها حاجته ، ويوجهها إلى مَنْ يقصده من هؤلاء فتكون طرافة الطلب خليقة بتحقيق المطلوب .

وكانت فيه أريحيّة وخصال هي خصال المؤمنين فقد كان مأمون الغيب لا يذكر أحداً بسوء حتى أهل السوء . فلم يكن ساخطاً أو ناقماً أو مغروراً حتى في أحلك أوقات الضنك وكان كما قال في قصيدة له :

علمتني الحياة أن أتلقى ... كل ألوانها رضاً وقبولاً

والذي أُلْهِمَ الرضا لا تراه ... أبدَ الدهر حاسداً أو عذولا

ويروي الشاعر الناقد كمال النجمي قصة قصيدة فكاهية لحمام تعكس معاناته وكان قد رواها لبعض أصدقائه في جلسة في نادي نقابة الصحفيين بالقاهرة فقال حمام لجلسائه :

لم يعد يحز في نفسي شيء من متاعب الدنيا إلا معاملة سائقي التاكسي لي . . . فقد عرفوني جميعاً . وعرفوا أني أركب التاكسي ثم أعتذر عن دفع الأجرة فأصبحوا لا يقفون إذا أشرت إليهم بالوقوف . . . وإذا رأوني مقبلاً إلى موقفهم تحركوا بسياراتهم وهربوا مني . . !!

ثم ضحك حمام ضحكته التي كانت تصدر عنه صافية ذات رنين . كأنها صادرة عن قلب خالٍ من الهموم . . وقال :

لقد دخل سائقو التاكسي التاريخ . لأني ذكرتهم في أبيات نظمتها اليوم . . وكانت أبياتاً هزلية يعارض بها قصيدة شوقي الرائعة التي مطلعها :

قال حمام :

أما العتاب فبالأحبة أخلق   والحب يصلح بالعتاب ويصدق
أما الفلوس فبالأحبة أخلق   والقرش أقرب للفؤاد وألصق
لم يبق في جيبي سوى تعريفة   والله يمنح من يشاء ويرزق
لما قصدت البنك أطلب سلفة   قالوا : ابتعد فالبنك لا يتصدق
هل من كريم أرتجيه لورطتي   سمح اليدين إلى المكارم يسبق
فإذا سألت بريزة من فيضه   ألفيت بحر برائز يتدفق
شاورت للتاكسي أريد ركوبه   فمضى يبرطع كالحمار وينهق
السائقون دروا بإفلاسي فما   يقفون لي وأنا أشير وأزعق

ويختم حمام قصيدته وهو يضحك منشداً في إثرها قصيدة أخرى عن القروض وأهميتها لديه . .يقول :

قد درأنا الإفلاس بالتسليف   واشترينا به غموس الرغيف
لا نبالي إذا القروض توالت   كبسة الصيف أو هجوم الخريف

وكان له موهبة أخرى فهو يجيد تقليد الأصوات تقليداً متقناً وبارعاً فهو يحاكي الصوت ثم يحاكي لوازم صاحبه عند الكلام . فيُخيل إلى المستمع أنه يسمع صوت صاحب الصوت نفسه . وله في ذلك مهارات عجيبة ومقالب طريفة . جعلت منه الجليس الأنيس فاكهة السامر وريحانة المجالس .

ومما يُروى من مقالبه أنه عندما وقعت خصومة بين الأستاذين العقّاد وتوفيق دياب الصحفي اللامع وصاحب جريدة الجهاد . اتصل " حمام " هاتفياً بالأستاذ العقاد وبادأهُ بصوت الأستاذ توفيق دياب ولوازمه في كلامه ولاطفه وعاتبه ومازال به حتى أبرأ صدره من الغضب وضرب له موعداً للقاء . ثم اتصل هاتفياً بالأستاذ توفيق دياب وبادأه بصوت العقاد وبلوازمه في كلامه فعاتبه ومازال به حتى صفّى ما بنفسه وضرب له موعداً للقاء . ويكون اللقاء ويأتي الحديث عن الكلمات المتبادلة بينهما هاتفياً . فينكر كل منهما أنه اتصل بالآخر وينكشف " المقلب " ويعرفان أنه من محمد مصطفى حمام .

وقد روى أنيس منصور في كتابه عن صالون العقاد موقفاً طريفاً يدل على خفة ظل شاعرنا وسرعة بديهته . ففي إحدى ندوات الأستاذ العقاد طُلب منه أن يُقلد طه حسين في طرقه حديثه : فأخرج نظارة سوداء ووضعها على عينيه ومال إلى الأمام ثم قال :

إذا كنتُ راكباً حماراً . فأنا راكبٌ والحمار مركوب . ولما كان المركوب هو الذي نلبسه في القدم ولما كان الحمار لا يلبس في القدم . فالحمار ليس مركوباً . ولما كنتُ راكباً . ولم يكن الحمار مركوباً فلا أنا راكبٌ ولا الحمارُ مركوب . ولا عرف

أبو العلاء هذا النوع من المراكيب ...إذا فأيُّ الأنواع كانت شائعة على أيام أبي العلاء؟؟!!.

ويُلاحظ هنا لوازم طه حسين في أسلوبه فهو يميل إلى التكرار ولا يَملُّ من ذكر أبي العلاء المعريّ . وفي نفس المجلس طُلب منه أن يُقلد العقاد في طريقة حديثه فاعتدل وجلس جِلسةَ العقاد ثم قال :

" فرأس الشيوعي مثل القوالب الخشبية التي يضعونها في الأحذية لتجعل الحذاء مشدوداً فإذا أصبحت مشدودة أخرجوا منها القوالب ووضع الشيوعيون رؤوسهم فيها . وليس غريباً أن الشيوعي "تروتسكي" عندما ألقوا القبض عليه أمسك حذاء في يده وهددهم . إنه لم يهددهم إنما الحذاء أحد الشعارات الشيوعية ولما كان الشيوعيون يمشون على رؤوسهم أي على عقولهم أي على أفكارهم فرؤوسهم تحت وأرجلهم فوق .ولما كان الشيوعيون حريصين على رأس الفكر وليس رأس المال فإنهم يضعون رؤوسهم في أحذية فلسفية " .

ويُلاحظ هنا براعته في اختيار موضوع تقليده للعقاد حيث اختار الشيوعية كمذهب ضال تنبأ العقاد بسقوطه ودكّ أركانه بفكر ثاقب وبصيرة نافذة .

وفن الهجاء مظهر من مظاهر الفكاهة في شعرنا العربي . ولكنه عند محمد مصطفى حمام نلاحظ أن ما كتبه في الهجاء أقرب إلى الداعبة والمعابثة منه إلى سوء القول وفُحشه . فقد كان له صديق يسمى " نجاتي " وكان أديباً ومطرباً ولكن شاعرنا كان يستنكر صوته ولا يعترف به مطرباً فقال يهجوه :

ألا قبحاً لصوتك يا نجاتي لحق أنت إحدى المزعجات
فلو أني استعنت على عدوٍ بصوتك لاسترحت من العداة
ولو غنّيتَ في عرس بهيج لصيّرتَ الرواقص لاطمات

وتنعكس ثقافة حمام الدينية على إبداعه الفني . فهو يتخذ من بعض أحكام الشريعة الخاصة بـ (الصوت) وسيلة للنكير على صديقه ذاك صاحب الصوت المزعج . فيقول هازئاً به إنه لو اختير مؤذناً يدعو الناس إلى الصلاة لكان نكران صوته أكبر وسيلة للتنفير لا للدعوة . ولو مكث بجوار المسجد الحرام بمكة يدعو الناس إلى الحج . لأعرض المسلمون عن الحج تحاشياً لصوته المنكر . يقول حمام :

ولو أذّنت للصلوات يوما رددت المسلمين عن الصلاة
ولو جاورت بيت الله تشدو بصوتك في البقاع الطاهرات
لقلنا الحج ليس بمستطاع فأبطلتَ الفريضة يا نجاتي

وشاعرنا حمام لديه طاقة هائلة في السخرية تجعله يرسم صورة لا تنسى لمن يسخر منهم . وسخريته من النوع الذي يمتزج فيه الجد بالهزل امتزاجاً لطيفاً لا يكاد يبين .

فمن ذلك قصيدته التي أسماها (مناجاة) وهي غير موجودة في ديوانه ولكننا عثرنا عليها في جريدة الوادي العدد الصادر يوم ٣١أكتوبر عام ١٩٣٤م . وهي مناجاة بين الوزير والكرسي . يسخر فيها من أولئك الوزراء الذين ألقت بهم أقدارهم

على كرسي الوزارة فانكبوا على كراسيهم تلك يوسعونها حباً وتقبيلاً يكاد يصل إلى درجة العبادة . وشاعرنا يشخص الكرسي ويخاطبه على لسان الوزير قائلاً :

تقبلتني – بالرغم منك – نزيلا فلا ترجُ مني – الدهر – عنك رحيلا
ولستُ أبالي كنتُ ضيفاً محببا لنفسك ، أو ضيفاً عليك ثقيلا

ويمضي الوزير في رحلة توسل طويل يناشد كرسي الوزارة ألا يتخلى عنه ويبحث عن سواه [ومن الجدير بالإشارة هنا أن تلك الحقبة كانت حقبة تغييرات وزارية ودستورية متسارعة في مصر] ويضرع الوزير إلى الكرسي ألا يُشمت خصومه السياسيين الذين يشفي غليلهم أن يروه خارج الوزارة :

نشدتك يا كرسيُّ إلا صحبتني طويلاً ولم تخطب سوايَ خليلا
ولم تتبرم بالذي أنت حاملُ فإني لأخشى أن تكون ملولا
وإني لأخشى أن يُفَرِقَ بيننا فتورثني حزناً عليك طويلا
وتشمت بي خصماً يُروِّي نفوسَهم هواني ويشفي للصدور غليلا

ويشتط الخيال بالوزير وهو يناجي كرسيه ، وما إن يصل إلى هذه اللحظة التي يتخيل فيها خروجه ، حتى تنساب في نفسه خيالات مخيفة لا تقف عند حد أولئك الخصم الذين سيسعدهم خروجه ، وإنما سيمتد اثر خروجه إلى حياته الخاصة فتنهار صروح المنى التي رتع فيها زمناً قصيراً ، وينفض عنه أولئك الذين نعموا بعطاياه إبان عزه وجاهه . وتقلب له الدنيا ظهر المجنّ فتلقي به في مزبلة التاريخ ليجاور أسلافه من المتسلقين المتملقين :

ويرتد ما شيَّدتُ من صرح عِزَّتي   كئيباً كما يهوى العداةُ مهيلا
وينفضُّ من حولي أناس تفيأوا   ظلالي وأُعْطُوا من نداي جزيلا
فيومئذ أبكي لجاه مُضيع   وجيش من الأعوان صار فلولا
ودنيا حسبناها علينا مقيمة   فزالت وما أجدت علىّ فتيلا

وهناك قصيدة فكاهية أخرى لشاعرنا محمد مصطفى حمام لم يتضمنها ديوانه الذي نشر بعد وفاته . وعثرنا عليها في مجلة "الاثنين و الدنيا " العدد ١١٦٨ الصادر في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م . وهي بعنوان (كن صريحاً) سلك فيها مسلك الشعراء الحلمنتيشيين أمثال بيرم التونسي وحسين شفيق المصري . الذي كانت عادتهم معارضة قصيدة مشهورة . مع ذكر مطلعها منسوباً لقائلها . ثم النسج على منوالها في أغراض جديدة تمزج الفكاهة بالجد ن وقد اختار شاعرنا لقصيدته مطلع قصيدة عمر بن الوردي الشهيرة :

اعتزل ذكر الأغاني والغزلْ   واترك اللهو وجانبْ من هزلْ

وهو يخاطب بهذه القصيدة المتحدثين باسم الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية . وبصفة خاصة في مصر . ويبدو من تاريخ نشر القصيدة أنها كانت خلال الحملة الإعلامية الضخمة التي شنتها الدول الغربية على مصر في أعقاب قرار تأميم شركة قناة السويس المصرية في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م تلك الحملة الشرسة التي انتهت بعدوان ثلاثي عسكري مباشر من فرنسا وبريطانيا و إسرائيل على مدينة بور سعيد . ودعم سياسي أمريكي . وقد بدأت عمليات العدوان في يوم

٢٩ / ١٠ / ١٩٥٦م - نفس اليوم الذي نشرت فيه القصيدة - في مجلة (الاثنين والدنيا)

والنموذج الذي يخاطبه شاعرنا هو نموذج ذلك الرجل السياسي المنافق حمال الأوجه الذي يحذو حذو أمريكا في غموض سياستها آنذاك فهو يستحلفه بجورج واشنطن الرئيس الأمريكي الأسبق الذي يعتبره الأمريكيون وحلفاؤهم مثالاً للبطل الوطني المعطاء . يستحلف شاعرنا النموذج الذي يخاطبه بهذا البطل الشهير ويسأله أن يكون واضحاً صريحاً حاسماً قاطعاً في تصريحاته وأقواله . وألا يتذرع بالدبلوماسية ويتخذ منها وسيلة للمراوغة والتضليل . يقول حمام :

أيها الناطق عن أمريكة	أنت قد هددت عقلي بالخلل
أنا في عرض وشنطون الذي	هو في تاريخكم نعم البطل
قل لنا قولاً صريحاً مرة	أنت حيرت شعوباً ودول
كل حين لك لون يا فتى	كل يوم لك رأي مرتجل
أعلينا أنت ؟ أم أنت لنا ؟	أسروراً تتمنى أم زعل ؟

ويبدو كما قلنا أن شاعرنا كان يخاطب في هذه القصيدة مسؤولاً معيناً أو متحدثاً صحفياً أو صديقاً كان يدافع عن سياسات الغرب الذي كان آنذاك في أوج تشدده ضد مصر إثر قرار عبد الناصر تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م وهذا تفسره الأبيات التالية فهو فيها يسأل صاحبه هل أنت مع جمال عبد الناصر

أو مع إيدن - وزير خارجية بريطانيا آنذاك والذي كان يقود حملة عدوان الغرب ضد مصر - :

أجمــالاً تــرتضي أم إيــدناً ؟	**أأمانــاً تتــوخى أم وجــل؟**
أنــت يــا أسـتاذ تعطـي زغـدة	بينـما تغمـر وجهـي بالقبـل
أنــت يــا شـيخ نشـاط وكَسَـلْ	أنــت - والله - نجـاحٌ وفشـل
أنــت خصـم وأخ ، أنـت ضـنى	وشـفاء ، أنــت يـأس وأمـل
أنــت أعـددت لنـا مائـدة	قـد مزجـت المش فيهـا بالعسـل
أنـت في بعـض الليـالي قمـر	يرسـل البشرى وفي البعض زحـل
أسرة المقتـول قـد واسـيتها	ثـم أقبلـت تـواسي مَـنْ قتـل
تكـره الغـدر مـن الـذئب وقـد	تـدفع الـذئب إلى نهـش الحمـل
تعـظ الحشـاش وعظـاً زاجـراً	وتغذيـه بـأنواع الشُـطل

وهكذا يرسم لنا شاعرنا صورة مهجوه المنافق ذي الوجهين المتردد فيقدمه إلينا صورة لتذبذب الإنسان بين الشيء وضده . فهو بذلك صورة لإنسان ممسوخ النفس تجتمع فيه النقائض ويختتم شاعرنا قصيدته بقوله إن صاحبه يصلح قصة لفيلم سينمائي هازل . كما تصلح موضوعاً للفن بوجه عام :

تمـدح الشيء وتهجـوه معـاً	تصـف القـط بأوصـاف الحَمَـلْ
أنـت موضـوع لفـيلمٍ مضـحك	ولوصـفٍ ، ولشـعرٍ ، وزجـلْ

وأخيراً ينصح شاعرنا صديقه أن يتخذ لنفسه منهجاً واضحاً أياً كان ذلك المنهج . فالمهم فيه أن يكون واضحاً لمن يراه ومريحاً لمن يتعامل معه :

كـن صـديقاً ، أو عـدُّواً واضـحاً　　كـن صريحـاً وأرحـنا يـا رجـلْ !!

وبعد حياة المعاناة التي عاشها حتى تعرف في أواخر حياته بالسري السعودي الشيخ محمد مسرور الصبان الذي أعجب به وقربه إليه كما يقول طاهر أبو فاشا – رحمه الله – . ووفر له عملاً كريماً في السعودية . ثم غادرها بعد قليل إلى الكويت كما يظهر من قصيدته التي يقول فيها :

إلى الكويـت أشـد الرحـل مغتربـاً　　ومـا أزال غريـب الـدار مـرتحلا

نأى بيَ الرزق عن أهلي وعن ولـدي　　مستسـلماً لقضـاء الله ممتـثلا

ولم تطل إقامته بالكويت أكثر من عام ونصف حتى لقى ربه بالكويت في الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩٦٤م . فرحم الله شاعرنا حماماً بقدر ما روّح عن محبيه وجلسائه وقرائه بما أفاء الله عليه من روح فكهة وخفة ظل .

قصائد مصطفى حمام

في مجلة الاثنين والدنيا عدد ١١٦٤ بتاريخ ١/١٠/١٩٥٦ يقول في قصيدة بعنوان "يا مجلس الأمن.." إلى أعضاء عصابة "المنتفعين":

قل للخواجات عيب يا خواجات ... هل الحياء انتهى ،واللى اختشوا ماتوا
يا أيها المستر الفخم الذى عرفت ... عنه النظاكة جداً والشياكات
وأنت أيها المسيو، وأعرفه ... تفوح من خده الحلو الكولونيات
ما للنواعم قد زالت نعومتها؟ ... وقال قائلهم أنا فتوات!!
ما للبرانيط طارت عن رؤسهمو؟ ... هل البرانيط بعد اليوم لاسات؟!
هذى المدافع فى أيديهمو عجب ... فما لأيديهمو إلا المنشات
أو الكتاشين كونكانا تكنكنه ما ... أو بوكراً فيه توضيت وبلفات
كانت الحرب يوما من صنائعهم ... فهم جسوم طريات دليكات
نهارهم كله هلس ومسخرة ... ولـيلهم كله خمر وستات
سل عن بريطانيا قوما قبارصة ... هم على جيشنا كر وغارات
نسف وقتل وترويع وبهدلة ... وكل يوم أذيات وعلقات
سل عن بريطانيا مصراً وما صنعت ... بها فمصر رجولات وصبوات
سل الثمانين ألفاً، كيف أخرجهم ... شعب له فى كتاب المجد أيات
سل الجزائر عن جيش الفرنسى وهل ... له من الحرق والتقتيل إفلات

وقـل لسـلوين أو بينـو، إذا خطبـا — والله إنـك عجـان ولتـات

فتتنـا ملكنـا .مـن جـاء يغصبهـا — تنـزل عـلى رأسـه منـا المصيبات

يـا مجلس الأمـن ،لا نسـمع لقولهمو — مـا هـذه دول بـل هـم عصـابات

وفى عدد ١١٦٥ بتاريخ ٨ / ١٠ / ١٩٥٦ يقول فى قصيدة بعنوان" لا حرب"

لا حـرب حـول قوتنـا ..لا معمعـة — لا صـوت يـزعج سـمعنا ، ى قعقعـة

لا جـيش، لا أسـطول ،لا طيـارة — لا شـىء إلا دوشـة أو جعجعـة

انشـال وانهـد الفتـوة "إيـدن" — ورمـى جاكتتـه وألقـى القبعـة

وكـأنها التـأميم حمـى سـخنة — رفعـت حرارتـه وهـزت مضـجعه

أو عقـرب حمـراء طـارت نحـوه — ثـم اختفـت فى فرشـه كـى تلدعـه

أو بعبـع مـن مصر أرعـش جسـمه — كالطفـل، إن الطفـل يخشـى بعبعـه

فانسـاب محمومـاً وحـار دليلـه — مـا بـين حمقتـه وبـين المرقعـة

النقل إلى الصعيد في الشعر الحديث

كان الصعيد في الماضي البعيد هو مصر الحقيقية . فقد كان عظماء حكام مصر من أهل النوبة في العصر الفرعوني وما تزال المعابد في أسوان وأبي سمبل والأقصر وسوهاج أدلة شامخة تتحدى الزمن لتثبت أن فجر الحضارة المصرية بزغ من الجنوب . ولما تولى مينا – ابن سوهاج – حكم مصر نقل عاصمة ملكه من طيبة إلى منف ولقب بموحد القطرين .

وعاشت مصر كلها في عهود الرومان والفرس والمسلمين دولة واحدة فلما جاء عصر محمد علي أولى محمد علي اهتماماً واحدا لكل مصر فقد كان حاكماً عبقرياً سابقاً لعصره . ولكن أحفاده فسدوا بعده فساداً كبيراً . وبدأ اهتمامهم ينصب على الشمال – حيث أملاكهم – دون الجنوب فبدأ الصعيد يتدهور شيئاً فشيئاً إلى أن جاءت ثورة يوليو فقضت على البقية الباقية من الصعيد فأنشأت مئات المصانع في القاهرة والإسكندرية ومحافظات الدلتا .

وأنشأت في الصعيد بضعة مصانع للسكر ازدادت معها المساحات المزروعة قصباً لتشغيل تلك المصانع . والقصب يستمر على الأرض سنة أو سنتين وربما أكثر مما أتاح الفرصة للإجرام وحوادث النهب والسلب والثأر وتجارة السلاح والمخدرات أن تزدهر وتنمو وتؤتي أكلها : دماراً وتخلفاً وجهلاً ومرضاً . ولما جاء السادات إلى الحكم فاقت حدة المشكلة كل احتمال . فقد أنشئت في عهده القليل (١١ سنة) عشر جامعات في الدلتا مقابل نصف جامعة للصعيد كله . وفي عهده بدأت سياسة

الانفتاح الاقتصادي التي ترتب عليها إنشاء مدن عمرانية جديدة مثل السادس من أكتوبر والعاشر من رمضان والخامس عشر من مايو .. إلخ .

واكتظت تلك المدن الجديدة بالمصانع التي أنشأها المستثمرون في إطار سياسة الانفتاح الاقتصادي التي أدت إلى نمو رأس المال الخاص وانقضاضه على الاقتصاد القومي .

وقد ظل الجنوب يزداد فقراً ، والشمال يزداد غنى إلى أن جاء حسني مبارك إلى الحكم في أعقاب اغتيال السادات عام ١٩٨١م ، فبدأ يلتفت إلى ما حاق بالصعيد من ظلم لا سيما بعد أن تزايدت موجات العنف السياسي في الصعيد تزايداً ملحوظاً ابتداءً من أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات مما جعل نظام الحكم يدرك كمّ المعاناة التي يعيشها الجنوب . فبدأت السياسات التنموية تتجه جنوباً بتوجيه مباشر من الرئيس مبارك فتحسنت البنية الأساسية تحسناً ملحوظاً وإن كان ذلك لم يستطع تعويض مئات السنوات من القهر والإذلال والتجويع والإرهاب الذي مورس ضد الصعيد على مدى القرنين الماضيين أو أكثر منهما قليلاً .

وفي معظم الأحوال كان الفكر الإداري السائد ، الذي يدعمه إعلام منحاز فاسد ، ينظر إلى الصعيد على أنه جزء دخيل على الوطن وكان نقل الموظف المشاغب إلى الصعيد عقوبة قاسية لا يلقاها إلا ذو حظ كنود .

وأول ما يطالعنا في هذا المضمار قصيدة اشتهرت لحفني ناصف قالها بمناسبة نقله إلى محافظة قنا وبعث بها إلى وزير الحقانية (العدل) الذي نقله إلى

قنا استجابة لرغبة اللورد كرومر الذي استفزه تشجيع حفني ناصف لمشروع إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٠٨م وما أبداه شاعرنا من حماس تمثل في تبرعه بالمال والتدريس في الجامعة الوليدة التي كانت أمل شعب مصر في إعداد جيل من قادة التحرير والتنوير.

وفي مطلع هذه القصيدة يوجه الشاعر حفني ناصف ساخراً الشكر المزدوج للوزير على هذا النقل الذي رآه ترقية له فيقول :

رقّيتني حسّاً ومعنى   فلفضلك الشكر المثنّى

ثم يوازن الشاعر بين الجنوب والشمال ، أو بين قنا والقاهرة إن شئت الدقة فيجعل كل عيوب قنا مزايا ومن ذلك تلك الأبيات الشهيرة التي يحفظها أهل قنا حتى الآن :

قالوا شخصت إلى "قنا"   يا مرحباً "بقنا" و"إسنا"
قالوا سكنتَ السفح قلـ   ـتُ وحبذا بالسفح سكنى
قالوا قنا حَرٌّ فقلـ   ـت وهل يُرَدُّ الحُرُّ قِنّا؟

ثم يثني الشاعر خيراً على الحرارة ويرى فيها سر الحياة . فبالحرارة المتولدة عن احتضان الدجاجة بيضها تتولد الحياة في البيض الدافئ . والطيور التي يعضها ألم البرد فتكمن في أعشاشها . تنطلق مغردة مرفرفة مع انتشار الدفء . والأنهار تفيض صيفاً فتغذي النبات والإنسان :

سر الحيـــــاة حـــــرارة   لـــولاه مــا طـــير تغنـــى
كــــلا ولا زهــــر تبســـــ   ـــم لا ولا غصــــن تثنـــى
والحـــي بـــدء حياتـــه   بعــد التـــزام البـيض حضـــنا
تتـــدفق الأنهـــار مــــن   حــر وتزجـــي الـــريح مزنـــا

ثم يصف حفني ناصف حياة المدن الشمالية التي كان يعيش فيها بأنها حياة باردة ، يزيد من كآبتها أولئك الصحب الثقلاء الباردون . وما في حياة البرد والرطوبة من انكماش وبحث عن الأغطية والدثور :

هـــا قـــد أمنـــت الـــبرد والـــ   ـــبرداء والقلـــب اطمأنـــا
ووقيـــت أمـــراض الرطـــو   بـــة واســـتراق الـــريح وهنـــا

ثم يصف ما في حياته الجديدة في " قنا " من حرية فه ويلقى الهواء دون خوف من برودة أو رطوبة ، ثم إن حياته الاقتصادية ازدهرت فتوفر ماله الذي كان ينفقه في الترف في الشمال :

ألقـــى الهـــواء فـــلا أهـــا   ب لقـــاءه ظهـــراً وبطنـــا
وأنـــام غـــير مـــدثر   شـــيئاً إذا مـــا الليـــل جنـــا
قـــد خفّـــت النفقـــات إذ   لا أشـــتري صـــوفاً وقطنـــا
وفّـــرت مـــن ثمـــن الوقـــو   د النصـــف أو نصـــفاً وثمنـــا
فالشـــمس تكفـــل راحتـــي   فكأنهـــا أمـــي وأختـــي

يقول الشاعر محمود غنيم [في كتابه عن حفني ناصف في سلسلة أعلام العرب] معلقاً على هذه القصيدة إن حفني ناصف قلب مساوئ " قنا " محاسن ومفاتن ، ففيها يرتفع مكانه ، حتى تكون رؤوس حساده أدنى من قدميه . وفيها يرد ماء النيل صافياً قبل أن تلوثه أفواه الشاربين من أهل القاهرة . وفيها يتمتع بالجني مبكراً قبل أن يتمتع به القاهريون .

أما حرها اللافح فهو سر الحياة كلها ، وبه أخذ مناعة ضد البرد والرطوبة وما يسببانه من أمراض ، ثم هي مدينة منقطعة ، بيد أن انقطاعها نعمة لا نقمة فهو يحمله على الادخار حيث لا مصارف للنقود ، فضلاً عن أن حرارة جوها أغنته ليلاً عن الغطاء ، ونهاراً عن مضاعفة الكساء ، ووفرت عليه ثمن الوقود وفيم الوقود وماؤها ساخن ، وجوها فرن ؟ ثم لا يضر قنا أنها بلد ريفية لا حاضرة كالقاهرة فهو فيها علم مشهور ، وفي القاهرة نكرة مغمور . . إلى آخر ما أورده مما يدور في هذا الفلك .

إن حفني ناصف في هذه القصيدة سلك سبيل أبي الحسن الأنباري في رثاء أبي طاهر بن بقية الذي قتل مصلوباً ، فاتخذ الشاعر من مظاهر صلبه أسباباً لرفعة شأنه وعلو مكانه :

علـــو في الحيـــاة وفي المـــمات   لحـــقٌّ أنـــت إحـــدى المعجـــزات
كـأن النـاس حولـك حـين قـاموا   وفـــود نَـــداك أيـــام الصِّـــلات
كأنـــك قـــائم فـــيهم خطيبـــاً   وكلهمـــو قيـــام للصـــلاة

إلى آخر ما ورد في هذه القصيدة مما يحبب الصلب إلى الأحياء حتى قيل إن القاتل ود لو كان هو المصلوب . وفاز بهذه القصيدة .

وقد لقيت قصيدة حفني ناصف حظاً واسعاً من الشهرة فعارضها الكثيرون فعندما نقل الشاعر الفكه عبد المجيد طه إلى مدينة " طما " ثم إلى قرية " مشطا " بمحافظة سوهاج قال قصيدة يحتذي فيها قصيدة حفني ناصف وزناً ومعنى إلا أنه غيّر القافية فقال :

قالوا : نُقلتَ إلى "طما" يا مرحباً "بطما" و"مشطا"

قالوا : أكلتَ المشّ قلتُ وحبذا بالمشّ لهطا

وفي الخمسينيات من هذا القرن أسهمت تلك القصيدة في إحياء فن النقائض في شعرنا المعاصر فقد نشرت مجلة الثقافة في العدد ٧٠٧ بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٥٢ م قصيدة للشاعر الباحث الدكتور / محمد رجب البيومي . وكان آنذاك مدرساً بالإسكندرية فنقلوه إلى الصعيد . وقد مهد البيومي لقصيدته بقوله : "يكاد أدب النقائض يلفظ أنفاسه في الشعر المعاصر . وهذه محاولة نذكر بها الشعراء وقد رأيت أن أناقض قصيدة حفني ناصف :

رقّيتني حسّاً ومعنى فلفضلك الشكر المثنى

لظروف مشابهة لمناسبة التي نظم فيها حفني قصيدته وإن اختلف المعنى وبُعْد الاتجاه "

وفي هذه القصيدة يخاطب البيومي صاحب قرار نقله إلى الصعيد شاكياً معاتباً متظلماً مما لحقه من غبن . ثم يصف الصعيد بأنه سجن لا يمكنه من وصال أحبابه . فيقول :

آذيتنـــي حسّــاً ومعنــى	وغبنتنــي في النـــاس غينــا
وشـــفيت مهجـــة حاســد	باتـــت تمـــور عـــلي ضـــغنا
قـــد كنـــت أعـــلى منـــه مـــر	تبـــةً فصرت أقـــل شـــأنا
أغشـــى الصـــعيد مروعـــاً	فـــأجوب بعـــد الســـهل حَزْنـــا
بلــــد إذا حلَّـــت بـــه	قـــدماك قلـــت : حللـــت ســـجنا
إن رمـــت وصـــل أحبتـــي	شـــاهدت دون الوصـــل بونـــا
جهـــد جهيـــد للقطـــا	ر بُعَيْـــده ســـأمان مُضْـــنى

ثم يوازن بين طلابه الصعايدة الذين يراهم خُشْناً أجلافاً أغبياء وبين طلابه السكندريين في منطقة " الرمل " بالإسكندرية الذين أترفهم النعيم فجعل منهم ناساً رهاف الحس أذكياء العقول فيقول :

أرنـــو لطـــلابي فأبـــ	ـــصرهم جفـــاة الـــذوق خشـــنا
خبـــت العقـــول كأنهـــا	شـــمس كســـاها الأفـــق دجنـــا
لا مثـــل إخـــوان لهـــم	"بالرمـــل" يتقـــدون ذهنـــا
تـــرف الحيـــاة أمـــدهم	بالـــذوق فاتخـــذوه فنـــا

ثم يناقض البيومي حجج حفني ناصف التي أشرنا إليها سابقاً . تلك الحجج التي أحال بها حفني ناصف عيوب الصعيد مزايا . مثل أهمية الدفء والحرارة في حياة البشر ، وقلة الإنفاق ، وجمال الطبيعة . فيرى البيومي في هذا كله عيوباً لا تطاق . فهو يقول :

قالوا شخصت إلى قنا ... لا مرحبا بقنا وإسنا
يكسو الهجير بها الوجو ... ه دجىً يحيل الحُرَّ قِنّا
يكفيك أن الإنس صا ... روا من سواد اللون جنا
أنا لا أريد معيشة ... قد بدلت طعماً ولونا
قالوا : نزلت السفح قلـ ... ـت : ومن يطيق السفح سكنى؟
أنا لست ذا غَنَمٍ لكي ... أرعى به معزاً وضأنا
قد قلّت النفقات لـ ... ـكن قلّ جسمي الهشُّ وزنا
ما حيلتي إن لم أجد ... شيئاً يباع بها ويُقْنَى
قالوا : اكتنزت المال إذ ... لا تشتري صوفاً وقطنا
أيظل جسمي عارياً ... بين الورى ظهراً وبطنا
هذا تخرص واهم ... بات الدليل لديه ظنا

فهو لا يريد الحرارة لأن حياته السابقة في الإسكندرية جعلته يأنس بالشتاء وينفر من الحرّ ، وهو في الصعيد لا يرى الشتاء إلا شهراً واحداً ، ثم يستحيل الجو بقية العام حراً قائظاً يزهق الأرواح ، ويبعث الخمول في النفس فيركن الناس إلى

بيوتهم فراراً من الحرّ ، ولا يجدي الماء شيئاً في دفع غوائل العطش الذي يفتك بالحلوق ، ذلك أن الماء نفسه ساخن لشدة القيظ الذي يرهق الإنسان والحيوان والنبات :

قالوا الحرارة في الشتا ... ء تنيل جسمك ما تمنى
تأتي السرير بلا غطا ... ء إن رأيت الليل جنا
وتبيت ليلك آمنا ... شر البرودة مطمئنا
قلت الشتاء يقيم شهراً ... بين أظهرنا ويفنى
ويطول قيظ الصيف حتـ ... ـى يزهق الأرواح منا
يوحي الخمول فكل جوّا ... بٍ تراه قد استكنا
تَخِذَ الهجيرُ أسنةً ... تهوى فلا تجد المجنا
نار إذا انقدت مشا ... علها تحيل الصخر عِهْنَا
جبل المقطم صارخ ... يشكو اللظى ويئن أنا
ويح الحلوق الظامئا ... ت بأي كارثة ستُمْنَى
ترد الكؤوس لترتوي ... برحيقها فتضن ضنا
وتطير صوب الماء وهـ ... ـو مُثْلَّج فتراه سُخْنا
القيظ ألهبه فلم ... تبصر به للرِّيِّ معنى

ثم يصف البيومي آثار ذلك القيظ الشديد على الصعيد وكيف أن جلب الخراب إليه فالصحراء تراها قد لفّها ذلك القيظ ذات اليمين وذات الشمال

ويصف البيومي الصعيد في هذه الحالة فيقول أنك إذا أتيت الحقول التي دائما تعج بالطيور والزهور والأشجار أما هنا في الصعيد فإنك لا ترى في الحقول طيراً ولا زهراً ولا أغصان شجرٍ كل ذلك من آثار ذلك القيظ الشديد والذي يعاني منه كافة الموجودات . فيقول :

جلـــب اليَبَـــابَ عـــلى الصعيـــ ـــــد وزاد عنـــه الخـــير غبنـــا
فـــانظر تـــر الصـــحراء قـــد حفَّـــت بـــه يُسْرى ويُمْنـــى
ســـفح مديـــد غـــير أنّـــ ـــك لا تـــرى بالســـفح حســـنا
تـــأتي الحقـــول الشاســـعا ت فـــلا تـــرى طـــيراً تغنـــى
كـــلا ولا زهـــراً تبســـ م لا ولا غصـــنا تثنـــى

ثم بعد وصفه ذلك للحقول والصيف في الصعيد ينتقل الشاعر إلى عقد مقارنة من تلك المقارنات التي تكثر في هذه القصيدة ويقارن بين ليله في الصعيد وكيف يقضيه بملل . لأنه لا يجد ما يرفه به عن نفسه من نوادٍ . وبين ليل الإسكندرية الذي يمر كنسيم الليل الندي ويتذكر الإسكندرية فيقول :

إن طـــال لـــيلي لم أجـــد ملهـــى يُتـــيح الأنـــس وَهْنَـــا
أيُّ النـــوادي فيـــه أقـــ ـــضي الوقـــت مبتهجـــاً وأنّـــى ؟
فأبيـــت لا الأحشـــاء هـــا دئـــة ولا الأجفـــان وســـنى
مـــتململاً فـــوق الفِـــرا شِ ، وخـــافقي كَلِـــفٌ مُعَنَّـــى
أتـــذكر الإســـكندرية والـــدمو ع تفـــيض مزنـــا

وأصـــبح مشـــتاقاً كطيـــ ـــر هاجـــه شـــجن فحنّـــا

وفي نهاية القصيدة يوجه كلامه إلى حفني ناصف فيقول له إنك بكلامك عن الصعيد غيرت الحق وأن شعرك هذا كان متجن بوصفه عيوب الصعيد وجعلها مزايا . ويقول له أما أنا فقد صدقت في قولي ونقلت صورةً طبيعية عن حياة المعاناة في الصعيد :

حِفنـــي قلبـــت الحـــق مجـــ ـــترئاً فـــدعنا منـــك دعنـــا
قـــد نـــاح قلبـــك مُعْـــوِلاً لكـــن شـــعرك قـــد تجنـــى
أمـــا أنـــا فصـــدقت فيـــ ـــما قلـــت إحساســـاً ومبنـــى

ثم نشرت مجلة الثقافة في العدد ٧١٠ بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٢م رداً على هذه القصيدة قدمت له بقولها : " كتب الأستاذ الأديب محمد رجب البيومي في مجلة الثقافة بالعدد ٧٠٧ قصيدة يناقض بها قصيدة المغفور له حفني بك ناصف فكتب الأستاذ الشاعر الأديب محمود محمد بكر هلال قصيدة أخرى يناقض بها قصيدة الأستاذ البيومي . . ونحن ننشرها هنا مضيّاً في هذه المساجلة الأدبية الطريفة . ونستسمح حضرة الأستاذ هلال عذراً إذ رأينا أن نقتطف منها أو نقتطف عنها بعض زوائد رأينا اللياقة تضيق بها . وإن كانت رائعة ناضرة . قال الأستاذ هلال :

" كتب الأستاذ الأديب محمد رجب البيومي المدرس بأبي تيج الثانوية في مجلة الثقافة العدد ٧٠٧ بتاريخ ١٩٥٢/٧/١٤ ما يأتي :

" يكاد أدب النقائض يلفظ أنفاسه في الشعر المعاصر . وهذه محاولة نذكر بها الشعراء . وقد رأيت أن أناقض قصيدة حفني ناصف :

رقّيتنـــــي حسّــــاً ومعنـــــى   فلفضــــلك الشـــكر المثنـــى

لظروف مشابهة لمناسبة التي نظم فيها حفني قصيدته وإن اختلف المعنى وبعد الاتجاه "

أورد الأستاذ قصيدة تقارب الخمسين بيتاً . ناقض فيها الأديب الكبير المرحوم حفني ناصف ولقد رأيت فيها تحاملاً على الفقيد من غير حق . وغمزاً لمكانه من غير دليل . ونكراناً للمعروف والجميل فقررت مناقضته فقلت [والكلام للأستاذ بكر هلال] على لسان الصعيد :

قـــــرأ الصـــــعيد قصـــــيدة   بلقـــــاء مــــن رجـــال تجنّــــى

واهتاجـــــه النكـــــران ثـــــ   ـمّ انساب يزجـي الـرد وزنـا

يـــا منكـــراً فضـــلي عليـــ   ـك ومشـبعي ذمـا وطعنـا

مـــــا أنــــــت أول نـــــاكر   متقـــــول قلـــــب المجنـــا

مـــا كـــان ضرك لـــو حفظـــ   ـت العهـد والإحسـان عنـا؟

قــــد جـــاء قبلـــك ناصـــف   ذَكَـــرَ الحقيقــــة مطمئنـــا

حتـــــى أتيـــــت تـــــذمني   يأيهــــا الرجـــب المُكَنَّـــى

ويبدأ الشاعر بكر هلال رده وتفنيده لحجج الشاعر رجب البيومي بتضمين بيته الذي استهل به قصيدته وهو قوله :

آذيتنـــــي حســـــاً ومعنـــــى وغبنتنـــــي في النـــــاس غبنـــــا

ثم يقول لصاحبه إنك أنت الحسود الذي كشفت عن بغضك للصعيد وأهله بلا مسوِّغ . وأنت جئت الصعيد فلم ينقص قدرك ولم يفرح بنقلك إليه حسادك وشانئوك لأن نقلك للصعيد فيه رفع لقدرك لأنك جئت إليه مرقى ترقية وليس مغضوباً عليك فيقول :

آذيتنـــــي حســـــاً ومعنـــــى وغبنتنـــــي في النـــــاس غبنـــــا
وكشـــــفت بغضـــــة حاســـــد باتـــــت تمـــــور عـــــلى ضـــــغنا
أنكـــــرت إحســـــاني إليـــــ ـــــك وقـــــد همـــــى بـــــراً وحســـــنى
مـــــا كنـــــت أعـــــلى مـــــن حســـــو دك رتبـــــة وأجـــــل شـــــأنا
بـــــل جئتنـــــي فعلـــــوت قـــــد راً والمقـــــام بـــــك اطمأنـــــا
أو مـــــا كفـــــى ذمـــــي وأنـــــ ـــــي صرت للغربـــــاء ســـــجنا ؟
حتـــــى تـــــذم الساكنيـــــ ـــــن وتمـــــلأ الآفـــــاق هجنـــــا

ثم يتهم الشاعر صاحبه بأنه ما غضب على الصعيد إلا لأن طلابه قصروا في تغذيته بالجبن والعسل ، ويرد على صاحبه موازنته بين طلاب الشمال وطلاب الجنوب ، فيرى أن طلاب الصعيد أكثر ذكاء فقد نبغ منهم المشاهير مثل نجيب الهلالي باشا الذي كان وزيراً ورئيس وزارة سابقاً ، ومنهم محمد محمود باشا

وسينوت حنا باشا من أبطال ثورة ١٩١٩م . ويسمي الشاعر من مشاهير الصعيد أيضاً مرتضى المراغي باشا وزير الداخلية نجل الشيخ المراغي رحمه الله . ويسمي أيضاً سفيراً شهيراً اسمه عمرو فيقول :

هـــل قطر الطـــلاب حتـــى لم تـــذق عســـلاً وجبنـــا؟
ليســـوا وربـــك مـــثلما ترمـــي جفـــاة الـــذوق خشـــنا
لكـــنهم نســـل الأُبـــا ة فـــلا تـــرى خـــوراً ووهنـــا
لم يعـــدهم تـــرف الحيـــا ة تخنُّـــاً تـــدعوه فنـــا
وعقـــولهم أصـــفى وأنـــقى مـــا يكـــون المـــرء ذهنـــا
مـــن هـــؤلاء النـــاس "ويصـــا" ثـــم "ســـينوت بـــن حنـــا"
مـــنهم "نجيـــب" وابـــن "محمـــود" وخـــير النـــاس شـــأنا
مـــنهم ســـفير ألمعـــي يـــرجـــح العقـــلاء وزنـــا
عمـــرو الـــذي بهـــر الممالـــك ذوقـــه حســـاً ومعنـــى
و"المـــرتضي" شـــبل الإمـــام ومـــن ســـما معنـــى ومبنـــى

ثم يتوجه بكر هلال لصاحبه متسائلاً : إذا كنت لم ترض عن حياتك في الصعيد فلماذا لم ترفض مجيئك إليه من البداية ؟ أولم تكن حياتك في قريتك (الكفر الجديد) كحياة أهل الصعيد مع المعز والغنم ؟ :

إن كنـــت لم تـــرض المعيـــشة بيـــنهم عمـــلاً وسُـــكْنى
لِمَ لَمْ تغـــادر أرضـــهم وتخفـــف البلـــواء عنـــا ؟

غمـــط الحقـــوق هـــو العقـــو ق ولـــيس هـــذا القـــول منـــا
السـفح خـير مـن ثـرى الــ ـــكفر الجديـــد ومـــا أجنـــا
قـــد قلـــت حقـــاً بعـــدما ســـطرت في النكـــران مَيْنـــا
[أنـــا لســـتُ ذا غـــنم لكـــي أرعـــى بـــه معـــزاً وضـــأنا
قـــد قلَّـــت النفقـــات لـــ ـــكن قـل جسـمي الهـش وزنـا]

ثم ينعي بكر هلال على صاحبه حديثه عن توفير النفقات في الصعيد . فيرى أن صاحبه بخيل أزرى به البخل . فالنقود حين تدخل جيبه لا تفارقه مرة أخرى

أنَّـــى عرفـــت الصرف حتـــ ـــى قلّـــت النفقـــات أنـــى ؟
تجـــد الـــدراهم بـــين كيـــ ـــسك في الجيـــوب لهـــا المجنـــا
أنـــت الحفـــيُّ بجمعهـــا تلقـــى بـــك الكَلِـــفَ المُعَنَّـــى
للقـــرش عنـــدك دولـــة تعنـــو لهـــا قلبـــا وعينـــا
تـــدعو الحيـــاةُ إلى الطعـــا م أو الكُسَـــى فتضـــن ضـــنا
إن البخيـــل يـــرى الضرو رة إن دعـــت ترفـــاً وظنـــا

ثم يدافع بكر هلال عن الحرارة مقابل ما في المصايف من برودة فيرى أن الحرارة مع الأصالة خير من لطافة الجو مع التحلل الأخلاقي وما يبدو على المصايف من تبذل وتبرج وعري . فيقول :

أمـــا التشـــكي مـــن حـــرا رات تحيـــل الجـــو ســـخنا
فـــانظر ميـــامي أو فرنســـا والـــدنا ركنـــا فركنـــا

تجــــد الحـــــرارة أســــقطت أثــــار غصــــن قــــد تجنـــى
والنـــاس قـــد خرجـــوا عـــرا ة كلهـــــم ظهـــــراً وبطنـــــا
في لنــــدن مهــــد الـــــبرو دة أَنَّـــــت الأنفـــــاس أنَّـــــا
والحـــر قـــد كظـــم النفـــو س فلـــم تجـــد بـــرداً ومزنـــا

وترتفع نبرة الشاعر بكر هلال وتزداد حدته . فيرد على ما جاء في قصيدة صاحبه من معايرة لأهل الصعيد بسواد ألون وجوههم . فيقول : إن اللون الأسود ليس عاراً لصاحبه . ولكنه دليل على نقاء الأصل . وطهر السلالة . وشهادة لأصحابه بأن دماءهم عربية خالصة لم يتسلل إليها دم الغزاة الأوربيين كما هو الحال في شمال البلاد في تلك المدن التي استعمرها الأوربيون عهوداً طويلة :

واللـــــون لـــــيس بســـــبة تـــزري بنـــا في النـــاس شـــأنا
فهــــــي الشــــــهادة أننـــــا مــــن نســــل وادٍ مــــا تــــدنى
لم تخـــــــتلط بـــــــدمائنا ألــــوان غــــازٍ قــــد تجنــــى

ويعاتب الشاعر الصعيدي صاحبه ويرميه بالكذب والافتراء حين يدعي أن الصعيد خالٍ من مظاهر الجمال . وينبّهه إلى جمال الطبيعة في الصعيد من غناء الطير . وانسياب مياه النيل رقراقة صافية . ويقول إن ما رآه صاحبه من كآبة في الصعيد ما هو إلا ترجمة لما في نفسه من مرض وما في قلبه من غرض :

أمحمــــد شــــوهت وجـــــ ـــه الحـــق بـــل وكســـوت دجنـــا
[تـــأتي الحقـــول الشاســـعا ت فـــلا تـــرى طـــيراً تغنـــى

كـــــلا ولا زهـــــراً تبســـــــم لا ولا غصـــــناً تثنـــــى]
هـــــذي أباطيـــــل يـــــرا هـا الحـق عنـد الـوزن عِهْنـا
مـــن قـــال : إن الطـــير مـــا وجـدت هنـا حسـنا وحزنـا
فتعطلـــــــت لهواتهـــــــا وتقطعـــــت ألمـــا وفنَّـــا
النيـــــل ســـــوَّى بيننـــــا وسرى يفـيض سـنى وحسـنا
ويخـــــط آيـــــات الجـــــما ل وســـحره يسرى ويمنـــى
فهنـــا طيـــور صـــادحا ت تبعـث اللحـن المُرِنَّـا
وهنـــا الأزاهـــر باســـما ت تســتبي عطـــراً ولونـــا
لكنـــه الـــذوق المريـــــض يحيـل سـهل الأرض حَزْنـا
ويجفـــف البحـــر المحيــــط ويجعـل الكتَّـانَ قطنـا

وينقلب شاعر الصعيد هاجياً لصاحبه ، فيذكر أنه حين يتباكى على عدم وجود أندية في الصعيد يقضي بها وقته ، فيقول لصاحبه : وأين أنت من الأندية والملاهي ؟ وأمن البخيل النكرة الذي لا يأنس إلا بالركون إلى بيته ؟ ثم يعير شاعر الصعيد صاحبه بأنه من قرية من قرى الشمال ، بل من كفر من كفوره الصغيرة ، فلا حق له بالافتخار بالإسكندرية ، وكان حرياً به أن يتذكر مصاطب قريته النائية أما فخره بالإسكندرية فإنه يذكر الناس بالمثل الشعبي الذي يقول : (إن الصلعاء [= عديمة الشعر] تفخر بشَعْر ابنة أختها) :

مـــاذا ألـــيس هنـــاك مـــا يـــدني لقلبـــك مـــا تـــدنى

[إن طـــال ليلـــك لم تجـــد ملهـــى يتـــيح الأنـــس وهنـــا
أي النـــوادي فيـــه تقضـــ ـــي الوقـــت مبتهجـــاً وأنـــى ؟]
عجبـــاً فهـــل أنـــت الـــذي يـقضي اللهـي لـو عـاش قرنـا ؟
أو أن أصـــــغر منتـــــدى يـــرضى اشـــتراكك مطمئنـــا
بـــل أنـــت مالـــك والنـــدِيُّ إذا تعـــــذُّر أو تســـــنى ؟
لم تُلْــــــفَ إلا قابعـــــاً في كسر بيتـــك مســـتكنا
[أتـــــذكر الإسكندريـــــ ـــة والـدموع تفـيض مزنـا]
لِمَ لا تحـــــن إلى مصـــــا طـب كفـركم لتطيـب سـكنى ؟
ذكرتنـــــي مَـــــثَلاً وخيـــ ـــير القـول مـا يبقـى ويُفْنَـى
لمـــا خلـــت مـــن شـــعرها وتشـــوهت شـــكلاً وســـنا
صـــارت بشـــعر قريبـــة تختـــال كالصـــب المعنـــى
وتبيـــت تمتـــدح الـــرؤ س وقلبُهـــا بالشـــعر غنَـــى
هـــذي وربـــك ســـقطة كـــبرى تـــرد الحُـــرَّ قِنَّـــا

ثـم يـوازن شـاعر الصعيد بـين موقـف البيـومي وموقـف حفـني ناصـف مـن الصعيد فـيرى في موقـف حفـني إنصـافاً وتقـديراً وصدقاً ، ويـرى في هجـاء البيـومي للصعيد افتراءً وظلماً :

حفنـــي شـــدا بـــالحق معـــ ـــترفاً فـــدعنا منـــك دعنـــا
قـــد هـــش لمـــا عينـــو ه قاضـــياً بقنـــا وإســـنا

أمــــا خيالــــك فاســــتطا ل وشــعرك البــاغي تجنــى
لـمـــا ارتقيـــت مدرســـا أعـــلى وصرت أجـــل شـــأنا
"أبْتِـــيجُ" فـــيما أرتئـــي لا تســـتحق أذى وغبنـــا
فلـــم التقـــول والتطـــا ول ثـــم كنـــتم ثـــم كنـــا ؟

ثم يعود شاعر الصعيد إلى هدوئه فيذكر لصاحبه ما بين الشمال والجنوب من أخوة فالجميع يشربون ماء النيل ويعيشون على أرض الوطن من أقدم العصور أخوة متحابين في السراء والضراء :

أنســـيت أنـــا إخـــوة لـــولا التفـــرق مـــا وَهَنَّـــا
النيـــل يجمـــع بيننـــا ويوحـــد الأرواح منـــا
فمتـــى نصـــد الطامعيـــ ـــن ونـــدفع الـــدخلاء عنـــا ؟
تلـــك الحقـــائق مـــا عـــدا هـــا في الـــورى يـــبلى ويفنـــى
لـــو صـــانها الكتّـــاب والشـــ ـــعراء في الـــوادي اســـترحنا

الختام :

وتبقى كلمة نقولها في الختام وهي أن ما ورد في القصيدتين لم يعكس في الحقيقة عداوة حقيقية ، وإنما تعكس روح مودة صافية ربطت بين أدباء جيل الخمسينيات ، وما يزال الشاعران العلامة الدكتور رجب البيومي العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة ، والشاعر الباحث بكر هلال المدرس الأسبق بجامعة

الكويت . ما يزالان – وهما الآن في الثمانينيات من عمريهما المديدين إن شاء الله – يتبادلان الود والتواصل .

النقل إلى الصعيد عند طاهر الجبلاوي :

كان بين العقاد والشاعر طاهر الجبلاوي (١٩٠١ - ١٩٧٩م) صداقة حميمة، وعلاقة أخوية وثيقة ، تجلت أصداؤها في دواوين العقاد ، وفي مذكرات طاهر الجبلاوي التي نشرها بعنوان (ذكرياتي مع عباس العقاد) . والتي ذيّلها بصور لمجموعة من الرسائل الشخصية التي كان العقاد أرسلها إليه في المحافظات المختلفة التي كان الجبلاوي يُنقل إليها من حين لآخر في عمله الحكومي وهي (الفيوم ، وأسيوط ، وسوهاج ، وقنا) . . ويبدو أنه كان مغضوباً عليه من رؤسائه إذ كان النقل إلى الصعيد في تلك السنين عقوبة من العقوبات التي ما كان أكثر ما توقع الموظفين بعامة والمدرسين بخاصة ، وقد أشار إلى هذا الشاعر حفني ناصف في قصيدته الشهيرة :

قالوا : نُقلتَ إلى قنا يا مرحباً بقنا وإسنا

وعارضها الشاعر المعاصر عبد المجيد طه حين نقلوه ، إلى مدينة طما وقرية مشطا بمحافظة سوهاج فقال :

قالوا : نُقلتَ إلى طما يا مرحباً بطما ومشطا
قالوا : أكلتَ المشّ قلتُ وحبذا بالمشّ لهطا

ويبدو أن طاهر الجبلاوي كان قد طلب إلى العقاد التوسط له لدى كبار موظفي الوزارة ليعيدوه إلى القاهرة فينعم بمحافلها الأدبية وندواتها الثقافية وأمسياتها الشعرية التي عرفته شاعراً فحلاً في أواسط هذا القرن .

والذي يؤكد أنه طلب إلى العقاد التوسط تلك الأبيات التي أرسلها إليه وهو في أسيوط يقول فيها :

هل أنصفوا الجبلاوي	وهو بأسيوط ثاوي ؟
أعيش بين أناس	هم آية في المساوي
مُصبَّحاً ومُمَسَّي	منهم بذئب عاوي
واللؤم والشر فيهم	أضعاف ما قال راوي
أنجد أخاك فإني	على شفير هاوي

ويرد عليه العقاد قائلاً إنه كلم له قوماً في شأن نقله منهم الأستاذ محمود رشيد ويبدو أنه كان صاحب مركز في الوزارة . فلم يفعلوا شيئاً . فعليه أن يصبر إذاً على ما هو فيه [وإذاً هذه تساوي في لهجة القاهرة كلمة : بقى - بفتح القاف - التي استخدمها العقاد هكذا وهم ينطقونها بأد] يقول العقاد :

كلمت في النقل قوماً	منهم رشيد وغاوي
ومنهم مستقيم	فيما يقول ولاوي
فما أفادوا بشيء	إلا عريض الدعاوي
فاقعد بقا واصطليها	في الحر والحر شاوي

اسمها جريدة الكلب ،

قصة جريدة فكاهية مجهولة!!

يرجع تاريخ الصحافة الفكاهية في الوطن العربى إلى أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد حين صدرت بمصر فى عهد الخديوى إسماعيل مجلة (أبو نضارة) التى أصدرها يعقوب صنوع فى سنة ١٨٧٦ وكان اسمها فى البداية (أبو نضارة زرقاء: جريدة مسليات ومضحكات) وكان توزيعها يزيد على عشرة آلاف نسخة وهو رقم كبير جداً بمقاييس تلك الأيام.

ثم أصدر عبد الله النديم فى ٦ يونيو سنه ١٨٩١ صحيفة " التنكيت والتبكيت " وهى صحيفة أدبية تهذيبية كانت تتناول النقد بطريقة ساخرة وتضمنت مقالاته بها الدفاع عن الفصحى وبيان أهميتها والدعوة إلى المحافظة عليها وكان يكتبها تحت عنوان " أيها الناطق بالضاد " ولقد استمال أسلوب الجريدة القراء وشد انتباههم وزاد الصحيفة شهرة مخاطبتها للعامة والنزول إلى مستواهم الفكرى.

ومع مطلع القرن العشرين صدرت مجلات وصحف فكاهية أخذت تتكاثر شيئاً فشيئاً واستقطبت أقلام مشاهير الأدباء وفى مقدمتهم بيرم التونسى وحسين شفيق المصرى وغيرهما ممن اتخذوا الطابع الفكاهى علامة مميزة لأسلوبهم فى مخاطبة القارئ.

وتوالى صدور المجلات الفكاهية فصدرت (حمارة منيتى) لصاحبها محمد توفيق سنه ١٩٠٠م وكانت سياسية فكاهية. وفى سنه ١٩٠٧ أصدر أحمد حافظ عوض مجلة (خيال الظل* وأدخل فيها الصور الكاريكاتورية ناقدة للحكومة والحكام. وتتعاقب المجلات الفكاهية فتصدر مجلة (السيف) ثم السيف والمسامير " لتبرع فيما يطلقون عليه " القفشات " حول السياسة والحكم والمجتمع وبعض الشخصيات البارزة وقتذاك، وقد أصدرها حسين على وأحمد عباس.

ثم صدرت أشهر المجلات الفكاهية وهى مجلة " الكشكول " التى ظهرت سنة ١٩٢١ لصاحبها سليمان فوزى. وقد اهتمت بالفكاهة السياسية .. ولقد وقفت لحزب الوفد بالمرصاد تهاجم الزعيم سعد زغلول وتنقد سياسة الوفد بالصور الكاريكاتورية والمقالات والمقامات.

ويقول الأستاذ عبد الله أحمد عبد الله المؤرخ الفنى المعروف بـ "ميكى ماوس" متحدثاً عن مجلات (البغبغان - السيف - الناس - المسامير): " أنها كلها كان يحررها الأستاذ حسين شفيق المصرى وسعفه طاقته النادرة فى الإضحاك بالقلم على تحرير ١٦ صفحة واسعة الجنبات أسبوعياً وأذكر أن موادها كانت تدور حول (حديث أم إسماعيل) - (حديث الحاج سيد) - (القهوة البلدى) (المشعلقات)-وكلها كانت أبواباً ناجحة فى وقتها، وانتقلت معه إلى المطرقة حين تولى تحريرها بعد هذه الصحف الأربع بعام أو أكثر ولقد توارثنا نحن الجيل التالى له بعض هذه الأبواب حين عملنا فى الصحافة الفكاهية وان كنا طورناها أسلوباً ومضموناً بما يلائم إيقاع العصر".

وفي عام ١٩٢٨ أصدر الأستاذ بديع خيرى مجلة فكاهية باسم (١٠٠٠ صنف) أسبوعية من القطع المتوسط في ٢٤ صفحة. تميزت بأبيات زجلية ثابتة على غلاف كل عدد ، وفي عهد صدقي باشا عندما كان رئيساً للوزراء عام ١٩٣٠ صدرت مجلة (المطرقة) مجلة فكاهية أسبوعية من القطع الطويل في ٨ أو ١٠ أو ١٢ صفحة أحياناً بخمسة مليمات لساناً شعبياً لحزب الوفد المعارض ، تنشر الفكاهات والأزجال والمواد الأخرى تسخر بها من صدقي باشا وحكومته وتهلل للوفد والنحاس باشا وكان الرأى العام يتجاوب مع هذه السياسة ويرى في المطرقة لسانه الساخر الظريف الذى يشبع رغبته في الانتقام من عهد صدقي باشا.

فإذا انتقلنا من مصر إلى الشام وجدنا جريدة (العرفان) التى كانت تصدر في صيدا لمؤسسها أحمد عارف الزين، وجريدة (الخازوق) التى أصدرها أيام الانتداب الفرنسى الشاعر المهندس فؤاد جرداق شقيق الشاعر جورج جرداق مؤلف قصيدة " هذه ليلتى " التى غنتها السيدة أم كلثوم.

وكانت " الخازوق " تستخدم التورية للتحريض بالمحتلين الغرباء ومن أمثلة ذلك قولها:

" علمنا بكل سرور أن صاحبة العصمة عقيلة المفوض السامى الفرنسى قد عادت من فرنسا إلى بيروت ، بعدما فرغت من زيارتها إلى الديار الفرنسية و" الخازوق " يرحب بقدوم صاحبة العصمة أجمل ترحيب"

قصة جريدة الكلب:

غير أن جريدة " الكلب " التى أصدرها فى دمشق الأديب صدقى إسماعيل تفردت بين جميع الصحف والمجلات الفكاهية على امتداد الزمان والمكان العربيين بعدة أشياء :

أولها: أنها صدرت بدون ترخيص فقد بدأ صاحبها يخطها بخط يده من الألف إلى الياء هو جالس على المقهى ثم يوزعها على أصدقائه دون ثمن ودون اشتراكات.

ثانيها: أن جميع موضوعاتها تصاغ شعرا ، وقد ضمت موضوعاتها كل الفنون الصحفية شعرا عربيا موزونا فتقرأ فيها (المقال الافتتاحى- المانشيت المقال الرئيسى- الطقس- كلمة العدد- مقال فى السياسة الدولية - مقال فى السياسة الداخلية- يوميات رئيس التحرير - صورة العدد- الإعلانات... وغير ذلك)

ثالثها: أن تلك الصحيفة التى التزمت الشعر وسيلة للتعبير وطوعته ليكون وعاء لكل المواد الصحفية باقتدار بارع. لم تخرج عن حدود الأوزان التقليدية القديمة. بل وأكثر من ذلك كانت تميل إلى السخرية من الشعر الحديث وتتندر به.

وقد جمعت أعداد " الكلب " وصدرت مطبوعة طبعة فخمة ضخمة عن مطابع الإدارة السياسية فى دمشق مصحوبة بتقديم واف كتبه الشاعر الكبير سليمان العيسى.

وكان الشاعر سليمان العيسى فيما يبدو صديقاً لصاحب " الكلب " المرحوم صدقى إسماعيل. فنحن نجد فى ديوانه " الديوان الضاحك " قصيدة بعنوان " كنا فى هلسنكى " يبدو منها أن سليمان العيسى كان عضواً فى مؤتمر السلم العلمى الذى انعقد فى هلسنكى عاصمة فنلندا فى أواسط الستينيات فبعث بقصيدته تلك إلى جريدة " الكلب " باعتباره مندوباً لها فى المؤتمر ولكن الشاعر يقول فى مقدمة قصيدته وفى ثناياها أنه مندوب جريدة (ابن الكلب) بمقدمة تقول:

نحـــن فى منتصـــف الليـــل هنـــا   وضـــياء الشـــمس فى كـــل مكـــان
نحـــن عنـــد القطـــب لايفصـــلنا   عنـــه فى الواقـــع إلا فشـــختان
إن فنلنـــــدا بـــــلاد حلـــــوة   وكثـــيرات بفنـــلندا الحســـان

ثم تقدم القصيدة عدة لقطات للمؤتمر كتغطية صحفية شعرية لوقائعه وفعالياته فتقول بعض مقاطعها:

جـاءت " ابـن الكلـب " مـن سـورية   كســواها لحضــور المهرجــان
أصـــدقاء الســـلم قـــد حلـــوا هنـــا   مـن أقـاصى الصـين حتـى ميشـغان

رأى عام :

أمريكـــا بنـــت كلـــب هكـــذا   أجمـــع الـــرأى ووافقـــت كيهان
شردتنـــــا وأقامــــت دولـــــة   فى أراضـــينا كـــرأس الأفعـــوان
هـــــذه قصـــــتنا مــــوجزة   تـؤثر "ابـن كلـب" إيجـاز البيـان

فى السياسة الدولية:

وخنــاق الصـين يبـدو حاميــاً مـع موسـكو كـل يـوم طوشـتان
وقفـــت ألبانيــا بيـــنهما تتحـــدى فرمتهـــا لكزتـــان

دور مندوب جريدة ابن الكلب:

فى مجـال الفكـر كانـت لجنتـى هـا هنـا يبلـغ مـترين اللسـان
كلهــم شـــمر عـــن ســاعده ولـــد يباجتـــه أرخـــى العنـــان

وتمضى القصيدة التى كتبها سليمان العيسى لتتحدث عن جو السلم ومواقف مندوبى الدول المختلفة وما أقيم على هامش الندوات من أنشطة ترفيهية والجو الذى تنوولت وجبات الطعام والشراب.

ونعود إلى جريدة الكلب فنختار النماذج التالية مما نشر فى العدد ١٠٦ تشرين الثانى سنة ١٩٧١ م لنقرأ الركن الأدبى من هذا العدد فنجد فيه موضوعاً عن النقد الأدبى يتناول بالسخرية شعراء تلك المرحلة ممن عنوا بالتنظير أكثر من عنايتهم بالإبداع تقول "الكلب" فى ذلك العدد :

النقد الأدبى ، الشعراء

سبحان من بذر المواهب فى الرؤوس من الولادة
ومن النباهة والغباء المحض .. لم يحرم عباده
وأتى الى الشعراء يخلع عنهم صفة البلادة
فرآهم جيلا فجيلا يجنحون إلى الزيادة

مثل الجراد تكاثرا فكأنما تزنى الجرادة
حسب الدياليكتيك أكثرهم أقلهم إجادة
أذكاهم فى غير كسر النحو لم يخدم بلاده
أو فى البذاءة لفظها قد صار فى التجديد عادة
والمفردات لديه من رحم الضياع إلى الوسادة
للفن محراب ولكن حولوه إلى عيادة

ومن العدد ٦٢ الصادر فى ١٩٦٥/٦/٢٠ نختار ما يلى:

شعار العدد:

جريـــدة شـــعرية الأغـــراض ... ولـــيس فيهـــا أى ســـطر فـــاض
شـــعارها متانـــة القـــوافى ... وحفظكـــم مـــن وصـــمة الإســـفاف
فى الشـــعر والفـــن وفى السياســـة ... مـــن دونهـــا ســـوف تضـــيع الطاســـة

المقال الافتتاحى "الامتحان":

يكـــرم الإنســـان دومـــا أو يهـــان ... عنـــدما يـــأتى أوان الامتحـــان
مثـــل صـــار قـــديما حكمـــة ... لم تـــزل تـــروى عـــلى مـــر الزمـــان
لـــيس مـــن أجـــل التلاميـــذ فقـــط ... إنـــما تعنـــى فلانـــا وفـــلان
كلهـــم يـــنجح فى شـــئ وفى ... آخـــر الأشـــياء يكبـــو ويـــدان
طالـــب يســـقط فى الفحـــص وقـــد ... كـــان فى الشـــارع أذكـــى دنجـــوان
وفتـــاة نجحـــت فى ثوبهـــا ... حـــاسرا تظهـــر منـــه الركبتـــان

ثـم صـارت زوجـة وامتحنـت فهـوت لم تجـد فيهـا الـدورتان
وفتـاة تبهـر العـين بهـا قَصَّـة الشَّـعْر وتخضـيب البنـان
وإذا حادثتهـا ألفيتهـا عقلهـا فى نصـف حجـم الكشـتبان
ووزيـر نـاجح فى طقمـه فى الاتيكيـت وفى الحُكْـي كـمان
وتـراه غـير مـاشٍ حالـه فى شـؤون الحكـم ، للحكـم أوان
والحكومـات لهـا فحـص إذا أعلنـت خطتهـا ضـمن بيـان
بعضـها يسـقط قوميـاً، وفى درس "إسرائيـل" فى السـقطة شـان
والتـى تسـقط ثوريـا وفى الـ ـعدد القـادم تحديـد المكـان

ومن العدد ١٠٤ الصادر عام ١٩٧٠:

شعار العدد:

جريدة بالفعل جد راقية
رفاقها راحوا وظلت باقية
كالريح كانوا وهى مثل الساقية
لأننا نصدرها بالقافية

إعلان رسمى:

شـخص هنـا أعلـن عـن نفسـه فصـار فى مـدة شـهر وزيـرا
وأنـت قلـده وكـن مثلـه تجـد عـلى بابـك حـالا خفـيرا

طلب انتساب

منصور الرحباني يتقدم بطلب انتساب إلى أسرة "الكلب":

تقـــدم منصـــور يريـــد انتســـابه إلى "الكلب" عضوا فى جريدتنا الغرا
ونفحص صوت العضو قبل دخوله فـان لم يكـن حلـو النبـاح بقـى بـرا

مـن "ابـن الكلـب" إلى منصـور الحبـانى بمناسـبة تقاعسـه عـن أداء واجبـه الصحفى بوصفه مراسل الجريدة فى بيروت:

إلى مراســـلنا فى أرض لبنــــان وعضـــو أسرتنـــا منصـــور رحبـــانى
جريـدة "الكلـب" فى الفيحـاء عاتبـة عـــلى تقاعســـه قـــد مـــر شـــهران
إنـــا قبلنـــاك عضـــوا فى جريـــدتنا لكـى ببـيروت تغـدو صـوتها الثـانى
مجـيء "كـي" قبـل بـيروت هنـا لغـة سـعيد عقـل بهـذا النسـيج أوصـانى
منصـــور لا تتكاســـل إن أسرتنـــا بنـت الكفـاح تعـادى كـل كسـلان
نبـاح حضرتكـم - نعنـى نشـاطكم لـه عـلى الصـفحة الأولى عمـودان
اكتـب لنـا، ولـتكن شـعرا رسـائلكم فكـــل أبنائنـــا شـــعر بـــأوزان
ابـــدأ بأخبـــار أهـــل الفـــن إنهـــم فى رأينـــا واحـــد يســـوى أو اثنـــان
مـا كـل مـن دق طنبـورا غـدا عَلَـماً فيـــه ولا ولا كـــل نـــواح بفنـــان
للكلـب رأى ورأى الكلـب محـترم فى الـعصر سـيد درويـش ورحبـانى
أمـــا البقيـــة فـــالرحمن يكلـــؤهم قـــد بهـــدلونا زرافـــات كوحـــدان
نـور صـحيفتك الغـراء واحـكِ لنـا عـــن السياســـة برانـــى وجـــوانى

غـــدا سيصـــدر ممتـــازا لنـــا عـــدد ولا لـــــزوم لتفصـــيل وتبيـــان

لقد توفى صدقي إسماعيل فى يوليو ١٩٧٢ وبوفاته توقفت جريدته عن الصدور مع أنها بقيت فى الصدور كما يقول الشاعر سليمان العيسى فى تقديمه للمجلد الذى ضم أعدادها والذى أضاف إلى تراثنا الفكاهى ثروة هائلة ما أجدرها بالدراسة والإنصاف.

الفكاهة في شعر طاهر أبو فاشا

في عام ١٩٨٩م. رحل عن عالمنا شيخنا وصديقنا آخر ظرفاء العصر من جيل شعراء أبوللو وهو الشاعر طاهر أبو فاشا رحمه الله . وقد كانت البسمة والدعابة صفتين ملازمتين له لا تفارقانه . وكنا نسمع منه في أخريات حياته عبارة يرددها كثيراً ، وهي أنه أنفق عمره كله في الهواء ، يشير بذلك إلى أربعين عاماً قضاها في العمل بالإذاعة ، فقد كتب مئات الحلقات من مسلسله الإذاعي الشهير (ألف ليلة وليلة) فضلاً عن عشرات الأغنيات والأوبريتات والبرامج .

ويبدو أنه ندم على ذلك الوقت الطويل الذي لو كان استثمره في التأليف المطبوع لكان أبقى أثراً وأطول عمراً . وبخاصة أنه كان راوية وحافظاً وهاضماً لتراثنا الأدبي بعصوره المختلفة ، وكان ذا ولع خاص بأخبار الظُّراف والمتماجنين من الشعراء مما يدل على تلاقي روحه بأرواحهم على طول العهد ، برغم أنه كان طاهر السلوك وكان من لوازمه الفكهة إذا وقف متحدثاً أو خطيباً أن ينهي كلامه بهذه العبارة الظريفة : " مع تحيات أخيكم الذي قال للخَنَا : حاشا . طاهر أبو فاشا " .

والفكاهة في شعر طاهر أبو فاشا متنوعة ، منها ما يقوم على السخرية بظاهرة اجتماعية ، ومنها ما يقوم على السخرية من أفراد بأعيانهم ، ومنها ما يمثل نقداً لأوضاع مستهجنة . فمن ذلك قصيدته التي أسماها (الحجاب) وألقاها في مناظرة أقيمت حول موضوع (السفور والحجاب) وقد كانت المناظرات علامة

مميزة في حياتنا الأدبية في مصر في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين وتعتمد المناظرة على قطبين كبيرين من أعلام المفكرين أو الكتاب أو الصحفيين يتبنى كل منهما أحد جانبي المناظرة ويدافع عنه . وتكون مهمة الآخر تفنيد آراء صاحبه ومحاولة إقناع الجمهور بالرأي الآخر . ومن أشهر تلك المناظرات تلك المناظرة التي أقيمت حول " العلم والأدب وأيهما أنفع للناس ؟ " وكان الذي يدافع عن أهمية العلم في حياة الناي عميد الأدب العربي الراحل د.طه حسين . وكان الذي يقلل من قيمة العلم ويدافع عن أهمية الأدب العالم الراحل الكبير الدكتور علي مصطفى مشرفة . وقد أبلى كل منهما بلاءً حسناً فيما عهد إليه به .

والقصيدة التي نحن بصددها تبنى فيها أبو فاشا الدفاع عن الحجاب وأيد دفاعه بحجج كثيرة منها ما لبس ثوب الفكاهة فهو يتساءل هل يأتي يوم تنقلب فيه كل الأوضاع وترأس المرأة فيه الرجال ؟ .

وتتولى جلائل الأعمال . فهذه امرأة تؤم المصلين في المساجد . وهذه امرأة تلعب المصارعة . وهؤلاء نسوة يعملن في دواوين الحكومة ويتركن أطفالهن في بيوتهن ويربينهم من خلال المكالمات الهاتفية !! :

يـــا مصر مالـــك تنـــدبين	هيجـــت لي الشـــجن الكمـــين
تبكـــين حظـــك في الشـــبا	ب وأنـــــت أم العـــالمين ؟!
ويـــح الكنانـــة مـــن بنيـــ	ـــها أنهـــم بـــئس البنـــون
عكفـــوا عـــلى التقليـــد لا	متـــــورعين مفكـــــرين

ربـــاه إن القـــوم قـــد ... ســـفهوا وبـــاءوا خـــاسرين
قـــد ضـــيعوا مجـــد الجـــدود ... وأخلفـــوا أمـــل البنـــين
وإذا أضـــاعوا الخالـــدا ... ت فـــما عســـاهم يحفظـــون
فـــدعوا إلى نبـــذ الحجـــا ... ب وشـــوهوا خلـــق اليقـــين
وتغمطـــوا نـــور الهـــدا ... يـــة وازدروا الحـــق المبـــين
فســـطت ذئـــاب الغـــي تعـــ ... ـــبث بالفضـــيلة في العـــرين
يـــا قـــوم مرحمـــة بمصـــ ... ـــصر فـــإن مصر عـــلى شـــجون
مســـخت يـــد التقليـــد مـــا ... زانـــت يـــد البلـــد الأمـــين
هـــدمت مســـاحي الجهـــل مـــا ... شـــادت عقـــول المصـــلحين
حتـــى إذا اشـــتد الأســـى ... وســـجت خطـــوب المفســـدين
طعنـــت شـــبا التقليـــد مـــا ... نعتـــز مـــن وطـــن وديـــن

وتستمر تساؤلات الشاعر الساخرة وتتمادى خيالاته إلى اليوم الذي يرى فيه الرجال يطبخون في المطابخ ويكنسون المنازل ويلبسون البراقع والحجاب ، في حين تخرج النساء سافرات أو متطربشات .

فـــترى الحمـــير الناطقـــا ... ت عـــلى متـــون العـــاملين!!
وتـــرى النســـاء النـــاعما ... ت بكـــل "شـــغل" يرتضـــين
هـــذي إمـــام في المســـا ... جـــد تنصـــح المتهتكـــين

والقـــوم بـــالطرف الكحيـــ ـــل عـــن النصـــيحة ذاهلـــون
هـــذا : وتلـــك مصـــارعٌ بطـــل كـــرأي الحـــاكمين
إن رجرجـــــت أكفالهـــــا قـــالوا لهـــا عضـــل متـــين
فـــترى الأنوثـــة قـــد أشـــا حـــت وجههـــا في أي هـــون
وتـــرى النســـاء عـــلى المكـــا تـــب عـــاملات في مجـــون
فـــإذا بكـــت أطفالهـــا طلبـــــتهمُ " بـــــالتليفون "
في حـــال أن ذوي الشـــوا رب في الأزقـــة عـــاطلون
يـــا ليـــت شـــعري هـــل تسـو د المرهفـــــات اللاعبـــــين
فـــترى الرجـــال بكـــل بيـــ ـــت طـــابخين وكانســـين
وتـــرى النســـاء مطربشـــا ت والرجـــال مبرقعـــين
ويـــح الكنانـــة مـــن بنيـــ ـــهاً إنهـــم بـــئس البنـــون
بـــالله يـــا أرض ابلعيـــ ـــهم إنهـــم لا يعقلـــون
بـــالله يـــا شـــهب ارجميـــ ـــهم إنهـــم لا يفقهـــون

وتبلغ السخرية عند طاهر أبو فاشا ذروة روعتها في قصيدته (أديب) التي يتناول فيها بالتهكم اللاذع واحداً من أدعياء الأدب والفلسفة فيسأله أسئلة مفحمة تذكرنا بتلك الأسئلة التي وجهها الجاحظ إلى صديقه " أحمد بن المدبر " في رسالته

الشهيرة (التربيع والتدوير) ويعتذر أبو فاشا للأديب المغرور مقدماً عما قد يقع فيه من خطأ وهو يوجه أسئلة :

نديد " أرسطو " ضريب "هوميرو " أجبني فمثلك ما أجدره
وإن أنا لم أحسن السؤل لكن مثلك من يقبل المعذره
رويدك حدث فمنك الحديث على ما رأيت ، وما لم تره
فداؤك باقل ماذا رأيت " بأبجد " من معضل لم نره ؟
أفي العلم أن " الفطير " لذيذ ؟؟ وماذا ترى في " رغيف " الذرة ؟!
مسائل حيرت الباحثين وأعيت عقول ذوي المقدرة !!

ويصور أبو فاشا صاحبه على حقيقته فهو يسأله لماذا تتعاظم إذا كنت في موقف تافه . وتتصاغر وأنت بين العظماء حتى كأنك كرة صغيرة ؟ ولماذا تنفتح كالأسد إذا أحسست بالأمان فإذا جد الجد صرت كالدجاج الرعديد ؟ :

سألتك لم أنت بين السفاسف ثبت وبين العظام كرة ؟؟
أيوم النزال ترى كالدجاج ويوم الأمان ترى قسورة ؟؟
إذا الديك صاح على ربوة تأمله يوماً على مجزرة !!

ومن أشهر قصائد أبو فاشا قصيدته (رجعة إلى مويس) ومويس هذا نُهير يمر بمدينة الزقازيق . كانت للشاعر على ضفافه ذكريات أيام الشباب حين كان طالباً يدرس بمعهد الزقازيق الديني الأزهري في أواخر عشرينيات القرن العشرين .

وقد نظم أبو فاشا هذه القصيدة في سنوات عمره الأخيرة حين مرّ على هذا النهر في إحدى سفرياته فجاشت نفسه بذكريات الشباب فتحدث عن هذا النهر حديث المحب الواله :

وصل الرَّكبُ يا نديم فهاتِ هذه رملتي وتلك رباتي
الرياض اللفاء والرفرف الخضر ومغني الصبا وملهى اللداتِ
ومغاني عمّاتك النخل فرعاء صموتاً كعهدها قائماتِ
ومويس السكران راوية الحب وساقي لحونه الثملاتِ
معبد الراهب الخليع بساطٌ للندامى وموعدٌ للغواةِ
خطر الفنُّ حوله فجثا يستغفر الحسن والعيون اللواتي
وعلى صدره بغام حنين ، وعلى شطّه عرام سقاة
أنا أيضاً من السقاة ولي في ذلك الشطّ قصتي ورواتي
فوق هذا الثرى سكبْتُ من العمر سنيناً عصرتها من حياتي
وعلى هذه الرمال تناولت كتاب المأساة والمسلاةِ

ثم يتذكر الشاعر أيام طلب العلم في شبابه بما فيها من حلو ومر . فهو يتذكر شموخ المعهد الديني وأساتذته العظماء الكبار الزاهدين الثقات . ثم يتذكر أحد رفاقه الذي كان ثقيل الظل كأنه هامش من تلك الهوامش التي تثقل على قارئ الكتب ، وكان من لوازم رفيقه ذاك إذا تكلم أن يثور ويتصايح وينفعل ويجادل جدالاً عقيماً وتكثر حروف القاف في كلامه :

يـا سـقي الله بالزقـازيق أيـام صـباي النـواضر العطـراتِ
وسـنيناً كأنهـا طرفـة العـين خفافـاً مـرزن كاللحظـاتِ
يسترقن الخطى إلى شاطئ النسيان في موكب رهيب الصماتِ
من ترى أيقظ الخواطر حولي وأثار المطويّ من صفحاتي
وأعـاد الأيـام والمعهـد السـامق مسروج بـالنجوم الهـداةِ
الفحـول الأعـلام أمثلـة الزهـد وشـيخانه العـدول الثقـاتِ
ورفيـق كأنـه هـامش الشرح إذا صـات يمضـغُ القافـاتِ
حنـبليٌ كأنـه الجمـل الأورق صـخّابة كثـير اللّتـاتِ

وكـان طعـام طـلاب الأزهـر آنـذاك – وكـانوا يلقبـون بـالمجـاورين – مضـرب المثـل في الـرداءة والحطـة . فكـان الريفيـون مـنهم يـأتون معهـم مـن الريـف بـالمش ويضيفون إليه الشطة الكمون والفلفل الأسود والخل . ويضربون هذا الخليط حتى يسمك قوامه فيجعلونه إداماً لهم . وكان أبو فاشا رحمه الله يحدثنا عن هذا الخليط العجيب الحارق ويسميه (بغيره) إشارة إلى قول الشاعر :

ومن لم يمت بالسيوف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحدُ

وهو في قصيدته السابقة لا يفوته أن يذكر لنا كيف هذا الطعام النضيج المفلفل يسحر المجاورين فيتناولون ويتصايحون إذا مدت المائدة ويتركون المتون والحواشي وينهالون على طعامهم ذاك فيلتهمون التهاماً :

ونضـيج مفلفـل لاذع الطعمـة يشـوي أصـابعي ولهـاتي
هـو زاد المسـافرين بـلا زادٍ وقـوتُ المحتـاج للأقـواتِ
يتصّـبى المجـاورين فنـنقض عليـه كالفـاتحين الغـزاةِ
اتْرُكِ المتن واطو حاشية السعد وأدرك شيخون قبل الفواتِ
أنـا مـن مـازنٍ ومـازن مني والليـالي القمـراء مـن صـدحاتي

الفكاهة في شعر حفني ناصف

حفني ناصف (١٨٥٥-١٩١٩م) واحد من أهم الشعراء الذين عاشوا بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. وإن لم يكن ما ناله من الشهرة مساوياً لما ناله معاصروه كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم.

ولعل لهذا الوضع أسباباً كثيرة نذكر منها :

- توزع اهتمامات حفني ناصف. فقد كان عالماً بحاثة ولم يكن الشعر أكبر همه ولا مبلغ علمه.
- أنه اشتغل بالتدريس وبالقضاء وبالشأن العام مما جار على وقت الإبداع الشعري عنده.
- أنه لم يكن يهتم بأشعاره. بل إنه لم يصدر ديواناً واحداً في حياته ولولا أن قيض الله تعالى لهذا الأمر ابنه عصام الدين فجمع تراثه وطبعه في ديوان لفقدنا كل أشعاره.
- أن وفاته يوم ٢٥ فبراير ١٩١٩ قبل أيام من اندلاع ثورة ١٩١٩ وما ترتب على تلك الثورة من أحداث سياسية أسهمت -ولو بصورة غير مباشرة- في الانصراف عمن توفوا في خضم تلك الثورة مثل حفني ناصف ومصطفى لطفي المنفلوطي الذي قال شوقي يرثيه :

اخترت يوم الهول يوم وداع	ونعاك في عصف الرياح الناعي
من مات في فزع القيامة لم جد	قدماً تُشيّع أو حفاوة ساع

لقد ترك حفني ناصف ما يقرب من خمسة وعشرين كتاباً وبحثاً، وهذا نتاج علمي ضخم بالقياس إلى ما عُرف عنه من جهد في إعداد القضايا والأحكام التي أصدرها خلال مرحلة عمله بالقضاء، وبالقياس إلى ما عُرف عنه من اهتمام بالرياضة البدنية والرحلات والموسيقا وهذه مجالات لا يعرف لمعاصريه كشوقي وحافظ اهتمام بها.

ووصفه معاصروه بما يليق بمكانته، وبما يعكس شخصيته الفذة المتميزة فقال عنه طه حسين الذي تتلمذ على يديه في الجامعة المصرية في بدء نشاطها "كان ذكي القلب، خصب الذهن، نافذ البصيرة، حاضر البديهة، سريع الخاطر، ذرب اللسان، وكان من أسمح الناس طبعاً وأسمجهم خلقاً، وأرجحهم حلماً، وأعذبهم روحاً، وأرقهم شمائل، وكان يلقاك فتأنس إلى محضره، ويغيب عنك فتشتاق إلى لقائه...." كما امتدحه العقاد وأحمد الأسكندري وغيرهما مما لامجال للتوسع فيه هنا.

ولكن الشئ الذي تفرد به حفني ناصف بين معاصريه هو ولعه الشديد بالدعابة والمزاح غير المبتذل. وله في هذا المجال "ما يكفي لتأليف كتاب" كما يقول الشاعر محمود غنيم في كتابه عن حفني ناصف.

فمن مداعباته الشعرية أنه كان ذات ليلة يسهر في أحد الأندية فجاء إليه رجل يعرفه ودفع إليه رقعة من الورق فيها بيتان من الشعر يستدر فيهما عطف حفني بك عليه وهما:

جـارت عـليّ الليـالي في تصرفهـا | وأغرقتنـي في لُـجٍّ مـن المحـن
فيـا عميـد القـوافي أنـت معتصـمي | أَقِـلْ عِثـاري وأنقـذني مـن الـزمن

فكتب حفني ناصف على الورقة ارتجالا وقدمها للرجل:

يكـاد شـعرك يُبكينـي ويُضـحكني | ولم أزلْ سـاخراً مـن ظنـك الحَسـنِ
فاقبـل عطـائي بـلا شـكرٍ ولا غضـبٍ | فليس – والله – في جيبي سوى "شِلنِ"

فهو في هذين البيتين المرتجلين استخدم لفظاً أجنبياً وهو (الشلن) ويطلق في مصر على العملة المعدنية ذات القروش الخمسة . لكن الكلمة بنفسها (شلن) وحدة عملة أوربية.

وفي مناسبة أخرى استخدم حفني ناصف مفردة أوربية هي كلمة (مرسي mercy) التي تعني شكراً باللغة الفرنسية وهي لفظة كانت وما تزال شائعة على ألسنة العوام في مصر، فقال حفني ناصف يحض على العمل الجاد، وعدم بخس الناس حقوقهم:

بربك هل تـرى في الكسـب عـارا | وكيف وفي التكسب طيب نفسٍ؟
فـلا تكثـر بشـكرك لي، فخـير | لـديَّ: دريهـمٌ مـن قـول " مِـرْسِي"!

ومن سرعة بديهته، قدرته على توظيف الألفاظ والأسماء الحديثة في أداء المعنى، كما رأينا في النموذجين السابقين.

وذات مرة كان في مصر مسؤولان كبيران في السفارة البريطانية اسم أحدهما (جِبس) واسم الآخر (جير)، والجبس والجير من مواد البناء التي يستخدمها البناؤون فقال حفني ناصف معرّضاً بهذين المسؤولين الكبيرين:

لِمصرَ بؤسُ المصيرُ ... العيشُ فيها مريرُ
والقومُ طينٌ، لهذا: ... قد ساد "جِبسٌ وجيرُ" !!

ومما تميز به حفني ناصف أنه لم يورث أبناءه ثروة ولا أملاكاً، وهو القائل

أتقضي معي إن حان حيْني تجاربي ... وما خُلقت إلا بطول عَناء ؟
إذا ورَّث الجُهَّال أبناءَهم غنىً ... وجاهاً، فما أشقى بني الحكماء !

ولكنه حرص كل الحرص على أن يغرس في أبنائه روح الاعتماد على النفس ليكونوا مثله عصاميين مجاهدين في الحياة. فقد أسمى أول ابن ولد له "عصام الدين" فلما مات طفلاً ورزقه الله غيره، سمى المولد الثاني "عصام الدين" إصراراً منه على غرس قيمة "العصامية" في نفوس أبنائه. وكان هذا يقتضيه أن يعاملهم كما يعامل تلاميذه معاملة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فقد كان الإمام، وكذلك كان حفني ناصف، يقرب طلابه إليه حد تبادل المزاح والنكات والأحاديث والآراء في حدود الوقار المطلوب. ومقدمة طه حسين لديوانه تعرض لهذا الجانب بالتفصيل الرائع والتحليل الممتع.

وذات مرة كتب إلى ابنه مجد الدين من على ظهر باخرة وهو في طريقه إلى أوربا:

" عزيزي / مجد الدين

ولقد ذكرتك والرياح عواصفٌ والبحـر يعلـو بالسـفين ويهـبط

فكـأنما هـي أنـت حـين تسـير في جـور الطريـق مهـرولاً تتخـبط

وذات مرة كان يركب القطار ومعه ابنه مجد الدين وعلى جدار القطار كتبت عبارة (إذا رمت النزول فاطلب من الكمساري توقيف القطار) فطلب حفني من ابنه أن يحول هذا الإعلان إلى بيت من الشعر فلم يستطع مجد الدين فقال حفني ناصف:

إذا رمت النزول -بُنيَّ- فاطلب من الكمسـاري توقيـف القطار !!

ومن طرائف فكاهات حفني ناصف الشعرية أن الصحفي المسيحي سليم سركيس زار الحجاز في موسم الحج على أنه مسلم بهدف عمل تغطية صحفية. ولم تكن إجراءات التدقيق والمراجعة في تلك الحقبة -قبل تأسيس المملكة السعودية وتنظيمها- بالصورة الصارمة التي عليها الآن. فلما عاد ذلك الصحفي المسيحي وكان صديقاً لحفني ناصف كتب له مداعباً قصيدة فُقدت وبقي منها هذان البيتان

عليك سلام الله إن كنت مؤمناً وإن كنـتَ زنـديقاً سـحبتُ كلامـي

لقد كان سركيسٌ بمكة محرماً وطاف ببيتٍ في البقيع حرامِ... ي!!

و(حرامي = لص). فلو لم يضع الشاعر حرف الياء منفصلاً عن كلمة (حرامٍ) لما حدثت هذه المفارقة الفكهة الذكية.

ورأى يوماً ما رقيباً (شاويشاً) تبدو عليه أمارات السعادة والانبساط حتى ظن الناس أنه سكران من شدة ما بدا من سروره. فقال حفني ناصف إنه لم يسكر ولم يشرب وإنما هو رجل جائعٌ أوقعه الحظ في مأدبة (عدس) فنال منها حتى حدث له ما حدث من هذا الهياج والسرور:

وقالوا: احتسى هذا "الشويش" مدامةً — ألم تره للبِشْر يُبدي وللأنس ؟
وما ذاق طعم الخمر يوماً، وإنما — به نشوةٌ من كثرة الأكل للعدس

وفي أثناء عمله بالتدريس نقلوه مرة إلى مدرسة من مدارس الصم والعميان فتأذى من ذلك أذىً شديداً. وطلب نقله منها غير مرة. ولكن طلبه لم يجد لدى المسؤولين آذاناً صاغية فكتب أبياتاً يقول فيها إن الحكومة الإنجليزية أخطأت حين نفت محمود سامي البارودي وأحمد عرابي إلى جزيرة سيلان وحين نفت من سماه (ابن موسى العقاد) إلى السودان تأديباً وتنكيلاً. ولو أنها أرادت بهم نكالاً أعظم وعذاباً أشد لكلفتهم بالعمل في مدارس المعوقين. فقال:

غلط الناس في عرابي وسامي — حيث أقصوهما إلى سيلانِ
وابن موسى العقاد حيث نفوه — مع باقي الثوار للسودانِ
لم يريدوا بهم عذاباً، فهلاً — أرسلوهم للخرس والعميانِ؟!!

ويستعير حفني ناصف تعبيراً عامياً مفعماً بروح السخرية المصرية. وهو تعبير (استعنا على الشقا بالله) الذي لا تسمعه من أحد إلا مصحوباً بابتسامة ساخرة أو ضحكة مكتومة. أو نبرة لا تشير إلى استعانة حقيقية. بقدر ما تؤكد نفورها من

الشقاء الملازم. وهو يستعير هذا التعبير الشعبي الساخر تعليقاً على رفض طلبه النقل من مدرسة الصم والعميان فيقول:

قيل إن السقام فيها وإن كا ... ن شقاءٌ يُفضي لعزٍّ وجاهِ
قد رضينا طول الإقامة فيها ... (واستعنا على الشقا بالله)!!

وحدث أن تلقى حفني ناصف هدية من بعض أصدقائه. وكانت عبارة عن أسماك وطيور فكتب يشكره ويصف هذه الوجبة الدسمة مستعملاً لبعض الألفاظ العامية مثل (الحنك=الفم. الدكك= جمع دكة وهي المقعد الخشب المعروف. البُلُك بضم الباء واللام-= صف من الجنود. السكك= الطرق جمع سكة بكسر السين) فقال:

ورد الكتابُ، وجاءنا السمكُ ... فليسلم الصيادُ والشَّبكُ
وأقام فيها بين أَضْلُعِنا ... فبطوننا من أجله بَركُ
والطير لما جاءنا بُسِطَتْ ... في جوفنا لقدومه الدككُ
وامتدت الأيدي مسلِّمةً ... واصطكت الأضراس والحنكُ
خفض الجناح مؤمِّلاً فَرَجاً ... مذ سُدِّدت في وجهه السِّككُ
ولقد تورَّكنا عليه، فلم ... يسلم له من بيننا وَرِكُ
دارت به الأسنانُ مسرعةً ... واصطف فيها حوله بُلُكُ

وكما انغمس حفني ناصف في كثير من غرائب الأمور كولعه بالموسيقى والرياضة البدنية ولاسيما السباحة. وما عرف عنه من حبه للبحث العلمي

والترحال في مشارق الأرض ومغاربهان فقد انغمس كذلك في فنون الشعر القديم منها والجديد. فقد ضم ديوانه فناً كاد ينقرض إن لم يكن انقرض الآن بالفعل وهو فن (التطريز) أي نثر اسم من الأسماء بحيث يكون كل حرف منه هو أول حرف من أول كلمة في البيت الشعري إلى أن تنتهي المقطوعة أو القصيدة بانتهاء حروف الاسم. كما قال متغزلاً ومستعملاً تطريز اسم امرأة اسمها (هانم):

ه هم يا فؤاد فما عليك جُناح	كم في الصبابة والهيام نجاح
ا أو ما دعتْك إلى الصبابة غادةٌ	هيفاء مائسة القوام رَدَاحُ
ن نجلاءُ ألحاظٍ، وفي وجناتها	والثغرِ وردٌ يانعٌ وأَقَاحُ
م من لم ير التعذيبَ فيها مُرْبِحاً	وهدىً، فليس له هدىً ورباحُ

كما نرى في ديوانه فناً آخر من فنون التجديد الشكلي الذي عرفته القصيدة العربية وهو التشطير. في نموذج من شعره الفكاهي قال بمناسبة إصدار بعض أدباء الشام جريدة أسماها (الجِنان) - جمع جنة- وكتب عليها هذين البيتين لترويجها

إليك صحيفةً نَشَرَتْ حديثاً	وأغنتْ بالسماع عن العِيَانِ
كفردوسٍ حوى ثَمَراً شهيّاً	لذاك دعوتها باسم (الجِنانِ)

وطلب أحد جلساء حفني ناصف أن يقوم بتشطير هذين البيتين على أن يتحول بمعناهما من المدح إلى الذم فقال :

(إليك صحيفةً نَشَرَتْ حديثاً)	غنياً في (الخراف) عن البيانِ
أبانت عن مساوئ منشئيها	(وأغنتْ بالسماع عن العِيَانِ)

(كفـردوسٍ حـوى ثَمَـراً شـهيّاً) وأكثــره يُمِــرُّ عــلى اللســانِ
وتُـورث عقـل قارئهـا اخـتلالاً (لـذاك دعوتهـا باسـم (الجِنـانِ))

وواضح أنه هنا تلاعب بمدلولات لفظي الخراف والجنان العامية فاستخدم الأولى في إشارة إلى (التخريف) والثانية في إشارة إلى (الجنون) كما تستعمل في اللهجة المصرية العامية!!

وحدث في سنة١٩١٤أن كان حفني ناصف يصطاف في مصيف (رأس البر) وعلى (اللسان)وهو ملتقى النيل بالبحر المتوسط لقيه مصادفة حسين رشدي باشا رئيس وزراء مصر آنذاك فارتجل شاعرنا هذين البيتين :

افـــتَرّ " رأس الـــبر " لمـــا زاره رأس الـوزارة ، فـازدهى الرأسـانِ
والنيـل والملـح الأجـاج تسـابقا عنــد الزيــارة فــالتقى البحــرانِ

وروى عنه معاصروه كثيرا من الطُّرف التي تدل على ظرفه ، وسرعة بديهته فمن ذلك أن حلاّقه طلب منه مرة أن يختار له آية قرآنية يكتبها له خطاط ليزين بها محل حلاقته (الصالون) فقال له بتلقائيته المعهودة : " بسيطة .. قل له يكتب [نحن نقص] " .

وكانت في حي الأزهر مكتبة تسمى " المكتبة العلوية " صاحبها رجل متأدب من أصدقاء حفني ناصف اسمه الشيخ علي نحلة ، وذات مرة شكا إليه صاحب المكتبة أن طلاب الأزهر يأخذون منه " الملازم " التي يطبعها لهم ويتكاسلون في دفع

أثمانها المقسّطة . فدعا حفني خطاطا ، وطلب منه أن يكتب لوحة كبيرة توضع في صدر المكتبة عليها هذا البيت الذي ارتجله ساعتها :

خذ (المَلازم) وادفع ، لستُ أتركَكا   هل تشتري العلم من أصحابه (شَكَكا؟)

ومن يومها استقامت للرجل تجارته بعد هذا الإنذار اللطيف . !!

معاناة الموظفين بين الأسمر وغنيم

موظفو الحكومة يستحقون الشفقة في كل زمان ومكان، فهم وقود التنمية الرخيص، وملح حياة الناس اليومية الذي يأتدمون به، وهم فوق ذلك ومع ذلك وبين ذلك كله: مادة صالحة للسخرية والتفكه والتندر، لما يبدر منهم من سلوكٍ ناب أو رد خشن، ولما يميل إليه بعضهم من حب الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، وقد اتخذ منهم الشعراء ورسامو الرسوم الهزلية (الكاريكاتير) مادة ثرية لاستجلاب الضحك، وتوليد النكت، واتخذ منهم كتاب القصة والمسرح – في الشرق والغرب مادة رائعة للدراما المسلية كما نرى في أقصوصة "تشيكوف" الشهيرة "موت موظف".

وقد أجاد الشاعران المتعاصران "محمود غنيم" و"محمد الأسمر" وصف معاناة الموظفين خير إجادة، فقد جمع بينهما أن كلاً منهما بدأ السلم الوظيفي من أدنى درجاته إلى أعلاها، فقد بدأ "غنيم" حياته الوظيفية معلماً وما زال يرتقي حتى بلغ وظيفة عميد مفتشي اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم. وبدأ محمد الأسمر حياته الوظيفية موظفاً إدارياً صغيراً في وزارة الأوقاف حتى بلغ منصب أمين عام الوزارة.

وبين هذه وتلك من مراحل النمو الوظيفي، كانت أبيات كلا الشاعرين تتردد في الأوساط الأدبية وتذيعها الصحف على الناس فيتناقلها الظرفاء والأدباء في مجالسهم.

والشعر الفكاهي في مجال التندر بحياة الموظفين ومعاناتهم يتخذ مسارات شتى فمن شكوى غلاء المعيشة وضعف الرواتب ومن شكوى الظلم الإداري والنقل التعسفي إلى شكوى الرسوب الوظيفي وضعف الترقيات. غير أن هذه الشكاوى قد تبلغ أحياناً حد المرارة فتصبح لوناً من "الكوميديا السوداء" حين يقول محمود غنيم متحسراً على مكانة الشاعر المعلم في مجتمع يحتفي بالفن والفنانين ويدير ظهره للعلم والعلماء والشعر والشعراء فيقول:

إلى مَنْ أشتكي يا رب ضَيْمي؟   أرى نفسي غريباً بين قومي!!
لقد هتفوا لـ"محمودِ شكوكو"   ما شعروا بـ"محمودِ غُنَيْمِ"!!

المكافأة تأخرت:

ونبدأ مع الشاعر محمد الأسمر الذي انتدب ذات مرة من وزارة الأوقاف فعمل بعض الوقت لدى وزارة الداخلية لمراقبة بعض مطبوعاتها، وتأخرت وزارة الداخلية في صرف مكافأته عن هذا العمل الذي ندبته له. فلما سأل الشاعر عن سبب تأخر صرف المكافأة قيل له إن "عبد الرحمن عمار بك" وكيل وزارة الداخلية لم يوقع الأوراق، فكتب الأسمر إليه يذكّره بأن طلب صرف المكافأة الخاصة به قد زكاه "الرئيس" إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس الوزراء، ووقع عليه "توفيق صليب" مدير المطبوعات بالوزارة:

(عـمَّارُ) يـا أخـا الأدبْ   لي عنـدكم حـقٌّ وجـبْ
بـالأمسِ زكّـاه (الرئيـ   ـسُ) خيرُ من زانَ الرُّتبْ

وقـــال (توفيـــقٌ) دنـــا　　　مـــا ترتجيـــهِ واقـــتَرَبْ
وكـــلَّ يـــومٍ لم أزلْ　　　أســـألهُ وأرتقـــبْ

ويصف الأسمر ليالي انتظار المكافأة الطوال اللاتي يخاصم فيها النوم عيني شاعرنا حتى لكأنه محب عاشق ينتظر وعداً باللقاء من حبيبة غائبة. ويتساءل شاعرنا: أين أنت يا وكيل الوزارة: أأنت مازلت في مصر. أم انتقلت إلى بلاد الشام؟! ويستصرخه باسم "الأمن" الذي يحافظ عليه في طول البلاد وعرضها. أن يدرك "أمن" جيب صاحبنا الذي أخذ في الاضطراب:

تمضي الليـالي وهـي في الطُّـ　　　ـولِ شـبيهاتُ الحِقَـبْ
فـقصِّر الليـلَ عـلى　　　مُضْـناكَ وانظـر في (الطَّلَـبْ)
قـالوا عـلى الإمضـاء قُلْـ　　　ـتُ عجـبٌ أيُّ عجـبْ
هـل (الوكيـلُ) هاهُنـا　　　أم الوكيـلُ في (حَلَـبْ)؟!!

الحضور والانصراف وكآبة الدواوين:

وكانت قد أسندت إلى الشاعر "محمد الأسمر" في أول عمله بالحكومة (وظيفة كتابية) تتعلق بحضور بعض الطلبة بالأزهر أو عدم حضورهم. وما شابه ذلك من أمور الطلبة . فقال متذمراً من سوء هذا العمل الروتيني ومرارته:

مَنْ مُجيري مِنْ (خليلٌ غائب)　　　و(لبيبٌ) أو (سعيدٌ حاضِرٌ)
و(إجـازات عـليٍّ) بَلغـتْ　　　مُنْتهاهـا و (مـريضٌ طـاهرٌ)
وفلان (راسبٌ) أو (مُوقَفٌ)　　　وفـلانٌ (أول) أو (آخِـرٌ)

و(الحســـابات) وناهِيـــكَ إذا ضــلّ أو أخطــأ فيهــا النــاظِرُ
و(القيـوداتِ) التـي لا تنتهـي فخطاب (واردٌ) أو (صـادرُ)
و(السـجلات) ومـا قـد جَمَعـتْ فهـي بَحْـر وخِضَـمٌّ زاخـرُ
حالـةٌ مـا كنـتُ يومـاً مـا لهـا فهـي لا ينفـعُ فيهـا الشـاعرُ
كُـلُّ ميـــدانٍ لـــه فارسُـــهُ حاسِـبٌ أو شـاعرٌ أو نـاثرُ

ويسخر محمود غنيم من بعض دواوين الموظفين وما يشيع فيها من خمول وبلادة واستهانة بحاجات الناس. ودأب الموظفين على إزجاء الوقت في القيل والقال، وتفننهم في تعذيب أصحاب الحاجات، وتسويف قضائها بغير عذر، ولجوئهم إلى الإجازات المرضية دون حاجة إليها فيقول:

دواوينُ شِيدتْ للكرى والتثاؤبِ لحـا الله أصـناماً وراءَ المكاتـبِ
إذا أَمَّهـم ذو حاجـةٍ لقضـائها فأقربُ منها نيـلُ بعـض الكواكـبِ
هنا الوقت يمضي بين: لهوٍ وغفلةٍ وتسويف مطلوبٍ، وإلحاح طالبِ
وكم سلِمتْ أجسامهم، فتمارضوا وراغوا من الأعمال روْغ الثعالبِ
وكم رُمِيَ الحرُّ الكريم لديهمو بغلظة ساعٍ، أو فظاظة حاجبِ

ثم يسخر من أخلاقيات بعض الموظفين الذين يجبنون أمام رؤسائهم ويستأسدون على الفقراء من ذوي الحاجات، ولا يفكرون إلا في الرواتب والعلاوات والترقي:

نعـامٌ إذا هـم أبصروا رؤسـاءهم سباعٌ على الجمهور حُمْرُ المخالبِ

ومـا حلمـوا في النـوم إلا برتبـةٍ ... تُسـاقُ إلـيهم، أو زيـادةِ راتـبِ
ومـن زار منهم كاتبـاً ، خـال أنـه ... بحضرة "شاه"، لا بحضرة كاتبِ
إذا خاطـب الـزُّوَّار ، صـعَّر خـدَّه ... وأومـا بـرأس، أو أشـار بحاجـبِ
ولـو فتشـوا عـن حوتـه جيوبَـهُ ... لمـا اغـترَّ مغـترٌّ بتلـك المناصـبِ

الكادر . . ذلك الحبيب الغادر:

وفي مرحلة مبكرة من حياة محمود غنيم الوظيفية نشرت له قصيدة في صحيفة "الأهرام" عام ١٩٣٩ بعنوان (الكادر) سخر فيها من تقتير الحكومة على موظفيها البائسين. حتى إن الآباء الموظفين يوشكون على وأد أبنائهم خشية الإملاق كما كان أهل الجاهلية يفعلون:

أيهـا القـوم، حسـبكمْ إرهاقـاً ... كـم علينـا تضـيِّقون الخناقَـا
هـل تريـدون أمـة يئـد الـوا (م) ... لـد فيهـا أولاده إملاقـاً
ويحكم! لا منابع النيل غاصت ... لا،ولا سطحُ مصرَ بالناس ضاقا
ضـغطوا "الكـادر" الجديـد إلى أن ... لبسـتهُ أعناقنـا أطواقـا
اختـزال يجـيء إثـر اختـزال ... مـن قلـوب لا تعـرف الإشـفاقا

ويصف الشاعر قسوة حياة الموظف الذي يتطلع إلى الترقي الوظيفي متجاهلاً أنه يعيش في بلد يتنكر لرجاله، ويضن عليهم بأيسر حقوقهم وهي العلاوة السنوية الدورية التي تتأخر دونما سبب. بلد لا يعرف الرقي فيه إلا ذوو الحسب

والنسب ممن يملكون الواسطة فيثبون إلى العلاوات وثباً، ويتعثر الذين لا واسطة لهم ويتخبطون.

قـل لمـن يَنشـد الرقـيَّ عـزاءً ... إن دون الرقـيّ سـبعاً طباقـا!
مـا كفـاكم أن العـلاوة يـا قـو ... م، أطالـت عـلى الجيـوب الفراقـا
كـم مشـينا إلى العـلاوة حبْـواً ... وامتطـى غيرنـا إليهـا البراقـا
ويـح مصر! أرى الموظـف فيهـا ... حُمِّـل العـبءَ وحـده فأطاقـا
قـتَّروا جهـدهم عليـه وقـالوا: ... لا تكـن ناهبـاً، ولا سراقـا
مـن ينجِّيـه مـن بنـين صـغار ... وبنـات يسـألنه الإنفاقـا؟

ثم تبلغ السخرية غايتها حين يتوجه الشاعر بالخطاب إلى زميله الموظف ساخراً طالباً منه أن ييأس من اللجوء إلى المخلوقين، ويتجه إلى الله وحده سبحانه فهو الخالق الرازق، ويطلب "غنيم" من الموظف ألا يصنع لثوبه جيوباً، فما حاجته للجيوب وهو لا يملك ما يضعه فيها؟، بل إنه ينصحه بأن يهجر الأسواق إذ لا ناقة له فيها ولا جمل، وأن يتخفف حتى من الثياب إن استطاع:

أيهـا البـائس المعـذب رحمـا (م) ك! دع الخلـق، واسـأل الخلاقـا
لا تخِـطْ للثيـاب – ويحـك – جيبـا ... والـزم البيـت، واهجـر الأسـواقا
وإذا جعت، فامضغ الصبر! مـا أحـ (م) ـلاه في ذلـك الزمـان مـذاقا!
مـا لكـم والثيـاب إن أبـاكم (م) آدمـا كـان يلـبس الأوراقـا
عَلِـمَ الله، لا أضـن ولـو أنّ (م) بـلادي كَلَّفَتنـي الأحـداقا

غير أني على بلاديَ أخشى ... أن أرى الجوع دهْورَ الأخلاقَا

على أنني أرى في البيت قبل الأخير خللاً لغوياً في قوله "كلفنني" بنون النسوة، وهكذا ورد البيت في ديوانه. ويبدو أنه اضطر إلى ذلك، ولو قال (كلفتني) بتاء التأنيث الساكنة لاختل الوزن.

رحماك أيتها العلاوة،

ويتخيل غنيم العلاوة غادة حسناء لها ما للغواني من خصال الهجر والخصام، والدلال،وإخلاف الوعود فهو يتذلل وهي تتدلل، وتصل من لا يحتاج لوصلها من كبار المستشارين في الوزارة وتعرض عمن يهيمون بها من صغار الموظفين. وقد نشر "غنيم هذه القصيدة في " الأهرام" يوم ٢٤ من أبريل عام ١٩٣٥م.

قد حل مايو، فاسْمَحِي بوصالي ... مُنِّي عليَّ، ولو بطيف خيال
يا أختَ "عرقوب"، وعدت، فأنجزي ... يكفي جفاؤك من سنين طوال
في أي نجم نازح حجبوك أم ... في أيِّ سجن محكم الإقفال؟
هل أنت إلا كالغواني، طالما ... سقن الدلال على رقيق الحال؟
هيفاء، يَحظى المستشار بوصلها ... وتصدَّ كل الصد عن أمثالي
لا هُمَّ، لا أشكو لغيرك علتي ... أنقضتَ من رزقي، وزدت عيالي!
يا رُبَّ طفل جاءني، أطعمتُه ... ما في فمي، وكسوتُه سربالي
مالي أرى أموال مصر كأنها ... بعضُ الحبوبُ تُكال بالمكيال؟
حتى إذا طلب الصغير حقوقه ... شكت الخزانة قلة الأموال؟
فازَ السعيدُ بعمه، وبخاله ... وفقدتُ عمي في الحياة وخالي!

حتى الوظيفة الكبيرة لا قيمة لها!!:

وسخر "محمود غنيم" من الوظائف الكبيرة حين تكون كألقاب أمراء الأندلس الخاوية الخالية من المضمون. فهو حين رقي إلى وظيفة "مفتش" لم يجد لهذه الترقية أثراً ماديا في حياته. ورأى عام ١٩٤٣م. بمناسبة توليه هذا المنصب أنه زيفٌ لا طائل من ورائه مادام خالياً من الرقي المادي، فقال:

وما سرَّني التفتيشُ حين وَلِيتُه | ولا أنا -إن ولَّى- عليه بآسف
لقد خِلتُه يغني عيالي من الطوى | فكان كمضروبٍ من النقد زائف
وَزارةُ مهضُومين، ليس بقابضٍ | فتًى يرتقي فيها، وليس بصارف
إذا قيل: منسيُّون، فتشتُ عنهمو | فلم ألقهم إلا رجال المعارف

وتخيل حوارا دار بينه في العام نفسه- وبين بعض الشحاذين الذين يسألون الناس في الطرقات صدقة وإحساناً. وكان هذا الموقف الطريف يروى عن الشاعر حافظ إبراهيم حين قابله شحاذ وطلب منه "حسنة لله" فقال له حافظ:" عمرك أطول من عمري" [وهي تعني في العامية المصرية أنك سبقتني في التلفظ بما كنت أود أن أقوله لك!!] لكن شاعرنا "محمود غنيم" تخيل في هذا الحوار الذي دار بينه وبين أولئك الشحاذين معنى لم يرد في عبارة "حافظ إبراهيم" الفكاهية وإن لم يبتعد عن دلالتها كثيراً:

قال لي اليوم بائسون عفاةُ: | أعطنا. قلت: إن أصبتم؛ فهاتوا
ثقلَتْ وطأةُ الغلاء؛ فحلَّت | لكبار الموظفين الزكاةُ
لا ترومُوا الزكاة منا احتسابًا | نحن-لا أنتمُ- الجياعُ العراةُ

الفكاهة في شعر العوضي الوكيل

العوضي الوكيل شاعر مبدع، وفنان مبتكر، وكاتب ملتزم، كان معروفاً بخفة الظل، وسرعة البديهة، وتعدد المواهب، ولكن العصر الذي عاش فيه كان عصر خمود الشهرة الأدبية، وارتفاع أسهم الشهرة السياسية، فقد كانت السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وحتى بداية السبعينات من أشد سنوات القرن العشرين اضطراباً، وبخاصة في مصر، حيث واكب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، وما تلاها من حركات تحريرية في كثير من الدول العربية، توجه عام نحو الاستقلال السياسي والتحرر الاقتصادي من تبعية المستعمر الأجنبي، ثم توالت الحروب، فانشغلت الصحافة والإعلام المسموع ثم المرئي بتوابع هذه التطورات السياسية، ودالت دول الشعر والفنون بوجه عام، أو توارت على أقل تقدير.

في تلك الحقبة (١٩٤٥ ـ ١٩٧٠) كان في مصر محمود غنيم، وعزيز أباظة وعامر بحيري والعوضي الوكيل، ومحمود عماد، وطاهر الجبلاوي، ومحمد الأسمر والربيع الغزالي، ومحمود شاور ربيع، ومحمود جبر، وحسن جاد، ومختار الوكيل وصالح جودت، وأحمد رامي، ومحمود حسن إسماعيل ، وحسن مخيمر، وعشرات غيرهم لا تحضرني أسماؤهم الآن. وقد حظي الذين تعلقوا بأذيال الإعلام المسموع كأصحاب الأسماء الثلاثة الأخيرة، بقدر من الشهرة بعدما غنيت قصائدهم، أو أسندت إليهم مناصب ذات بريق، فيما بقي الآخرون سجناء وظائفهم البعيدة عن دائرة الضوء.

ومن هذا النوع الأخير كان المرحوم الشاعر العوضي الوكيل، أحد مشاهير ندوة العقاد الأسبوعية، وأحد المقربين من عباس العقاد.

وحدث أن اعتذر العقاد مرة بعد مرة عن تلبية الدعوة حتى إذا استشعر الحرج من كثرة الاعتذارات أناب عنه صديقه الشاعر العوضي الوكيل وبعث إلى ابراهيم دسوقي باشا يقول :

يــا مطعـــم الأدبـــاء مـــن ... خـــير الــذبائح والبقـــول
مــا طــاب مــن ضــأن ومــن ... طــير ، ومــن عـدس وفـول
" عـوضي الوكيـل " إذا دعـو ... تـم دعـوةً عـوضي الوكيـل
عـــوضٌ إذا مـــا شـــئتمُ ... عنـــي وأكَّـــال أكيـــل
بـــين الموكـــل والمؤكــــ ... ـــل ، فـاز بـالغنم الأصيـل

وكان العوضي كما أسلفت ذا طبع مفطور على لافكاهة وحب النكتة، وله ولع بالمعارك الأدبية، والمشاجرات الفكاهية فمن ذلك ما حدث بينه وبين حسن البطريق " الشاعر الحلاق، الذي شهد له معاصروه بقوة الموهبة، وعمق الإبداع، لكن عمله حلاقاً حال بينه وبين الشهرة التي يستحق – أو هكذا كان يعتقد – !!

حتى قال عنه العوضي الوكيل يرثيه:

مات شاعرنا الحلاق.. والموت حق .. وخلا منه ومن أدبه وفكاهته وسخريته " صالون الحرية والأدب في شارع شبرا ... لقد كان حسن البطريق نسيج وحده في عالم الشعر والبيان، لم يذهب إلى لم يذهب إلى مدرسة ولم يختلف إلى معلم... وإنما

تعلم حروف الهجاء بالاجتهاد وحده وهو في بلدته(بلبيس) بمحافظة الشرقية.. التي لم يلبث أن ضاق بها لما أحس بنمو موهبته وافتتح له صالوناً سماه (ليبرتيه) أي الحرية باللغة الفرنسية في شارع شبرا ..

ومن الفكاهات التي حفظها لنا تراث العوضي الوكيل ما دار بينه وبين صديقه حسن البطريق من مساجلات ومنقضات شعرية ساخرة فقد حدث ذات مرة أن تعرض العوض الوكيل لهجوم كاسح من ضيوفه من أبناء أقاربه جاءوا من الريف أقاموا عنده . ففاوض صاحبه الشاعر الحلاق في شأن حلاقة رؤوسهم. فغالى مغالاة شديدة في حين أصر العوضي ألا يزيد أجرته عن اربعة قروش للرأس الواحد فقال حسن البطريق يهجو العوض الوكي:

يفاوضني العوضي في حلق رأسه   وحلق رؤوسٍ قد تجاوزت العَشْرا
ويذكر في لفظٍ من البخل واضح   بيانــاً بأســعار الحلاقــة في شــبرا
ألا ليت شعري ما يقول فقيرهم   إذا كان هذا ما يقول الذي أثرى؟

فرد عليه العوضي يستنكر مغالاته واستقلاله القروش الأربعة. ويذكره بماضيه في بلدته (بلبيس) حين كان أجره على حلاقة الرأس حفنة من الذرة!! فيقول:

ألا قـل لحــلاقٍ تفـرعن في شــبرا   وطالـب في رأسي يشـوهه أجـرا
أأربعــة صــاعٌ عليــك قليلــةٌ؟   وقد كنت في بلبيس تحلق بالأذرا

ومن نوادر الشاعر الحلاق صديق العوضي أنه كان إذا أبطأ عليه أحد زبائنه فتأخر في الحلاقة نظر إلى رأسه وهو يقول إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها.. وإني لصاحبها

وكان الشاعر أحمد مخيمر زميلاً للشاعر العوضي الوكيل في العملبمصلحة البريد المصري وكان من قبل صديقين جمعهما حب الشعر وجمعتهما هذه الروح العذبة الفكهة التي أنتجا من خلالها أبيات هجاء يصعب تدوينها هنا. كانت تقال في مجالس اللهو والأنس البرئية التي كانت تجمع شعراء مصر في الثلث الأوسط من القرن العشرين.

وكان مخيمر قد أصدر ديواناً أسمكاه " لزوميات مخيمر " عارض فيه لزوميات أبوالعلاء المعري الي تضمنه فلسفته في الحياة، وآراءه في الناس، وبمناسبة صدور هذا الديوان حياه صديقه العوضي الوكيل مازحاً فقال:

مخيمر، ما نظمتَ من القصيدِ   "كشيكات" البنوك بلا رصيد
إذا ما كان للشعراء دارٌ   فأنت هناك تقعى بالوصيد..!

وفي البيت الثاني تعريض مستمد من قوله تعالى في صفة أهل الكهف:

﴿ ...وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: من الآية١٨].

ويعابث العوضي الوكيل شخصاً قبيح الصورة بقوله:

يا صاحب العثنون، مالك والعلا   إني رأيت بك الملاهي أجدرا

وكان للشاعر أحمد مخيمر مع الشاعر العوضي الوكيل صداقة مستمرة. لم تمنعها من تبادل الهجاء كثيراً.

في مرة نال العوضي ترقية، فذهب إليه مخيمر ليهنئه فلم يجده في مكتبه فجلس وكتب له هذه التهنئة الطريفة:

اصعد إلى العلياء واعلُ القمة
بالصدفة العمياء لا بالهمة
نسيت يا مغرور زر "العمة"
وجبةً قد حشيت برِمّة

هذه الأبيات التي هي مزيج من الدعابة والهجاء قرأها العوضي حين حضر فأرسل رداً له في خطاب بأبيات عنيفة لاذعة يقول فيها:

لاهُمّ إني قائل لا همٌّ
فلاعنٌ مخيمراً وأمه
كلب يعاف الكلب أن يشمّهْ
ويأنف الزبال أن يلمَّه

ولقد بدأت هذه الصلة الهجائية التي لم تؤثر في صداقتهما وتقدير كل منهما للآخر حين أصدرا بالاشتراك مع زميلهما الشاعر الحملاوي ديوان "أنفاس في الظلام".

فحين تم الطبع ولم يبق إلا الغلاف بدأ الشجار عنيف بين مخيمر والعوضي حول : من يكتب اسمه أولاً على الغلاف- كل منهما يدعي أنه أشعر من أخيه وأحق بأن يكون لاسمه الصدارة.

وأوقف طبع الغلاف.

وحين أصدر العوضي ديوانه "رسوم وشخصيات" لم ينس تحية هجائية لصديقه مخيمر يقول فيها:

أيجادلي فيها يقول مخيمر ... نسي القصيد العبقريَّ مخيمر
هو منجم نضبت موارد تبره ... والنزر ويحك ما تبقى الأيسر
ما زال في أذني صدى أنغامه ... أوَلا تتيه به الحياة وتفخر

حسين شفيق المصري
والشعر الحلمنتيشي

نما شعر الفكاهة المسمى بالشعر الحلمنتيشي وازدهر خلال النصف الأول من هذا القرن . ولا خلاف بين الذين كتبوا عن هذا الفن على أن هذه التسمية من وضع الشاعر الذي تفرد بإبداع هذا اللون وهو الشاعر حسين شفيق المصري (١٨٨٢م ١٩٤٨م)

وقد حاول أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي تأويل هذه التسمية في مقال له بمجلة الهلال فقال :

"ولا أدري كيف اشتهر هذا اللون من الشعر بهذه التسمية التي لا أعرف على وجه اليقين مأتاها ، وإن كنا نعرف جميعاً مدلولها ، والذي أظنه ظناً لا يصل إلى الاطمئنان المستقر أن الأستاذ حسين شفيق المصري قد نسب هذا الشعر إلى ندوة "الحلمية " نسبة على غير قياس عربي ، وقل أنها نسبة تجمع بين العربية والعامية معاً في لفظ واحد ، وهو ما يدل على مضمونه . وندوة الحلمية كانت مأوى الكبار من شعراء هذا العصر إذ كان يؤمها الأساتذة محمد الهراوي وهو عمدة الندوة بعد رحيل الشيخ محمد عبد المطلب . أما حسن القاياتي ، فصاحب الجاه الكريم بها إذ كان يسقي الرواد جميعهم على حسابه ومن بينهم حافظ إبراهيم وأحمد الزين وحسين شفيق المصري وزكي مبارك ومحمد الأسمر ، وفي هذه الندوة كان الشيخ محمد عبد المطلب يروي الشعر البدوي الجزل ويرفض أن يروي السهل المهين من شعر

العربية نفسها على حين كان الأستاذ حسين شفيق المصري - على أصالة الشعر العربي - يعاتبه بنظم هذا الشعر و " المطعم " كما سماه صديقنا المرحوم الدكتور كامل شاهين ، وهي تسمية موفقة لم يقدر لها أن تذيع ، وأخذ حسين شفيق المصري ينقل ما يذيعه في الندوة إلى صحف الفكاهة تحت عنوان " الشعر الحلمنتيشي " هذا ما أظنه بصدد هذه التسمية ويحضرني ما ذكره الأستاذ محمد الهراوي عن ندوة الحلمية في رثاء صديقه وأستاذه الشيخ محمد عبد المطلب حيث قال :

فلله بالحلميتين مجالس ... تضم شتات الفضل والأدب العد
وأنت تغنينا حداء كأننا ... على النوق في بطحاء مكة أو نجد
وتهتف بالأشعار من حضرية ... إلى عهد فهر في البداوة أو فهد
وتلقي علينا الشعر منك نعده ... تحدر من عليا معد ومن أزد

وحين ارتحل الأستاذ محمد الهراوي أشار الأستاذ أحمد الزين في رثائه إلى ندوة الحلمية قائلاً :

كأنك اليوم بالحلميتين على ... ما قد تعودت لا خلف ولا ملل
تظل بين وفود الزائرين بها ... وفد يحل ووفد بعد يرتحل
تصفي أخاءك من عقوا ومن حفظوا ... وتمنح الورد من ضنوا ومن بذلوا

إلا أن هذه المحاولة كما هو واضح فيها كثير من الافتعال ، وأغلب الظن أنها تسمية مرحة أطلقها حسين شفيق المصري دون أن يكون لها - في ذهنه - تأويل

مقصود . أو أساس لغوي يقاس عليه ، أو لنقل : لعلها نوع من الهزل يتمشى مع الروح العامة التي تبدء هذا الفن الهازل .

ولكن ما نستريح إليه من تعريف لهذا الشعر هو أنه " شعر قوامه أن يختار الشاعر مطلع قصيدة قديمة معروفة ثم ينسج على منوالها كما لو كان يكمل القصيدة القديمة ، لكنه في عمله يزاوج بين الكلمات الفصحى والعامية ، ويختار لقصيدته موضوعا ذا قيمة فنية ".

المعلقات

قال طرفة بن العبد البكري :

لِخَوْلَــةَ أَطــلالٌ بِبُرْقَــةِ ثَهمَــدِ ... تَلوحُ كَباقي الوَشـمِ في ظاهِرِ اليَدِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

وقوفاً بها صحبي عليَّ ترامهم ... يقولون لا تركب إلى الموت واقعد
أرى وقعتي تحت الترام تميتني ... وليس طبيب من هلاكي بمنجدي
وليس وقوعي عن حمار بقاتلي ... وأصعبه كسر برجلي أو يدي
أتذكر أيام الحمير وفسحة ... لدن عزبة الزيتون بعد المحمدي؟
وفي الحي شيخ أبيض الشعر واقف ... يجول بعيني حائر متردد
ويحصي من الأموال ما هو جامع ... ويتركه بعد الهلاك المؤكد
نعم لك مال غير انك جلدة ... فلست بمودود ولا متودد

(*) مجلة الفكاهة،العدد٦،الصادر في ٥يناير١٩٢٧م.

ولـو شـاء ربي كنـت شركـة روتـر ولـو شـاء ربي كنت بنـك الكريلـدي
إذا لم تكـن بـا باشـا صـاحب نخـوة فخمسـون طظـاً فيـك م اليـوم للغـد
ومـن كـان فيـه للـبلاد منـافع ولـو كـان زبـالا فـذلك سـيدي
ومـاذا يفيـد النـاس انـك راكـب وغـيرك يـمشي بالمـداس المهربـد
ستبدي لك الأقطان ما كنت جاهلا ويأتيـك بالأسـعار مـن لم يـودود
وما الماء كالشربات إن كنت شارباً ومـا لقمـة القـاضي كخبـز مقـدد
وقـد تلـبس المنطـوه شـوهاء وحشـة مكعـبرة تسـعى بمشـية قنفـد
وكـم مـن فتـى تلقـاه تحسـب انـه أمـير لتزويـق بـه وتبغـدد
مرتبـه في الشـهر لـيس يزيـد عـن جنيهين وابن الكلب عامل أفنددي
فقلـت اسـقياني واقـتلاني بشربهـا فمـوتي خـير مـن بقـائي لـدى ودي

قال لبيد بن ربيعة العامري :

عَفَـتِ الـدِيارُ مَحَلُّهـا فَمُقامُهـا بِمَنـىً تَأَبَّـدَ غَولُهـا فَرِجامُهـا

قال حسين شفيق المصري:(*)

فمدافع الألمان أبطل ضربها ... وتخبلت وتدلدلت أكمامها

دول تككين (١)بعد شرب حشيشها ... أبناؤها وتهرينت(٢) أقوامها

وتعطلت جوزاته(٣) وتصيدلت(٤) ... فاحتل أدمغة الرجال جرامها

وَلِمَنْ يَشُمُّ إذا نهاه لائم ... حِجَجٌ كَذَبْنَ حلالها وحرامها

والعين واسعة على أجفانها ... زَغُلٌ وقد زادت بها أورامها

حتى إذا فرغت زجاجةُ شامم ... سرق الفلوس لأجلها شمامها

وبكت عليها زوجة مسكينة ... حزناً وطال صيامه وصيامها

ولقد يجن وقد يموت وهكذا ... شرب الخمور وأين منك مدامها

إني شربت من الزبيب فتيلة ... فاسودت الدنيا وضاع نظامها

ولربما نثر الفتى أمواله ... في حانة كمشت بها أروامها

ويعود في زعل ترى أنفاسه ... كدخان مشعلة يشب ضرامها

لم أدفع المصاريف لابني بعدها ... فأتى ودمعته يسح غمامها

"يا بابا قد طردوا الذين تأخرت ... مصاريفهم وتباعدت أيامها

وتركت مدرستي وجئتك باكيا ... ولنفس مثلي جهلها إعدامها"

(*) مجلة الفكاهة، العدد٧، الصادر في ١٢يناير١٩٢٧م.
(١) تككين: أي شم الكوكايين.
(٢) تهرينت شمت الهروين.
(٣) الجوزات: جمع جوزة وهو الإسم الشعبي للشيشة البدائية المصنوعة نمن نبات الغاب الأجوف.
(٤) تصيدلت: أي اتجهت للصيدليات بقصد تناول الحبوب المخدرة (البرشام) بدلا من الشم والتحشيش عن طريق تدخين الشيشة.

[فوقفـت أسـألها وكيـف سـؤالنا ... صما خوالد ما يبين كلامها] (١)
والـرأس منصـدع بـه أوجاعـه ... ليست تـزول ولـو أتـى برشـامها
إنـا لهجاصـون فـاعلم يـا فتـى ... ولكـل قـوم سـنة وإمامهـا

بسي :

هَـل غـادَرَ الشُّـعَراءُ مِـن مُـتَرَدَّمِ ... أَم هَـل عَرَفـتَ الـدارَ بَعـدَ تَـوَهُّمِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

يـا دار عبلـة بـالعُطُوف(١) تكلمـي ... وابكـي كثـيراً دار عبلـة والطمـي
دار لجاهلـة سـخيف عقلهـا ... وجـه البجـور(٢) كوجهها المتغمغمِ
فوقفـت فيهـا البسـكلتَّ كأنهـا ... جحـش لأقضي سـاعة المتنـدمِ
فيهـا اثنتـان وأربعـون بعوضـةً ... سـوداً كخافيـة الغـراب الأسـحمِ
وكـأن فـأرة منـزل متهـدم ... سـبقت خنافسـها فلـم أتقـدمِ
هل جاء مصلحة الصُّحَيْحَة(٣)إنني ... وَنَـا واقـفٌ جسـمي تضرج بالـدمِ؟
وخـلا الـذباب بهـا فليس ببـارح ... غـرداً كفعـل الشـارب المـترنمِ
إن كنـت أزمعـت العـزال فـإنما ... فرغـت فلوسـكمو بليـل مظلـمِ

(١) هذا البيت مُضَمَّن كما هو من معلقة لبيد بن ربيعة.
(*) مجلة الفكاهة، العدد٩، الصادر في ٢٦يناير١٩٢٧م.
(١) العُطوف: جمع عطفة وهي الحارة الصغيرة.
(٢) البجور: أي القطار وأهل الشمال في الدلتا ينطقونه "الباجور"، وأهل الصعيد ينطقونه "البابور" وأهل القاهرة ينطقونه "الوابور".
(٣) الصُّحَيِّحَة: تصغير الصحة.

سلبتك راقصة الكَزِينو ثروةً ... فرميتَ كل جنيهةٍ(١) كالدرهمِ
كيف العزال إلى مكان طيب ... هاو فسيح ليس مثل القمقمِ؟
رفعوا إجارات البيوت فزفَّتوا ... عيش الموظف والفتى المستخدم(٢)
نصف المهية(٣)للإيجار وعيشنا ... حجر وذاك غموسنا كالمرهمِ
ولقد رأيت الكَدْر بعد عشيةٍ ... فقضيتُه ليلا كليل المَيْتَمِ
من أين أصرف ع الولادِ وبنتنا ... بِدّي أجهزها يا أم الهيتمِ؟
كيف السبيل إلى الموبليات التي ... تُرضي عريس البنت وهو جهنمي؟
وإذا شكوتُ فإنني متوبخٌ ... مالي وعرضي في فم المتكلم
وإذا سكت فما أطيق من الأسى ... وكما علمت مصائبي وتلطُّمي
يارب خلصني بقى م المقت دا ... نزّل عليَّ ولو رصاصة دمدم

قال عمرو بن كلثوم :

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاَصبَحينا ... وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

قال حسين شفيق المصري(*):

مشعوطة كأن السم فيها ... إذا ما الماء خالطها عِمِينا
ودارٍ قد سكنتُ "بباب خلق" ... وأخرى في "المواردي" و"عابدينا"

(١) جُنَيْهة: تصغير (الجنية) وتأنيثه كناية عن الاحتقار والتسفيه.
(٢) المستخدم: أي الموظف وكانت إدارات شؤون العاملين تسمى أنذاك "إدارة المستخدمين" (بفتح الدال).
(٣) الماهيَة: أو الماهية الراتب الشهري.
(*) مجلة الفكاهة، العدد٨، الصادر في ١٩ يناير١٩٢٧م.

وكـــان لنـــا بحارتنـــا غفـــير ... ينـــام ونحـــن طـــراً صـــاحيونا
وشـــاويش يغيـــب إذا اعتركنـــا ... ويحضر بعـــد مـــا نتصـــالحونا
ألا ســـائل لصـــوص القَطْـــر عنـــا ... يجـــيكم لهـــو كيـــف وجـــدتمونا
يقولـــوا إننـــا نـــاس غلابـــا ... دهانـــا الـــداثنون ونفَّضـــونا
وإنـــا نلـــبس الجزمـــاتِ صـــفراً ... ونقلعهـــن ســـوداً قـــد بلينـــا
وإنـــا لابســـون هـــدومَ خـــيشٍ ... عـــلى أبـــداننا متشرمطينـــا
وإنـــا لم نبـــع قطنـــاً فضـــاقت ... بنـــا الـــدنيا وبتنـــا مفلســـينا
وم الخواجـــات نأخـــذ كـــل شيء ... بأســـعار تجننـــا جنونـــا
فـــآبوا بـــالفلوس وبالهنايـــا ... وابْنـــا بالشـــفاه مكلضـــمينا
كبائعـــة مصـــاغاً أو نحاســـاً ... يـــرن غطـــاء حلتهـــا رنينـــا
ولـــيس لنـــا مصـــانعُ أقمشـــاتٍ ... فتغنينـــا عـــن القومســـيوجينا
ولســـنا صـــانعين لنـــا بَجُـــوراً ... لنركبـــه ولا مترموينـــا
ولـــولا أن أوربـــا علينـــا ... لكنـــا قـــد مشـــينا عريانينـــا
إذا بلـــغ الفطـــام لنـــا وليـــدٌ ... يمـــوت بحانـــةِ ســـكران طينـــا

المشهورات

قال محمد بن عفيف الدين التلمساني المعروف بالشاب الظريف :

لِيَ مِـــنْ هَـــوَاكَ بَعيـــدُهُ وَقَرِيبُـــهُ ... ولَـــكَ الجَـــمالُ بَديعُـــهُ وَغَرِيبُـــهُ

قال حسين شفيق المصري(*):

إن لم تكـن بيكـا فإنـك مثلـه ... أو لم تكـن باشـا فأنـت قريبـه
الباشـا قـد وصى عليـك رئيسـنا ... ورئيسـنا يـا ادلعـدي محسـوبه
فـاحضر إلى الـديوان في الميعـاد أو ... مـن بعـده مـن ذا الـذي ح تهيبـه
واطلـب مـن الفـراش قطعة بسطة ... كلها وقل (هات شاي) دغري يجيبه
واشرب سـجارتك التـي دخانهـا ... يعمـي عيـون الحاسـدين هبوبـه
واشغل زميلـك دائـماً عـن شغله ... إيـه روح ينوبـك منـه أو ح ينوبـه
فـزُّورة في قصـة في نكتـة ... تـقضي معـاه اليـوم ثـم تسـيبه
وتغيـب أيامـاً إلى اليـوم الـذي ... فيـه الماهيـة وهـو لسـت تغيبـه
ويجـي سـعادة عمـك الباشـا إلى ... ذي الوجـه وهـو صـديقه وحبيبـه
ويقـول ليـه أكثرتمـو شـغل ابننـا ... أتعبتمـوه والعيـا سيصـيبه
عـام مضى مـن غـير ترقيـة لـه ... فمتـى علاوتـه ومـا ترتيبـه؟
فتـدق أجـراس الـوزارة كلهـا ... ويطـير مـن نظـر الـرئيس لهيبـه
عنهـا وأمـر بـالترقي والـذي ... (مـش عاجبـه) يبطح رأسه مركوبه
وهنـاك مـن في الشغل يقلع عينـه ... والمقـت أو سـخط الـرئيس نصيبه
لو قـال بـم يقـال مـا تغـور مـن هنـا ... ويطـول مـن تـوبيخهم تدويبـه
يا نـاس مـش هـذا حـرام والنبـي ؟ ... قلبـي انشـوى وتسـاقطت شراريبـه

(*) مجلة الفكاهة، العدد٤٧،الصادر في١٩ أكتوبر ١٩٢٧م

قال يزيد بن ضبة الثقفي :

شُـــلَيمى تِلـــكَ في العــــيرِ قِفـــي إن شِـــئتِ أَو ســــيري

قال حسين شفيق المصري(*):

زمـــان العـــير قـــد ولى بكمبيــــل وحنطــــور
وزالا أو يـــــــزولان بتمبيــــل ووابــــور
ومـــا التمبيـــل والوابـــو ر في عصر الطيــــــايير
تقــــدم كــــل أهـــل الأر ش واحنـــا الــلي ف تـــأخير
وغواصـــــاتهم في المـــــا ء كـــالقرموط والبـــوري
ونحـــن الـــلي مراكبنـــا بقلــــع مثـــل طرطــــور
وأخيــــبهم مكـــــانيكي وأشـــطرنا الفـــواخيري
يجيبـــون الزجـــاج لنـــا وجاءونـــا ببللـــــور
ولا لنـــا شي ســـوى صـــنع الـــ ـــطواجن والمـــواجير
فهـــل هـــذي الفـــواخير؟ كصـــيني وفرفـــور
ومـــاذا قلـــت في الحـــرب وفي لم الطـــــوابير
أضرب مـــدافع الهـــون كضرب بالســـــواطير
فقالـــت ليـــه بتوكســـنا وليـــه الحكـــم بـــالزور
أفي أوربـــا مـــن غنـــى عـــلى صـــوت الصـــفافير

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٣، الصادر في٣٠ نوفمبر١٩٢٧م.

ومـــا علمـــت بـــأن النـــو	تـــا مـــش زي التريريـــري
ألا بـــــالله ســـــــيبيني	ف غلبـــي والنبـــي غـــوري

قال محمود سامي باشا البارودي:

تَـــوَازَنَ الصَّـــيْفُ والشِّـــتَاءُ	واعْتَـــدَلَ الصُّـــبْحُ والمُســـاءُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

وهبـــت الـــريح مـــن ريـــاض	بهـــا زهـــور لهـــا زكـــاء
ويـــوم شـــم النســـيم هاجـــت	رجالنـــا فيـــه والنســـاء
فالشـــيخ يحنـــو عـــلى عصـــاه	ودأبـــه الـــرقص والغنـــاء
وللفتـــى نطـــة تـــدانت	منهـــا إلى رأســـه الســـماء
تســـيل مـــن نطحـــه نجـــوم الـــ	ـــسماء مـــن رأســـه الـــدماء
يـــا واد مـــاهش كـــدا طـــوعني	حاســـب شـــوياء مـــش كـــداء
ورب شـــــنمطاء في الثمانيـــــ	ـــن وجههـــا فيـــه كرمشـــاء
حطـــت عليـــه الطـــلاء لكـــن	تزيلـــه عنـــه خربشـــاء
وقصرت ثوبهـــا فتـــاة	فشـــكلها فيـــه مســـخراء
يابنـــت هـــل أنـــت كرنفـــال	مـــا تختشي جاتـــك الـــبلاء
فالنـــاس هلـــس ولـــيس فـــيهم	يـــا صـــاح مـــن عنـــده حيـــاء
وكـــان شـــم النســـيم ســـوقاً	تبـــاع فيـــه الكرامتـــاء

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٧٤، الصادر في ٢٥ أبريل ١٩٢٨م.

وأصـبح العلـم مثـل جهـل وسـادت الفيـل خنفسـاء
ومـن تكـن عنـده علـوم فـإنما عمـره هبـاء
ومـن تكـن عنـده فلـوس فـذلك البيـك والباشـاء
يـارب خـذني بقـي يـاربي بزيـادة يـا رب بزيـاداء

قال المتنبي :

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ

قال حسين شفيق المصري(*):

لقـد عزمـوني وهـي خـير عزومـة أقيمـت لهـا زيناتهـا والمعـالم
عشـان زواج البنـت بـالواد أنفقـت فلوسـك حتـى أفلسـتك المغـارم
وجيبك أضحى مثـل وجهك خاسـاً وقـد كنـت مبسـوطاً وجيبـك وارم
ولكـن أهـل الحـي شـافوك ماشـياً فقـالوا (جـواد) بـس مـالوش قـوائم
وعلقـت أعلامـاً عـلى الـدار رفرفـت وفي الـدار لمبـات بهـا الفـرح تـامم
وفي السـكة الصـيوان تحسـب أنـه سرايـة باشـا أنجبتـه الهـوانم
وقـد صـار بوفيهـاً سـلاملك بيـتكم وفيـه ديـوك حمـرت وحمـائم
وفيـه خمـور للمعـازيم كلهـم ومـن أكـل الأديـاك فالويسكي هاضـم
وجـاءت حـريمات المعـازيم كلهـم لـدى السـت إذ كانـت هنـاك اللـوازم
وتلـك لعمـري غمـة لا أرى لهـا نظـيراً وفيهـا للجيـاع مغـانم

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٩، الصادر في٨ أغسطس١٩٢٨م.

ومن تحت قام التخت للمطرب الذي — يغني وغنت فوق كمان العوالم
وتخطر مختالا لأنك صارف — من المال ما ليست تشيل البهائم
وخش على البنت الواد اللي حياته — ما تسواش قرشاً لو تعد الملالم
وما هي إلا ليلة ونهارها — ولم يبق شيء بل كأنك حالم
ولم يبق إلا أن مالك ضائع — ودينك مطلوب وربك عالم
أما كان هذا المال ينفع لابنكم — وبنتكمو بالوفر ؟ أما عفارم

قال لبيد بن ربيعة العامري :

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ — وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

قال حسين شفيق المصري: (*)

رهنت أُقمبيلي وجئتك ماشياً — على رجلي مغصوباً وفيها دمامل
وقد ذبحوا الخرفان في العيد كلهم — وما لي خروف غير أني باصل
وأبكي على أيام ما كنت وارثاً — وتطلع عيني والدموع هوامل
فيا دهر بزياداك تلطيمنا بقى — ألم تر أن الدمع للثوب بالل
وقد وعدوني بالخدامة بعد ما — حفيت فمن نعلي صباعي طالل
وصعب على مثلي الخدامة عند من — يكون على خدامه يتراذل
أما تتقون الله في خدامينكم — وخدامكم هلبتَّ ما هو راجل
تنامون طول الليل ملء عيونكم — ويسهر لما تعتريه النوازل

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٢٩، الصادر في ١٥ يونية ١٩٢٧م.

يوحوح من برد شديد يطسه ... لدى الحلل الزفراء إذ هو غاسل
ويارب طفل من بنيكم بعضه ... وتشخط فيه البنت فالذل شامل
ويأكل ما تبقون من فضلاتكم ... وذلك سم في الحشاشة قاتل
والعن من هذا وهذا نداؤكم ... عليه بيا واد وهو في الشيب داخل
فما ذنبه هل جهله أصل غلبه ... وليه يعني ما مولاه لاخر جاهل
يا ناري يا ناري ليتني كنت عاقلاً ... فما باع طين الأهل في الخبص عاقل
وأصبح مسكيناً حزيناً منيلاً ... على عينه واستهبلته الهوابل
وهذا يطاسيه وهذا يزعه ... وفي كل يوم جرسة وجناجل

قال عمر بن الفارض :

أبرقٌ بدا من جانِبِ الغَور لامعُ ... أم ارتفَعَتْ عن وجهِ ليلى البراقع

قال حسين شفيق المصري:(*)

وإلا فهذا النور من بطارية ... أمام أُتمبيل لعينك ساطع
فأين زمان الخيل في حناطيرها ... وأين حمير زينتها البرادع
إذا داست الانسان يربط رجله ... ويكبسها بالبن والبن نافع
وفي لطشة التمبيل إنك نازل ... على الأرض مدشوشاً وروحك طالع
نعم في الاتمبيلات للناس راحة ... إذا لم أقع منها كما أنت واقع
ويحملك الإسعاف للقصر خالصاً ... ولحمك بسطرما ورجلك كارع

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٣٨، الصادر في١٧ أغسطس ١٩٢٧م.

فإن رحت قصر العيني فالموت عنده ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع
وجاء التمرجي قلت إنك مهلكي ... وسرك في إهلاك مثلي باتع
ألا إنما الدنيا زوال فما الذي ... يخليك طماعاً وليه كدا طامع
على شان ماذا كل يوم وليلة ... تحوّش أموالاً وجارك جائع
وليه بس بعض الناس يشرب خمرة ... ويرميه في الإفلاس فعل مضارع
ويدخل في أطيانه وهو لابس ... ويخرج من ميراثه وهو قالع
ولو قلت أيتام يبيتون ع اللطى ... فلا والنبي ياخويا ما هو سامع
فهل بلد يا صاح أهلوه زي دا ... يسود وقد بالت عليه الضفادع
سأقطش ودني إن رأيتك نافعاً ... ولكنها تبقى وما أنت نافع
فأين الترمواي الذي سيدوسنا ... وهل تهدم الدنيا علينا المدافع

قال عنترة بن شداد العبسي :

لِغَيرِ العُلا مِنّي القِلى وَالتَجَنُّبِ ... وَلَولا العُلا ما كُنتُ في العَيشِ أَرغَبُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ألم تروا الإنسان في حال فقره ... كئيباً حزيناً وجهه متقطب
فإن نال خيراً من غنى أو مياسر ... غدا مرحاً من فرحه يتشقلب
وهذا تراه الناس ع الأرض ماشياً ... ومركوبه فوق الطريق يكركب
وبدلته في الشمس وهي عتيقة ... يطشطش منها دهنها المتصبب

(*)مجلة الفكاهة، العدد٨٨، الصادر في ١ أغسطس١٩٢٨م.

وكـــائن تـــرى مـــن رقعـــة في ثيابـــه　　زيادتهـا أو نقصـها كيـف تحسـب
وأمـــا الـــذي المـــال الكثـــير بتاعـــه　　فبالجزمـة البيضـاء يـمشي يدبـدب
وجزمتـــه الصـــفراء إن هـــي زيّقـــت　　تـرَ العجـر الأوبـاش دغـري تـأدبوا
وبدلتــــه الله أكــــبر يــــا أخـــي　　إذا شـــافه فيهـــا الرجـــال تهيبـــوا
ولا والنبـــي مـــا كـــان أشـــيك منظـــراً　　مـــن الشـــوب إلا شـــعره المتسبســب
فمـــن لي بـــأموال أكـــون بهـــا كـــدا　　وأركـب تمبيلا يقـول " بو بو بـو بـو "
وأســـكن في قصر ف وســـط جنينـــة　　لهـا حـارس شـمط وكلـب يهبهـب؟
وفي الـــقصر طبـــاخ تشـــم طعامـــه　　فتحتقـر العطـر الـلي بـه تتطيـب
فمـــن أيـــن لي هـــذا ولســـت بعـــالم　　فمخـــترج شـــيئاً بـــه اتكســـب
ولا أنــــا في تجـــر ولا لي مصـــنع　　ولا حـــاكم لي في الـــدوان مرتـــب
فيا ألف إخص يا سفخص ويمت بلا　　عـلى حـين كنـا في المـدارس نلعـب
ولـــو كنـــت أيـــام المـــدارس شـــاطراً　　لمـــا صرت أيـــام الرجولـــة أغلـــب

قال ابن زريق البغدادي :

لا تَعذَلِيـــه فَـــإنَّ العَـــذلَ يُولِعُـــهُ　　قَـد قَلـتِ حَقـاً وَلَكِـن لَـيسَ يَسـمَعُهُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

هـــو امـــرؤ تـــاجر والبلـــف صـــنعته　　يحطـــه البلـــف أحيانـــاً ويرفعـــه
مـــن طـــول حلفانـــه تســـود خلقتـــه　　كـــأن ورنـــيش أمريكـــا يلمعـــه

(*) مجلة الفكاهة، العدد١٤، الصادر في ٢مارس١٩٢٧م.

؟؟ فصــــال عــــلى الملـــيم يفلقنـــي … وفي الفصـــال يضـيع الوقـت أجمعـه
يـا أيهـا التـاجر البكـاش ويحـك مـا … هـذا القـماش ومـا للـريح تمزعـه
قـد غشـني ليـت كرباجـاً أطـيح بـه … وراءه وبكربـــــاجي أُلســــــوعه
مـاهيتي كـل شـهر صـار يأخـذها … وأصبـع امـرأتي في عينـي وأصـبعه
هـذا حريـر وذا صـوف وذي كلـف … أكـــعُ أثمانهـــا فـــيها أكععـــه
فقـــال إنـــك كـــذاب ومختلـــق … وكـل مـا قلـت تهويـل توسـعه
التـــاجر اليـــوم في دكانـــه صـــنم … ومحضر الحجــز يأتيــه يشــخلعه
وقـد يجـيء زبـون رأسـه خشـب … كلامـه مثـل حبـل لـيس يقطعـه
يقلـــب الشيء تقليبـــاً يدرمغـــه … ولا نزعلـــه لكـــن ندلعـــه
والســوق نائمــة نومـاً يطـير بـه … نحوي البروتستو يدهي القلب بعبعه
فقلـت لـو كـان هـذا شـأنكم لبكـي … بيلـوت باسـك وسـالت منهُ أدمعـه
طـول النهـار تلـم المـال مـن طمـع … والبيلـو باسـك إليـه المـال تدفعـه
برميـل خمـر إذا مـا شـافه رجـل … مـن التجـار بـلا شـك يقربعـه
تبعزقـون فلـوس النـاس مـن سـفه … وحقكـم مـدفع فـيكم أفرقعـه
كـيس النقـود التـي ضـيعت آخرهـا … وأدمعـــي مســـتهلات وأدمعـــه
ودعتـــه وبـــودي لـــو يـــودعني … طيـــب الحيـــاة واني لا أودعـــه
أمـــال فـــين فلـــوسي لا أبـــا لكمـــو … ومَـنْ مِـنَ الجيـب مليمـي يطلعـه

قال أمير الشعراء :

سَـــلامٌ مِـــن صَـــبا بَـــرَدى أَرَقُّ ... وَدَمـــعٌ لا يُكَفكَـــفُ يـــا دِمَشـــقُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

بـــبر الشـــام للتصـــييف ظـــل ... ومصر بهـــا لحـــر الشـــمس حـــرق
وفي لبنـــان يـــا محـــلى ذراه ... هضـــاب كالكنافـــة أو أرق
إذا ذكـــروك يـــا لبنـــان صـــيفاً ... ولم أرحـــل إليـــك فقـــد أطـــق
أرى لبنـــان والأرز المفـــدى ... كفاكهـــة وكـــل الأرض بـــق
وأهـــل الشـــام أوجههـــم حســـان ... وفي مصر وجـــوه النـــاس زرق
ومـــن يـــدخل فلســـطين الســـنه دي ... يـــرى ســـاعات حيطتهـــا تـــدق
بزلزلـــة تشـــقلب ســـاكنيها ... كمرجيجـــاءة ولا فـــيشي فـــرق
تشـــق الأرض تحتهمـــو كبشـــر ... وفيهـــا كـــل مـــن وجـــدت تـــزق
ومـــن يعلـــم بـــما هـــم فيـــه يصـــعق ... بخضـــته ومنـــه يطـــق عـــرق
فـــأين الراحمـــون ألم تشـــوفوا ... ألســـتم تســـمعون وذاك زعـــق
ألا يـــا أغنيـــاء بـــلاشي خـــبص ... وجـــيرتكم مـــا عنـــدهموش رزق
أتأكـــل كســـتليتأة بصلصـــا ... وتســـكر ثـــم بعـــد الســـكر عشـــق
وبيـــت الخبـــاز مهـــدوم عليـــه ... ومعدتـــه بهـــا للجـــوع دعـــق
أغيثـــوهم والا قيـــل عنـــا ... مجـــانين رءوســـهمو تلـــق

(*) مجلة الفكاهة، العدد٣٤، الصادر في٢٠ يوليو١٩٢٧م.

مـا تبقـوش كـدا عيـب علـيكم إذا مـا كنتمـوش غجـراً حتبقـوا

قال ابن النحاس الحلبي :

رأى اللوم من كل الجهات فراعه فـلا تنكـروا إعراضـه وامتناعـه

قال حسين شفيق المصري: (*)

إذا سـقط التلميـذ يـوم امتحانـه فـلا شـك مـن غيظ يعـض صباعه
ويقعـد مغمومـاً يـداري كسـوفه بتفتيشه عـن نصـف قـرش أضـاعه
يقـول أبـوه ألـف اخـص عـلى كـدا ويضربـه كفـاً ويلـوي دراعـه
ويحلـف بـالله العظـيم بأنـه إذا كـان وثـراً أو حمـارا لباعـهُ
فقـد زاده همـاً وخيـب قصـده كـما ضـيع المـال الكثـير بتاعـه
ولـو كـان لم يكسـل ونـال شـهادة لمـا كـان ثـوب حـين يفـرح سـاعه
ولكنـه في اللعـب كـان معفرطـاً وكـان مـن التنطـيط يفـرد باعـه
إذا فـرغ الأولاد مـن لعـب كـورة يـروح إلى الكـوبري يشـوف سباعه
ويامـا رأينـا في المسـاخر مشـيه ويامـا نصـحنا وهـو يـأبي ارتجاعـه
فبصوا أما غـارت مـن الجـوع عينـه وهـل غـير هـذا الجهـل شيء أجاعه
لـه في الزوايـا وقفـة بعـد وقفـة مـن الغلـب فيهـا قـد أطـال التطاعهُ
نعـم كـان متكـولاً عـلى مـال أمـه ولم يـدر أن الـدهر ينـوي ابتلاعـه
وجـاء لـه مـيراث بابـا مودعـاً ولم ينتظـر حتـى يطيـل وداعـه

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢٣، الصادر في٤ مايو ١٩٢٤م.

ودينـي شـباب المرء يانـاس كوكـب إذا جعلـوا التعلـيم فيـه شـعاعه
ومـن ضـاع منـه وهـو يلهـو شـبابه فبحـر ظـلام يسـكن الـنحس قاعه
ومن لم يطع نصح الفتى فهو بعده إذا سـمع التنهيـق أمـراً أطاعـهُ

قال شرف الدين عمر بن الفارض :

سـائقَ الأظعـانِ يَطـوي البيـدَ طَـيْ مُـنْعِماً عَـرِّجْ عـلى كُثْبَـانِ طَـيْ

قال حسين شفيق المصري:(*)

وإذا لاقيــت مــن أهــواه قــل للــذي أهــواه مــن يهـواك جــي
إننـــي اشـــتقت إليـــه وأرى مـن هـواه النـار تشـوي القلب شي
في فـــؤادي لحبيبـــي عزبـــة زرعـت شـوقاً وفيهـا الـدمع زي
وبـــأرض الحــب أشـجار لهـا ثمـــر يأكلـــه المشـــتاق ني
إننـــي مــن وحشـتي في ظلمــة ومحيـــاه كلـــوب فيـــه شي
ولـــه في العيـــد عنـــدي بدلـــة وقفـت بالخمسـميت قـرش عـلي
ولـــه في العيـــد عنـــدي فســـحة نركـب الـتكس ونقـرأ "كـل شي"
فســـحة في أدب في حشـــــمة ليس فيهـا الخمر تكـوي الكبد كي
فـــإذا قـــال ســـخيف جاهـــل اشربـوا قلنـا لـه روح غـور يـا خي
إنـــما الخمـــر لمـــن يشربهـــا تكثـر الأحـزان والفـرح شـوي
إنهـــا تصرع مـــن تســـكره فـــتراه ميتـــاً في شـــكل حـــي

(*) مجلة الفكاهة، العدد١٨، الصادر في٣٠ مارس١٩٢٧م.

غـــير تضـــييع فلـــوسي كلهـــا ... بعــد تــوقيعي وســلخي ركبتــي
واجـــتماع النـــاس حـــولي زاعقـــا ... علهــــم إن ينظـــروا عطفــــاً إلي
احــذروا في العيــد مــن أ، تشربــوا ... خمــرة كــي لا تكونــوا مســخري
لا تهيصـــوا هيصـــة مورثـــة ... للأســـى بعـــد اللتيـــا واللتـــي

قال الطغرائي:

أصـالةُ الـرأي صـانتْني عـن الخَطَـلِ ... وحِليةُ الفضلِ زانتني لـدَى العَطَـلِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

سـعيي أخـيرا وسـعيي أولاً تعـب ... والمـي في مهمشـا كـالمشي في القلـلي
وتعرض الناس عني عند توسختي ... فـإن نضـفت فكـل النـاس تزغـرلي
دنياك إن قصدت تنغيص عيش فتى ... فـالرز بـاللحم مثـل المـش والبصـل
وأكـذب النـاس في بـدو وفي حضر ... مـن قـال إن بتـاع اللـب كـالنقلي
ومـن يكـن ذا فلـوس وهـو يكنزهـا ... ولـيس يصرفهـا فالبخـل كالقشـل
ومـن يقـع في عجـوز إن تزوجهـا ... فـإن ذلـك شـهر غـير ذي عسـل
ومـن يكـن لخمـة تـذهب كرامتـه ... لا يرهب الناس غير الزاجل الشضلي
ولـن تـرى امـرأة في الحـي قـادرة ... عـلى احـتمال بـلاء حـل بالرجـل
قطر البضاعة مشحون فهل نظرت ... عينـاك شـحنته يومـاً عـلى جمـل
واصرف همومك لا تزعـل فإنـك لا ... تحيي الذي مات بعد الموت بالزعل

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢١، الصادر في ٢٠ أبريل١٩٢٧م.

وكــن لنفســك عونــاً في مطالبهــا فلـن يفيـدك سي علـوي ولا سي عـلي
والشــيخ فــاعلم كطفــل في تعقلــه والشــمس رأد الضحيكالشــمس في
واطلب حقوقك بـالتغجير هاضـمة الطفـل فـالحق إن لم تعجـر غيرمتصـل
أمــا الحيــاء فمنــه المــرء مســخرة مــا خــاب لي أمــل إلا مــن ؟؟
تقــدمتني أُنــاس كــان شــوطهمو وراء خطـوي لـو أمشي عـلى مهـلي

قال سلطان العاشقين عمر بن الفارض :

أوَمــيضُ بَــرْقٍ بــالأُبَيْرِقِ لاَحــا أم في رُبَــى نجــد أرى مِصــباحا

قال حسين شفيق المصري: (*)

نجــد بهــا للغــاز قومبانيــة أنوارهــا تــدع المســاء صــباحا
وبــمصر أخــرى لعلطـت أنوارهـا فظننــت في حاراتهــا أفراحــا
وأنـا امـرؤ قـد جئـت مصر ولم أكـن إلا غلامــاً حافيــاً فلاحــا
ودخلـت مدرسـة وكنـت معفرطـاً متنطعــاً متقفــزاً قزاحــا
متشــابطاً متلابطــاً متخانقــاً متصــارعاً متشــاتماً رداحــا
وإذا اهتــديت رأيتنــي متمألســاً متمســخراً متمألتــاً مزاحــا
لكــنَّ خوجــاتي عــليَّ تــوزوزوا وعـلى نفـوخي وهـات حتـى راحـا
فعلمــت أن اللعــب لــيس وراءه إلا دمــي تحــت العصـابة سـاحا
فجعلـت أقضي الوقـت بـين قـراءة وكتابــة متألمــاً وحواحــا

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٢٢، الصادر في ٢٧أبريل١٩٢٧م.

حتى ألفت الدرس ثم عشقته ... وصبحت في تعبي به مرتاحا
طول النهار أخط في كراريسه ... وإذا غلطت أحك بالمساحا
وأبص طول الليل في كتباته ... حتى أرى للشمس نوراً لاحا
والجاز أحياناً يكون بلمبتي ... دون الشريط ويزهق الأرواحا
فأروح للفوانيس أقرأ تحتها ... وأدور في طرقاتها سواحا
ونجحت ثم صبحت فيكم راجلاً ... ذا شغلة لا عاطلا مشكاحا
ولو المدارس دلعتني لم أكن ... إلا فتى على كيفه صرماحا
وكبرت في جهل وقلت حيلتي ... وسرحت بين ربوعكم شباحا
إخص على زمن يجرم أهله ... ضرب الصبي ويشربون الراحا
والله لولا الضرب في التعليم ما ... نفع البليد ولا أصاب نجاحا

قال إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي الأندلسي:

سَل في الظَلامِ أَخاكَ البَدرَ عَن سَهَري ... تَدري النُجومُ كَما يَدري الوَرى خَبَري

قال حسين شفيق المصري: (*)

أبيت أصرخ من ضرسي وأزعق من ... عيني وأهرش ما في ظهري القذر
حتى أخيل أني واخد سكناً ... بين الحمير وبين الخيل والبقر
أصل العيا فاعلموا توسيخ بدلتكم ... من التراب إذا ما ثار – م النقر
ومن يكن ذا طعام حامض فإذا ... مات ادفنوه وقولوا يا بلاد بجر

(*) مجلة الفكاهة، العدد، ٢٥، الصادر في ١٨ مايو ١٩٢٤م.

مـالي رأيـت الأفنـدي كلـه قـرف ... كعربجي الدبش والأوباش والغجر
وهـل لـه زوجـة ليسـت تنضـفه ... أتـارى زوجتـه مـن نسـوة غجـر
أمـا تشـوفينه في الشـمس يـا كبـدى ... يمشى يطشطش من دهن ومن زفر
وتلبسـين حريـراً ريحـهُ عبـق ... من الكولنيات ذات المشمم العطر
عشـان مـاذا وليه في الموسكي دائرة ... طول النهار بوجه بارد حجرى
وفرش بيتك مثل الأرض سوَّده ... ما تحمل الريح من غلب ومن عفر
والـواد والبنت من أكل الفواكه لم ... تنضج أصيبا من الميكروب بالعور
تعـالى بصي أهـذا مطبـخ أكـذا ... تكون عيشة كلب حتى يا نضري؟
بل لا ألوم نساء الحي لست أرى ... لومـاً عليهن اني صادق النظر
فـالزوج زوجته ليست تخالفـهُ ... إن لم يكن نعجة أو راجلاً سكري
ربـوا نسـاءكمو ربـو بنـاتكمو ... فضحتمو نفسكم فى البدو والحضر
تنضـفوا أو فـإن المـوت يخطفكـم ... والموت يخطف مثل الراجل النوري

قال أبو الفتح البستي:

زيـادَةُ المَـرء في دُنيـاهُ نقصـانُ ... وربْحُـهُ غَـيرَ محـض الخَـير خُسرانُ

قال حسين شفيق المصري: (*)

والعلـم يرفـع بيتـاً لا عـماد لـه ... والجهل يهدمه فالبيت كيان
وقـد يخاف على الأموال جامعها ... واللص يا صاح لا يخشاه عريان

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٢٤، الصادر في ١١ مايو ١٩٢٤م.

ولا وقـار لإنسـان ولـيس لـه ... حـدائق وسرايـات وأطيـان

فـاجمع بعلمـك مـالاً تستفيد بـه ... فـالعلم مـن غـير مـال مالـه شـان

تـدرى وتعجـز عـما أنـت عارفـه ... فأنـت بـالعجز مثـل الليس دريـان

وقـد عجـزت ولى علـم وتجربـة ... فوبخـونى وقـالوا أنـت خيبـان

لا يشـعرون بـما ألقـاه مـن ألم ... وهل يبالى بقرص الجوع شبعان؟

لسوف أرحل عن أرض لأجهلها ... مـال وأعلمهـا غلبـان كحيـان

وهـل تطيـب حيـاة المـرء فى بلـد ... وأنتمـو عمـد فيهـا وأعيـان

أحسست أنى من همي ومن حزني ... تعـض قلبـى أضراس وأسـنان

وقـد سـمعت أحاديثـاً تروعنـى ... ومفيش مـن غـير نـار قـط دخـان

وينكـرون الـذى كالشـمس سـاطعة ... بـالله ربكمـو هـل نحـن عميـان؟

مـا كـل مـن يتغـاضى عينـه عمشـت ... فقـد تـراه عبيطـاً وهـو شـيطان

فـلا تغرنـك أثـواب مزركشـة ... قـد يلـبس الحلـة الغليـاء جربـان

ولا تهولنـك أطـمار ممزقـة ... فكـم تنكـر فى الأطـمار سـلطان

وإن زعلت فروح من وشي بس بقى ... بزيـاده فـارق ولا كـانى ولا مـانو

قال أبو العلاء المعري:

غَـيْرُ مُجْـدٍ في مِلّتـي واعْتِقـادي ... نَـوْحُ بـاكٍ ولا تَـرَنّمُ شـادِ

قال حسين شفيق المصري: (*)

خفف الأكلَ ما أظن أديم الـ بطـن إلا من كثـرة الازدراد
وطعـام عـلى بقايـا طعـام من قلـوب الخرفـان والأكبـاد
ولقـد تحـرق المصـارينَ خمـرٌ من سبيرتو يكوى الفتى فى الفؤاد
وإذا تخمـة وسـكر أصـابا رجـلاً بيـع عفشـه فى المـزاد
يتـوفى مـن بعـد تضـييع مـا في يـده ثـم بوسـه للأيـادى
وعليـه ديـن بـه يأخـذ الـدا ئـن فـرش البنـات والأولاد
فيقولـون في جهـنم يابـا بـا عـلى ولعـة بغـير رمـاد
وتـذوق البنـت العـذاب بـزوج غجـرى مـن عصـبة أوغـاد
كلـما كلمتـه قـال لهـا لـو لاي منتـي تقـولى يااسـيادي
ويـذوق الـواد العـذاب مـن الفقـ ر وفي الفقـر طـول ذل الـواد
لـيس يغنيـه قولـه كـان أصـلي كـان فصـلي والفجـر بالأجـداد
رب "باشـا" في برجـوان اضـطرارا بعـد مـا كـان قصره فى "المعـادى"
ويفـوت الحـريص مـلا فيفنيـ ـه بنـوه بمشـيهم فى الفسـاد
مـا لمـال مـع السـفيه بقـاء وهـو هلـس وعقلـه فـيري بـاد
والفتـى حيـنما يكـون جهـولاً حيـوان ورأسـه مـن جمـاد
علمـوا اتعـس الـولاد يكـن بالعـ لم في هيصـة مـن الإسـعاد

(*) مجلة الفكاهة، العدد٢٨، الصادر في٨يونية١٩٢٧م.

قال الأعشى:

مـــا بُكــاءُ الكَبِــيرِ بِــالأطلالِ   وَسُـــؤالي فَهَـــل تَـــرُدُّ سُـــؤالي

قال حسين شفيق المصري:(*)

أيــن أحبابنــا الــلى كــانوا هنــا را   حــوا وخلــوا لي كبشــة الأنــدال
كلـــما مســـهم أذى نـــدهوا لي   روحوا غوروا عني بقى وأنا مالى؟
كنـت فى الغلـب لايصـاً أتـلضى   وأعـض الحيطـان مـن ظلـم حـالي
وتقولــون جــت دا نايبــاء مــالو   كدا قـم فـز روح يـا شيخ مـن قبالى
يامـا شـفت الأسـى ويامـا طغيـتم   يامـــا لوعتمـــوني يامـــا جـــرى لي
هــل نســيتم أيــام كنـت أجـيكم   فتســـبون لي كـــدا طـــوالي
خبرونــى أيشــمعنى صرت عزيـزاً   مـن كلامـى الخفيـف أو مـن جمـالي
أنـــا في غايـــة الخشـــونة والتغـــ   ـــجير في هيئتـــى وفي أقـــوالي
أنــا لــولا مــالي لمنــت عــدو الأ   نــس والجــن والحصــا والرمــال
دا أتــارى مــالي الــلي خــلالى قـيما   مـع النـاس رب خليـك يـا مـالي
شـوفوا بالمـال رح تبوسـون أيـدي   بعـد مـا كنـت ملطشـاً للعيـال
كنـت أعيـا يقـال إمتـى تمـوت يـا   طور ودلوقت يلـلا تشـفيه دا غـالى!
إخـص ع الفقر إخص ع الغلـب ٦٠   إخـص ع الـذل كائـداً للرجـال
قـــال أجـــدادنا الأوائـــل إن الـــ   ـقرش الأبيض ينفع في سود الليـالي

(*) مجلة الفكاهة، العدد٩، الصادر في١يونية ١٩٢٧م.

اعقلوا وفروا الفلوس اجمعوها واشتروا الأرض والقصور العلالي
هَّم يعنى الأغنياء مش كانوا برضو فقرا قبل هذه الأموال

قال على بن الجهم:

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

قال حسين شفيق المصري:(*)

ألا اغلقوا الشباك فالجو بارد وهذا الهوى الشتوى في جتتى يهري
وما بالهوي العذري دائى وإنما هواء الشتا هو اللي رايح ياخد عمرى
ولا بلطو أيام الصقيع يصوننى ويحفظنى فى الليل حين أجي وخري
ألم تزعموا أن الحروب هي التي بها صارت الأثواب غالية السعر
وها قد مضت تلك الحروب فما لنا نرى من تجار السوء قاصمة الظهر
ويا ليتهم خلوا القماش كويساً يسرك في طي ويرضيك فى نشر
ولم يجعلوه كهنة لو لبسته يشيط وعند القلع تمزعه دغري
إذا أفاق الإنسان م البرد فاعذروا قماش اليومين دول يجلب البرد في الحر
ولوكنت باشا كنت في البيت نائماً أقرفص كمشاناً إلى ساعة الظهر
ولكننى زي ما أنت شايف على شغلتي أصحى وأخرج من بدري
لقد كنت عند "استين" أدخل جواكيت م العال اللي تبقى مدى الدهر
وآخذ منه جاهزاً ما أعوزه ينتوا وإن غلوه فهو "جنيه مصري"

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٥٥، الصادر في٤ ١ديسمبر١٩٢٧م.

فــإن ســألوني الأصــدقاء فــإنني ... أطـس لهـم سـعراً وأدخـل في الـفشر
ومـن "مـاير" يامـا اشـترينا جـواهزاً ... ولم نحتــوج للــترزي ينخــع بــالمتر
وهــا نحـن إمـا أن نفصـل بدلـة ... لهـا ثمـن يـا صـاح اكثـر مـن مهـر
وإمـا بقــاء في الشــتاء برعشــة ... تشـيلك مـن شـبرا لبوابـة الـنصر

قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

أَمِـن آلِ نُعـمٍ أنـتَ غـادٍ فَمُبكِـرُ ... غَـداةَ غَـدٍ أم رائِـحٌ فَمُهَجِّـرُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

سـأرحل عنهـا إنهـا لعبيـة ... إذا مـا رأتنـي شـائبا تتمسـخر
عـلى أنهـا شـابت وتصبـغ شـعرها ... وتحسب أن الشيب بالصبغ يستر
ولكـن سـواد الشـعر خلقـة ربنـا ... يبان وبرضو صبغة الشعر تظهر
وهـب أن هـذا الشـيب تخفيـه صبغة ... فكيف اختفاء العظم وهو مكعبر
أرى العظم تحت الجلد يبدو بوجهها ... فهـل يستبيكم وجههـا المتحجـر
وفيـه تجاعيـد تراهـا كأنهـا ... لمصلحة التنظيم إذ هـي تحفـر
ومهـا يكـن لـون المساحيق فهي لا ... تخبـيء لـون الوجـه حيـن يجنـزر
فيـا نعـم مـا هـذا الـدلال وقـد مضى ... زمان الصبا والموت نحوك يزغـر
تفشخرت أيـام الشـباب فهـل تـرى ... إذا نحـن شبنا برضنا نتفشـخر؟
عـلى شـان مـاذا بـس لم تتزوجـي ... وشـعرك مسـود ووجهـك أحمـر

(*) مجلة الفكاهة، العدد٦٣، الصادر في ٨ فبراير١٩٢٨م.

لقد كنت أيام الشباب لطيفة ... وحسنك فتان ولحظك يسحر
ولكن رأي الشبان منك تشخلعا ... كثيراً وتنطيطاً طويلاً فز نفقروا
وقالوا فتاة دائما مش بتستحي ... وآه عليها يا أخي لو تغجر
فلم يتزوجها امرؤ وتعوقت ... وشاخت ولما تعتدل يا سي بعجر
ومن ذا الذي يرضى بزوج خليعة ... تخلي اسمه بين المجالس يخسر
فيا ألف اخص ع الفتاة سفيهة ... وع اللي إذا ما عجزت تتغن در

قال الشريف الرضي :

أَعَلِمتَ مَن حَمَلوا عَلى الأَعوادِ ... أَرَأَيتَ كَيفَ خَبا ضِياءُ النادي

قال حسين شفيق المصري:(*)

شالت لنا الكنتور قومبانية ... ملعونة الآباء والأحداد
فعدت سلوك الكهرباء كأنها ... خيط من القطن البسيط العادي
هو لكتريك غير أن بياضه ... في بيتنا متبدل بسواد
فالنور متقطع وذلك كسفة ... في وشي بين أحبة وأعادي
ياشركة الزفت المسيّح إيه جرى ... يادي العمى ، يادي البلا ، يادي يادي
آه ، أي نعم ، مطلوبها متأخر ... في دفعه يومين عن ميعادي
لكن ثلاثة أشهر مدفوعة ... من إيدي تأميناً لها ياسيادي
اشمعنى تأميني لديها نائم ... من غير فائدة ولا إيراد

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٦، ٢١ الصادر في ديسمبر ١٩٢٧م.

وعشـــان مـــاذا بـــس تـــأمينٌ إذا كانــت لي آخــر الشــهر بالمرصـــاد
مـــاهش مآمنـــاني وأنـــا آمنتهـــا بقـى يعنـي أنـا اللي ذمتـي نقّـادي؟
ومـــن الـــذي يـــرضى إهانتـــه كـــدا مـــا لم يكـــن رجـــلاً مـــن الأوغـــاد
بـــلا كهربـــا والجـــاز أشرف لي ولا حكـم الغريـب علـيّ وأنـا ف بـلادي
مـــش تختشـــون بقـــى ونعمـــل شركـــة للنـــور تغنينـــا عـــن الشركـــادي
مـــش تختشـــون بقـــى وفـــيكم أغنيـــا قـــد كوّمـــوا الأمـــوال كـــالأطواد
مـــش تختشـــون بقـــى وبزيـــاده كـــدا مـــش تـــسمعون زعيقـــي لمـــا أنـــادي
رجالـــة ، آه ، أي نعـــم ، رجالـــة شـــايبين ولكـــن برضـــه كـــالأولاد

قال شاعر النيل حافظ بك إبراهيم :

لا تَلُـــم كَفّـــي إذا السَّـــيفُ نَبـــا صَـــحَّ مِنّـــي العَـــزمُ وَالـــدَهرُ أَبـــى

قال حسين شفيق المصري:(*)

زفلـــط الســـيف بكفـــي عـــرق ســـال كالمـــاء إذا مـــا سرســـبا
عـــرق بلـــل أثـــوابي ولـــو لاه كـــان الثـــوب فـــوقي هلبـــا
وكـــأني لحمـــة مســـلوقة أوقـــد الـــدهر عليهـــا الحطبـــا
واذا بـــالريح فيهـــا شـــعلة لخلخـــت أكتافنـــا والركبـــا
هـــات حـــدثني عـــن الـــثلج عســـى بـــرد القلـــب - حـــديثا عجبـــا
لـــيس لي في لـــوح ثلـــج مطمـــع قطعـــة منـــه تنيـــل المآربـــا

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٧٥، الصادر في٢مايو ١٩٢٨م.

غــير أن الــثلج أغلــوه فلــو — نلــت شــيئاً منــه نلــت الكوكبــا
في احــترام الباشــا للــثلاج كــم — طأطــأ الــرأس لــه وأحــدودبا
وبجــور الــثلج أضــحى كعبــة — تــذهب النــاس إليهــا موكبــا
والثيــاب البــيض صــارت مطلبــا — فــارفعوا للــترزي هــذا الطلبــا
مــن يشــأ عــزاً ومجــداً باذخــاً — حاكيــاً فــيها يضيء الشــهبا
فليشــع في كــل حــي أنــه — تخــذ الــترزيَّ أمــاً أو أبــاً
عنــده كــل قــماش أبــيض — يجعــل الحــر لــدى اللــبس هبــا
إن في الصــهد لنــاراً أحرقــت — حــاجي والــرمش ثــم الشــنبا
ليتنــي أغــدو مــن الأســماك في — بركــة أجعلهــا لي مكتبــا

قال عمر بن الفارض :

قلبــي يُحــدّثني بأنّــكَ مُتْلِفــي — روحــي فِـداكَ عرَفْـتَ أمَ لم تَعْـرِفِ

قال حسين شفيق المصري: (*)

علشــان مــا اني أذوب صــبابة — تتــدلعين فبزيــاداك تعطفــي
إشــمعنا غــيري تســمحين بقربــه — وأنا الذي إن رمت قربك تكسفي
ردي عــليّ بــلاش بغــددة بقــى — وأريني عـدلك يـا بديعـة وانصفي
إن الأرســتقراط في شرع الهــوى — مــا لــوش معنــى والنبـي فتبلشـفي
أو فــاعلمي إن الجــمال إذا بــدا — أغــوى وهــاتي ملايــة وتلفلفــي

(*) مجلة الفكاهة العدد، ٧٣ الصادر في ٨أبريل ١٩٢٨م.

دنـا لـو تكـونين ابنتـي يـا هـذه ... وأراك في هـذا التـبرج أختفـي
والله أرمـي روحـي عنـد محطـة ... ليدوسـني الترمـاي قبـل الموقـف
أو لـيس بأفـاً مـن يكـون أبـاً لمـن ... تمشي كمشنيك وهـو لم يستنكف
يـا هـذه غطـي ذراعـك إن ذا ... عيـب ومـش حلـواء دنتـي تقـرفي
قد كنت أضحك حين قلت جميلة ... أين الجمال بقى يا بنت الأخنف
إن الجمال هـو التحشـم حينما ... تمشـين في أدب بغـير تكلـف
مهما صبغت الوجه فهو مكرمش ... روحي اغسليه بلاش سوء تصرف
كرمشت وجهك بالصباغ مع الصبا ... اشحال لو عجزت روحي تشطَّفي
إخـص عـلى مخـي دنـا زعلتهـا ... بقسـاوتي وبغلظتـي وتعجـرفي
هـذا هـزار كلـه لا تـزعلي ... دنـا مـن هـواك ملهلـب لا أنطفـي
شـوفي عيـوني مـن سـهادي حمـرة ... ومـدامعي مـن جمعـة لم تنشـف

قال عنترة بن شداد العبسي :

لا يَحمِلُ الحِقدَ مَن تَعلو بِهِ الرُتَبُ ... وَلا يَنالُ العُلا مَن طَبعُهُ الغَضَبُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

مـا لي أرى البنـت قـد شـالت ملايتهـا ... هـل راجـل هـي لكـن مـا لـه شـنب
نعـم هـو الحـر والـدنيا ملهلبـة ... وإننـا كلنـا في نارهـا حطـب
اشـمعنى يعنـي مـرات المـرء عاريـة ... وهـو مكسي أمـا هـذا هـو العجـب

(*) مجلة الفكاهة، العدد٣٦، الصادر في ٣ أغسطس ١٩٢٧م.

عريانة ملط خالص وهي طالبة | رفع الحجاب فقولوا لي فين الأدب
ويا خليليَّ قولا لي حكومتنا | بأي شكل إليها يرفع الطلب
بدي تشوف الحواري كلها قرف | فيها جراثيم إن شافت فتى تثب
وللذباب مزازيك منظمة | لعزرئيل على تنغيمها طرب
وفي الشوارع بياعون عندهمو | من الفواكه ما فيه لنا العطب
السواد يأكل منها فهي تقتله | والست هانم في الموسكي كما يجب
والشمس ترقع في رأس الجعيص ولا | ظل ولا شجر من تحته كنب
بل الجناين ما حدش بيدخلها | من غير قرش ومنها لست تقترب
والرش في الصيف ممنوع فسكتنا | فيها تراب وفيه تغطس الركب
والكنس يارب لا تورينا عفرته | تعمي العيون وفيها السل والجرب
ماذا يغيظك منا يا حكومتنا | وليه كدا تقتلينا ليه إيه السبب؟
إن الضرائب منا تأخذينهمو | عشان صحتنا اللي رايحه تنشطب
فراقبي الله فينا إننا غنم | وأنت راعي وديب الموت مرتقب

قال السيد عبد المحسن الكاظمي :

إلى كم تجيل الطرف والدار بلقع | أما شغلت عينيك بالجزع أدمع

قال حسين شفيق المصري:(*)

أفتش في الديوان عن واحد له نفوذ لتوظيفي وفكري موزع
يقولون لي هل من وسيط تجيبه شفاعته عند الرئيس بتنفع
فهل كانت الليسانس لما أخذتها شهادة تلطيم بها أتسكع
أليس حراماً إنني بشهادتي أدور على أبوابكم أتلطع
وغيري عشان محسوبكم متوظف أراه عليكم دائماً يتدلع
بغير شهادات ولا فهم عنده بليد وفي أشغاله يتلكع
ولو لم يكن محسوبكم كان حقه يكون حماراً أزرقاً يتبردع
نعم أنا في كشف الطبيب مخستك ولكن أما هذا الأفندي أقرع
وكم من جهول غيره ومهزّإ قفاه خليق بالكفوف تطرقع
قضى عمره في المدرساء بلية وفارقها والعقل منه مفرقع
أراه غداً بالمحسوبية فالحاً ويمشي قيافا بيننا يتشخلع
دا ماهش كدا دي مش أمور لطيفة دي حال تخلي العقل م الرأس يطلع
على إيه شهادات بلاشي مدارس وهمٌ طويل بالبلاء مرصع
وشوفولكو شغلاً غير هذا فانه بقى شيء مالوش في الدواوين موضع
إذا كنت ذا عقل فكن ذا صناعة أو اسرح بفجل حين يمضغ يبلغ
أرى طالب التوظيف ليس براجل ومن كان ذا شغل فذلك مجدع

(*) مجلة الفكاهة، العدد٩، الصادر في ٨أبريل١٩٢٨

قال أبو الطيب المتنبي :

لا خَيلَ عِندَكَ تُهديها وَلا مالُ   فَليُسعِدِ النُطقُ إِن لَم تُسعِدِ الحالُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

اشحال لو كنت ذا مال تفرقه   على الأرامل والأيتام اشحال
إذن لكنت حبيب الناس لو نظروا   إليك م الحب ع الأكتاف تنشال
أنا الظريف اللي قولي كله عجب   كأنه لولؤ نقاه غربال
اشقلب الناس بالتنكيت من ضحك   مسخسين على أثوابهم بـا ...
ولي إذا جد جد الناس واختلفوا   فصل المقال وأحكام وأمثال
رأيي صحيح إذا الباشا يخالفه   فذلك الباشا مهما كان زبال
قولي فصيح حمار السكه يفهمه   فيرتقي دغري بغلا شكله عال
وكل هذا ولا نش حاجه ياولدي   إذ كل مالي ملاليم ونكلال
يأيها الرجل المزجى مطيته   إلى الجزيرة والتمبيل شغال
إنزل عن الجحش ما هذا الزمان كدا   هذا الزمان شياكات وجنتال
اصرف فلوساً وفخفخ في ديارهمو   يمدح فضائحك الوسخاء جرنال
وكن تقياً نقياً صالحاً ورعاً   وكن فقيراً يقولوا دنت بطال
العلم سطر مدير البنك ينشره   ع البنكنوت ومحروموه جهال
فخد علومي وآدابي وفلسفتي   وهات فلوساً ويكفيني في ده ريال

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٥، الصادر في١١ يوليو ١٩٢٨م.

علـم ولادك جمـع المـال يـنفعهم وقت الشدائد دي الـدنيا دي أنـدال

قال كعب بن زهير:

بانَـت سُـعادُ فَقَلبـي اليَـومَ مَتبـولُ مُتَـيَّمٌ إِثرَهـا لَم يُجـزَ مَكبـولُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ضاعت فلوسي عليها قبل ما ذهبت وكـان مـالي بـه لا يـنهض الفيـل
يامـا اشـتريت بيوتـاً مـا لهـا عـدد وكـل يـوم شراء ثـم تسـجيل
وكنـت صـاحب أطيـان أؤجرهـا وكـل يـوم مـن الإيجـار تحصـيل
فبعـت هـذا وهـذا واتلهيـت عـلى عينـي وهـذا مقـامي الآن مقلـول
ومـن يفلـس يكـن في النـاس مهـزأة وللكفـوف عـلى خديـه تطبيـل
إذا رأى دائنـاً يـأتي يطالبـه يكـش حتـى تـراه عرضـه طـول
مـا سـابه واحـد إلا لصـاحبه كـأنما هـو في الأصـحاب فوتبـول
أيـن الأتمبيـل يجـري بي يفسـحني هـل جزمتـي الآن في رجـلي أتمبيـل
أنا الذي كنت "باشا" في مجالسكم فهـل نسـيتم وليـه بـس التبهـديل
لو كـان يصـحو أبي مـن موتـه ورأى حـالي لـداخ وولى وهـو مسـطول
لولا سعاد ولـولا الخمر مـا ذهبت لي ثـروة ثـم قـالوا أنـت مخلـول
ويلعنـون أبي الـلي باسـوا جزمتـه لان لابـن أبي جهـل وتغفيـل
يـا ليتـهُ كـان ربـاني وعلمنـي بـدال مـال أضـاعته الأضـاليل

(*) مجلة الفكاهة، العدد٣٧، الصادر في١٠ أغسطس ١٩٢٧م.

لا شــك إن أبي المرحــوم خلفنــي | وكـــان إذ ذاك قـــد أعـــياه منـــزول
يــا قـوم لا تحسبوا الأمـوال نافعـة | أولادكــم بعــدكم فالمــال حيــزول
وعلمـوهم يصـونوا المـال بعـدكمو | وينقضي الـدهر وابـن العـز جنتيـل

قال جرير بن عطية الخطفي :

أَقِــلِّي اللَّــومَ عـــاذِلَ وَالعِتابـــا | وَقــولي إِن أَصَــبتُ لَقَــد أَصـــابا

قال حسين شفيق المصري:(*)

أفســـتانان في شـــهر وهـــذا | عــليَّ الشـوب مـــن عـامين ذابـا
تريـــد ملابســـاً في كـــل يـــوم | وقـــد مـــلأت ملابســـها الـــدلابا
وهـــذا البـــالطو ألبســـه زمانـــاً | طـويلا حتـى شـعر البـالطو شـابا
ياستي يا عيني يا روحي قولي لي | أمـا تـدرين أنـا (نـاس غلابـا)
دنـــا مـــاهيتي يـــا دوب تكفـــي | ألم نعقــل وقـــد شــفنا العــذابا؟
ولـــيس أبي ولـــيس أبـــوك باشـــا | فـــلا تتعنطـــزي وتقـــولي بابـــا
ألـــيس أبـــوك غلبانـــاً كحـــالي | وفي الأعيـــاد مـــا أكـــل الكبابـــا
وكـان أخـوك يـمشي وهـو حـافي | وبالقبقـاب مـا عـرف الشـورابا
وأمـــك في الملايـــة كـــل يـــوم | تـــنط كأنهـــا صـــارت غرابـــا
فلايميهـــا ودينـــك وارحمينـــي | مـــن المصـــاريف تقّلـــت الحســـابا
أراني كلـــــما ســـــددت بابـــــاً | فتحــت عــليَّ يــا بنبــاء بابــا

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٦٠، الصادر في ١٨ يناير ١٩٢٨م.

لأجلك صرت نصاباً وأخشى إذا ظبطوني ودوني النيابا
عشان ماذا الزواق وقد كبرنا وعجزنا ولا ما احناش شبابا
أشخلعة وشعرك صار قطناً وهل لا يعرف الناس الخضابا
كسفتيني فضحتيني ده وشي من الكسفات يلتهب التهابا
ياريتني لم أشفك ده كان زفتاً نهارك يوم ما كتبوا الكتابا

قال الأعشى :

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ وَهَل تُطيقُ وَداعاً أَيُّها الرَجُلُ

قال حسين شفيق المصري: (*)

شالوا العزال وراحوا كلهم سحراً إلى بجور له من تحته عجل
يجري وينفخ دخاناً فتحسبه سحائباً بعضها بالبعض متصل
وقد يصفر أحياناً فيطربني كأنه (سامي شوا) حين يشتغل
يا رايحين وروحي في بريمكمو هل في البريمو لجسمي عندكم أمل
قالوا قطعنا بسابورتاً نروح به إلى أوربا عشان الجو يعتدل
في مصر حر شديد لا يطاق وما في مصر سهل (على كيفنا) ولا جبل
ومصر كالمش لا يلتذ آكله أما أوربا فسمن طعمه عسل
بها التياترات فيها كل راقصة أخوك لو شافها في الدنس يختبل
وهل خلقنا لغير الهلس مونشيرامي؟ وهل لمن جد إلا الفقر والفشل

(*) مجلة الفكاهة، العدد٧٢، الصادر في١١ أبريل ١٩٢٨م.

خليك أنت في مصر غير منتقل ... إن المفلس مقرون به الكسل
وهل يعيش بلا أنس وفرفشة ... إلا الحمار الذي ضاقت به السبل
نعم تضيع فلوس ثم ارجع من ... أوربا يهري حشاي الهم والزعل
أعيش من سلفيات منوعة ... والدين لو كان حملا يبرك الجمل
ومن يكن راهناً أرضاً فقد ذهبت ... وينقضي من حياة الثروة الأجل
ياريتني ابقى هنا في مصر بس أنا ... نفسي أروح كعمول له عمل
والله لو كان لي عقل لأرجعني ... لكنني رجل من طبعه الهبل

قال عمر بن الفارض :

هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهلَ ... فما اختارَهُ مُضنى به وله عقلُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

تطالبني أسماء أن اشتري لها ... فساتين من تفصيلها يجمل الشكل
وأن أشتري سيارة لركوبها ... أفسحها فيها ولو عطل الشغل
فقلت لها إن التنزه بايخ ... إذا كان لا يمشي الفتى وله رجل
فقالت سخيف الرأي أنت وهكذا ... يكون الفتى جلفاً إذا استحكم البخل
ولا والنبي ياست لست بباخل ... عليك ولكنني كما يعلم الكل
فلا أنا ذو مال ولا أنا باشة ... ولا أنا نصاب ولا صنعتي النشل
أأركب في التمبيل ويحك بعد ما ... تعودت ع (الكارو) يجرجره بغل

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٧٧،الصادر في ١٦ مايو ١٩٢٨م.

دنا لو أرى مثلي ومثلك مرة ... ف سيارة أقضي بأنهمو هبل
على إيه كدا دحنا ولو تزعلين لا ... فارس ولا ملك ومأكلنا الفجل
أفنجصة من غر مال وشمخة ... ونحن كما تدرين ليس لنا أصل
أما كنت يا أسماء حافية وهل ... نسيت اختشي يا ادلعدي وبلاش جهل
لهو الحب نهب في الفلوس وبلصة ... منيش بقى م العشاق إنهمو هبل
عشان ما أنا مفتون بحبك مغرم ... تقولين لي هات هات وهذا هو القتل
فيا تجعلين الحب لله خالصاً ... يا أسلوك واللي الحب يفلسه يسلو
ده مش حب ده شغل الأونطة فارجعي ... عن الخطف أو روحي بقى دنا حااختل

قال النابغة الذبياني :

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ ... وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

تلكع ليلي في المسير كأنه ... محب مشي من عند إحدى الكواعب
فبت ألالي من صداع أصابين ... وأخلع أضراسي بعض المراتب
فيا لك من ليل كبحر مطمطم ... عليه سريري مثل إحدى المراكب
ولكنني في مركب من يخشها ... يشوف البلاوي جتني من كل جانب
وكم في مياه النيل من ذهبية ... تهيص بها الأحباب ويا الحبايب
بعود وقانون ودف مشخلل ... يتابعه الرائي بهز الحواجب

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٩، الصادر في١١ يناير ١٩٢٨م.

حوالي خوان للزجاجات فوقه ... صفوف وجيش الأنس خير محارب
رجال ونسوان وخمر ومزة ... وليس لهم من عاذل أو مراقب
وقد خلعوا عن وشهم برقع الحيا ... ولو أن فيهم بعض أهل المناصب
وفي ساعة الحظ اللي زي دي لا ترى ... تكبر باباش أو تصاغر حاجب
وفي البر فتيان وفي البر نسوة ... لهم نظرات شكلها مش مناسب
وألفاظهم ما أقدرش إني أقولها ... يلغمط ذقني عيبها وشواربي
ومن لم تكن من حظه ذهبية ... لقلة مال هاص برضو بقارب
نعم إنهم صاروا بعيدين عن هنا ... ولكن أهذا منعه غير واجب؟
وللهلس ناس يرمحون وراءه ... حفاة على الرجلين فوق العقارب
وما زال في أرض الجزيرة كل ما ... عهدناه من هلس وصرف مكاسب
فان كنت ذا مال فإنك آمن ... هناك أو ارجع قبل ضرب الشباشب

قال الشريف الرضي (١):

بكر العارض تحدوه إلى الدار النعامى ... فَسَقاكَ الريّ كل الريِّ يا دار أماما

---

(١) وكذلك مهيار الديلمي
بكرَ العارضُ تحدوه النُعامى ... فسقاكِ الريّ يا دارَ أماما
- وكذلك عماد الدين الأصفهاني
بكرَ العارضُ تحدوه النُعامى ... فسقيتَ الغيثَ يا دارَ أماما

قال حسين شفيق المصري: (*)

لا أراهـــا عنـــدما أســعى إليهـــا　　وهـــي في الـــدار لأني أتعـــامى
وأبوهـــا وأخوهـــا عـــن يمينـــي　　وشـــمالي كغفـــيرين أقامـــا
ســألاني عـــن مجيئـــي قلـــت شـــوقي　　لكـــما قـــد هـــام بـــالنفس هيامـــا
ولـــو الأمـــر بيـــدي يـــا سي فهمـــي　　لغـــدا راســـهما تحـــت الترامـــا
وإذا جـــاءت لتلقـــاني ببيتـــي　　وجـــدت فيـــه مـــن الأهـــل زحامـــا
فتعـــالي تجـــديني في انتظـــار　　عنـــد ذاك الحلـــواني مـــع مامـــا
أمـــك الحســـناء تلقـــى عاشـــقيها　　عنـــده في ســـاعة الـــعصر تمامـــا
وأراهـــا وتـــراني كـــل يـــوم　　فهـــي تخشـــاني إذا قلـــت الكلامـــا
وإذا الأم مشـــت في مســـخراء　　فهـــي لا تمنـــع م البنـــت غرامـــا
لا يـــزج البنـــت إلا أمهـــا في　　ســـكة الهلـــس إذا مـــا الأب نامـــا
يـــترك الزوجـــة والأولاد لـــيلا　　ســـاهراً في حانـــة بـــين النـــدامى
كـــل مـــا يـــدري مـــن الـــدنيا طنـــاشي　　أو خريســـتو يمـــلأ الكـــأس مـــداما
ويزيـــد الطـــين طينـــاً فوقـــه　　وحلـــة ع الـــرأس لـــو شـــم جرامـــا
يلحـــس العقـــل فـــلا يـــدري بشيء　　ويظـــن البيـــت قـــد صـــار برامـــا
ويـــرى العصـــفور تيســـاً بقـــرون　　ويـــرى الجـــاموس في الغـــيط حمامـــا
إخص ع الدنيادي دي الدنيادي هلس　　يامـــا شـــفنا مـــن بلاويهـــا ويامـــا

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٨٠، الصادر في ٦ يونيو ١٩٢٨م.

قالت السيدة عائشة التيمورية :

إن سالَ مِن غَرب العُيونِ بُحور ... فَالدَهرُ باغ وَالزَمان غَدور

قال حسين شفيق المصري:(*)

تمثال نهضة مصر غير كويس ... إياك يدهسه يا خويا بجور
بنت مسلوعة برش كالح ... ما فيه إلا ذلك المناخير
وبجنبها أسد يشابه نعجة ... مدقوقة في عينها مسامير
مش عارفين تريد ماذا هذه ... من ذاك إذ قالت له بونجور
هل رمز مصر البنت أو هذا الذي ... تدعوه إني حائر محيور
إن قيل إن البنت رمز فهو في ... هذا المكان كأنه طرطور
بقى دا الذي قلتم عليه إنه ... فن جميل ما لهوش نظير
إبكو على بختي فبختي مائل ... ما فيه تبديل ولا تغيير
يا دهوتي يا نايبتي يا ادلعدي ... يادي الكسوف ودي الكلام كتير
ضاعت فلوسك يا بلاد وأنت في ... غلب ونيل المال فيك عسير
ياليتهم عملوا بدال دا ورشة ... للنسج فيها قطنة وحرير
أو مصنعاً للكبرءوت فانه ... نار ومنها يا عيوني نور
أو دار أيتام تلم عيالنا ... وبلاش تشريد ولا تخسير
المال يعمل كل شيء يا أخي ... بس احنا ناس عقلنا مقشور

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٢، الصادر في٢٠يونيو١٩٢٨م.

بـل ربـما نـاس رأيهـم غـير الـذي ... ابتديتـه وأنـا الـلي عقـلي صـغير
لكننـي أعلنـت رأيـي وهـو لي ... حـق فـلا تزعـل بـه مـاي ديـر

قال بهاء الدين زهير:

رَسولُ الرِضـا أَهـلاً وَسَـهلاً وَمَرحَبـا ... حَـديثُكَ مـا أَحـلاهُ عِنـدي وَأَطيَبـا

قال حسين شفيق المصري:(*)

تحـدثني عـن زينـب وبناتهـا ... أحاديـث منهـا بطـن حبـي كركبـا
أزينـب في شرخ الشـباب وعمرهـا ... يزيـد عـن السـتين غـير سـني الصبـا
إذا ما رأت صغرى البنات تبرجت ... غـدا صـدرها مـن غـيرة متلهبـا
وإن أبصرت كبرى البنات وعاشقاً ... يغازلهـا هـزت مـن الغـيظ شبشـبا
تقـول بنـاتي لـيس فـيهن حلـوة ... لتأخـذ مـنهن الفتـى المتصـببا
وتجري إلى الحمزاوي تطلب خلطة ... تسـمنها حتـى تـرى البغـل أرنبـا
وتأكـل حنتيتـاً إذا الكلـب شـمه ... أصـاب الصـداع الكلـب منـه فهبهبـا
وكم زعق الجيران من خبث ريحها ... وكم نشرت في الحي من ريحها الوبا
وورَّمهـا الحنتيـت حتـى غـدت بـه ... كجاموسـة بيضـاء عضـتها عقربـا
وصـارت كبـالون ولكـن مريضـة ... ويـا قـبح ذاك الوجـه حـين تكبـا
فيـا هـذه ورمـت نفسـك ليـه كـدا ... وأيـن الخنـازير الوحـاش مـن الظبـا
نعم في السمان الحسن والظرف كله ... إذا كـان هـذا خلقـة مـش تكسـبا

(*) مجلة الفكاهة، العدد٨٣، الصادر في٢٧يونيو١٩٢٨م.

ولا فيش فيهم ريحة وحشة كدا ... تعكنن أهل الأرض شرقاً ومغربا
فيا زوجها إخص عليك مغفلا ... إذا شاف طيناً قال أبصر كوكبا
إذا المرء لم يملك زمام مراته ... تعثر في تهليسها وتشقلبا

قال عنترة بن شداد العبسي:

حَكِّم سُيوفَكَ في رِقابِ العُذَّلِ ... وَإِذا نَزَلتَ بِدارِ ذُلٍّ فَارحَلِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ارحل عن الدار التي أصحابها ... لا يطعمونك من لذيذ المأكل
بئس الطعام الفول وهو مدمس ... مهما تحاول بلعه لا ينزل
أأصوم ويحك ثم آكل وحلة ... إن الصيام له طعام فلي
زرنا تجد في بيتنا ما تشتهي ... من كل مطبوخ وكل مخلل
عملت لنا بالأمس عبلة كفتة ... طباخ باشا مثلها لم يعمل
وكباب عبلة لا تقل حاتي ولا ... ماتي وكل منه ثلاثة أرطل
ويسيل دمعك لو تفوتك دمعة ... خلطت بها مستردة من خردل
يا آل عبس لن يبوء بخيبة ... رجل إذا حضر الفطير يبص لي
إن الكنافة لو تمثل شخصها ... بين الصنوف تشتها في الأول
وإذا سلاطين الخشاف تجهزت ... فاشمر لها الأكمام واشرب وانجلي
وإذا عزمتك للفطور فبعدها ... فاعزمني واصرف في العزومة وابذل

(*) مجلة الفكاهة، العدد ١٧ الصادر في ٢٣ فبراير ١٩٢٧م.

وعلى الملوخيا لنا اذبح وزة ... وكما عملت من المآكل فاعمل
أو فالذي حضر الوليمة ثم لم ... يولم سواها فهو كالمتسول
لا تسقني مرق الفراخ بذلة ... بل فاسقني بالعز ماء الفلفل
مرق الفراخ بذلة لا أشتهي ... والطرشي في عز آراه يلذ لي
ويلي على الفقراء في رمضان لو ... شموا طعام الأغنيا ياشيخ علي
القصد سيبك فالعزومة جهزت ... فتعال كل ما تشتهيه وادع لي

قال أبو الحسن التهامي:

حُكمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جاري ... ما هَذِهِ الدُّنيا بِدار قَرار

قال حسين شفيق المصري:(*)

ما لامرئ من موته من مخلص ... لا بالطبيب ولا بكدية زار
والعيش بحر والأنام مراكب ... والقلع والمقداف مثل الصاري
والريح تقلبها فتغطس كلها ... والجد يبدأ دائماً بهزار
ولدي العزيز قضت عليه لبوة ... كانت تحز عليه كالمنشار
زوَّجته منها أُريد هناءه ... ورميته في حفرة من نار
نوَّامة للظهر ثم يجيئها ... تكس تروح جنينة الأزهار
ويكع أجرته جنيهاً كاملاً ... والدم يطرشه مع الدينار
فإذا أتى ليل تقول له بنا ... هيا إلى متنيهة الكسار

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٣١، الصادر في ٢٩ يونيو ١٩٢٧م.

وتروح في السواريه كشكش بعده ... ويكع برضو أجرة البنوار
ويدوب من خجل إذا بصوا لها ... فيروح يشرب خمرة في البار
راحت فلوسك يابني وشحطت ... ورهنت أرضك بعد بيع الدار
ورأتك لا شيء لديك فشلقت ... لما تخسع راتب الجزار
مهما تلاطفها تدق خناقة ... وتلم أهل شوارع وحواري
وإذا نطلقها فشغل محاكم ... فيها البلاء بيادة وسواري
من ذاك مات ابني وراح فريسة ... لجنون إسراف كسبع ضاري
عيب على دقني عزائي بعده ... روحوا وخلوني بقى في مراري

قال أبو عبادة البحتري :

بَاتَ نَديماً لِيَ حَتّى الصَباح ... أَغيَدُ مَجدولُ مَكانِ الوِشاح

قال حسين شفيق المصري:(*)

لم تغتمض عيني ولا عينه ... حتى سمعنا م الديوك الصياح
فيا لها من ليلة لم يكن ... فيها لنا إلا البكا والنواح
نبكي على عهد الجنيه الذي ... إذا ذكرناه نرى الدمع ساح
كان جنيهاً ذهباً خالصاً ... حصانه المرسوم صعب الجماح
أصفر رناناً له لمعة ... إذا بدت للعين فالهمُّ راح
كان إذا رنّ رقصنا له ... وما على ذي شيبة من جناح

(*) مجلة الفكاهة، العدد٧٦، ٩الصادر في مايو ١٩٢٨م.

وليّ وولّى الأنـــس مـــن بعـــده ... وغـــاب عنـــا زمـــن الانشراح
أنظـــر إلى بـــوزي تجـــد طولـــه ... مـــترين مـــن همـــي الـــذي لا يـــزاح
مكلضـــم كـــأنني راكـــب ... عـــليّ عفريـــت ثقيـــل المـــزاح
والبنكنـــوت الهلـــس أصـــل الـــذي ... أصـــاب أحشـــائي مـــن دي الجـــراح
لـــو لهلبـــت نـــار عـــلى طرفـــه ... رأيـــت ريـــح الفقـــر في الجـــو فـــاح
أو وقعـــت مـــن فوقـــه ميـــة ... فقـــد مضـــت عنـــك الليـــالي المـــلاح
لـــيس الجنيـــه البنكنـــوت الـــذي ... تـــرى جنيهـــاً لـــو تثـــور الريـــاح
لكنـــه مـــن ذهـــب لـــو فتـــى ... يمســـه يـــزول عنـــه الكســـاح
ردوا إلينـــا عهـــده إنـــه ... ألـــذ مـــن خمـــر بـــماء قـــراح

قال أبو الطيب المتنبي :

لا خَيـــلَ عِنـــدَكَ تُهـــديها وَلا مـــالُ ... فَليُســـعِدِ النُطـــقُ إِن لَم تُســـعِدِ الحـــالُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

تظـــن أنـــك باشـــا إذ تخـــاطبني ... وأنـــت في نظـــري يـــا بـــأف زبـــال
مـــن إمتـــى صرت عظيـــا دنـــت مســـخرة ... إلام عياشـــة والأب شـــيال
جـــاك الـــبلا دنـــت كحيـــان وعمـــرك مـــا ... كســـبت قرشـــا ولا جاءتـــك أشـــغال
ولســـت صـــاحب علـــم تســـتعز بـــه ... ولســـت ذا ضـــيعة والأصـــل بطـــال

(*) مجلة الفكاهة، العدد٦٦، الصادر في٢٩ فبراير ١٩٢٨م.

وكـل مـا فيـك مـن جهـل ومفخـرة — جـوازة حلـوة بحبوحـة عـال
فالسـت تعطيـك مـالا حـين تصرفـه — تهـز طولـك مروعـا وتختـال
ووظفتـك ولولاهـا لمـت ولم — تجـد وسـيطاً ولم تسـعفك آمـال
عشـانها أنـت في الـديوان منجعص — ولـو تسـيبك م الـديوان تنشـال
فقـل لي بـالله هـل هـذا تفاخرنـا — بـه وعنـدك م الأخـلاق مثقـال
إذا تعنطـز إنسـان ولـيس لـه — أصـل فمـن حقـه صـفع وإذلال
إن الـذين مـن النسـوان عيشـتهم — نـاس هلافيـت أنـذال وأرذال
إخـص عـلى رجـل لـولا قرينتـه — لقارنتـه مـن الـويلات أهـوال
إخيـه إخيـه ع الـلي لا حيـاء لـه — فـذاك سـمعته زفـت وأوحـال
إتفـوه إتفـوه ع الـلي شـاب وهـو بـلا — عقـل وكـل بنـي الأيـام دي عُقَّـال
يا رب خلصني من دي النـاس إنهمو — صـم ولـيس تفيـد الصـم أقـوال

قال أبو تمام الطائي :

السَـيفُ أَصـدَقُ أَنبـاءً مِـنَ الكُتُـبِ — في حَـدِّهِ الحَـدُّ بَـينَ الجِـدِّ وَاللَعِـبِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

ولـيس مشي الفتنى والشـمس تحرقـه — مثـل الجلـوس بـلا شـغل عـلى الكنـب
والمـرء بالشـغل أهـل للكرامـة لا — بـمال أُمّ توفـت أو بـمال أب
والمـال مـن عـرق الشـغال لذتـه — أضـعاف لـذة مـال جـا بـلا تعـب

(*) مجلة الفكاهة، العدد ٣٣، ٦الصادر في يوليو ١٩٢٧م.

والمـــال إن كـــان ميراثــاً فلــيس لـــه ... فخــر وفخــرك في المــال الــلي مكتســب
والشــيب فيــه وقــار حــين تحفظــه ... مـــن الســخافة والتهلــيس والكــذب
ومــن يشــب وهــو هــلاس فلــيس لــه ... عنــدي مقــام وخــير منــه أي صــبي
كــأن شــيبته البيضــاء لــو نفشــت ... تســمو إلى ليفــة الحــمام في النســب
إخــص عــلى الشــنب الــلي الخمــر تلمســه ... مــع المشــيب الــلي نــاوي ينــده الــتربي
وإيــه بقــى الــلي صــغير الســن يعملــه ... وأنــت في هيصــة قــد غصــت للركــب
يــا قــدوة الســوء عصيــت الــولاد عــلى ... آبــائهم في زمــان الــدرس والطلــب
والــواد إن فــات ســن المدرســاء ولم ... تكــن لــه دبلــماء العلــم والأدب
فإنـــه مثـــل جميـــز يـــدور بـــه ... بياعـــه في آوان التـــين والعنـــب
وللنســـاء عقـــول لا أخـــاف إذا ... مـا قلـت مـن حجـر أو قلـتِ مـن خشـب
مــش كلهــن فــلا يغضــبن إن طلعــت ... مني عفـاريتي مـن غيظـي ومـن غضـبي
فــإن مــنهن مــن ترمــي الفلــوس بــلا ... وعي وعي لتأتي بطبع الحسن في العلب
وفي الـــبلاد رجـــال لا حيـــاء لهـــم ... إن لم أبهـــدلهمو عيـــب عـــلى شـــنبي

قال ابن سناء الملك :

سِوَايَ يَخَافُ الدَّهْرَ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدى ... وغَـيْرِي يَهْـوَى أَنْ يَكُـونَ مُخَلَّـدَا

قال حسين شفيق المصري:(*)

سـئمت حيـاتي بعـد طـول تجـاربي ... ففي جزمتي ما غاب منها وما بدا

(*) مجلة الفكاهة، العدد٥٢، الصادر في٢٣نوفمبر١٩٢٧م.

أرى الناس أشكالاً فمنهم خواجة إذا شافه البيك المفرنج قلدا
وفيهم أفندي تمشيخ خادعاً وشيخ على شان الفلوس تأفندا
ويجلس فلاح بلبدته على نيو بار منفوخاً بوجه تجلمدا
وذي لحية بيضاء من تحت عمة إذا شفتها قبلت كتفيه واليدا
وتسأله أن يدعو الله دعوة تخش بها دار النعيم مخلدا
وتدخل في البيراء تلقاه قاعدا يسف ويهذي بالمزاح معربدا
فلا تنخدع بالزي فالزي باطل ولا حق إلا أن تعض وتزغدا
أترفع شأن المرء وهو منافق إذا زعموه عابداً متزهدا
وتخشى جباناً إذ معاه عصاية وتأمن لصاً في الظلام تلبدا
وما قيمة الدنيا إذا كنت كانزاً فلوساً وتمشي بالقميص مهربدا
نعم إن تحويش الفلوس كويس ولكن على قدر اللزوم مهش كدا
ففرفش ومن بعد التفرفيش ان بقت فلوس فحوّش كي تغيظ بها العدى
وشف مثلما شاف الأنام كيوفهم ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
فلله حق حين تدفعه له يبيض ما صيرت بالجهل أسودا
فنم آمناً تحت اللحاف مكلفتاً إذا ما سحاب في السماء تلبدا

قال ابن هانئ الأندلسي :

ما شِئتَ لا ما شاءَتِ الأقْدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

قال حسين شفيق المصري:(*)

لي مبلغ عند ابن فردة صرمة ... ومعي به سند فلا إنكار
فإذا ذهبت إليه يضرب موعداً ... وعلى كدا لا ينفع المشوار
وإذا تضايق حين ألعن خاشه ... طس اليمين وتكثر الأعذار
لو كان في فقر لكنت وربنا ... سامحته لكنه بنكار
وإذا رفعت قضية قالوا لها ... رسم وجيبي ملوه أصفار
وشهادة الفقر اللي تعفي منه لو ... أحضرتها فالعار ثم العار
يعني فلوسي عنده ضاعت على ... شان الرسوم وكم فلوس طاروا
فالمال مالي وهو يأكل لحمة ... وطعامي فول فوقه زيت حار
ليه الرسوم على القضايا يا أخي ... والعدل يشري إنني محتار

قال ابن هانئ الأندلسي :

فَتَكاتُ طَرْفِكِ أم سيوفُ أبيكِ ... وكؤوسُ خمرٍ أم مَراشفُ فيكِ

قال حسين شفيق المصري:(*)

يابنت ذي الرأس الطويل قفاؤه ... أكذا يكون البصم م الشبابيك
شاغلت سكان العمارة كلهم ... بالقفش والتقليس والتضحيك
يادي الندامة من نساء بلادنا ... يهلسن هلساً ليس بالمسبوك

(*) مجلة الفكاهة، العدد، ١٧٠، الصادر في٢٤فبراير١٩٣٠م.
(*) مجلة الفكاهة، العدد٤٥، الصادر في١٥ أكتوبر١٩٢٧م.

أوربـا تضـحك مـن سـخاف عقولنـا ... مـن مشـينا في الخـبص كـالمكوك
ونسـاؤنا يـدخلن كـل تيـاترو ... يسـهرن فيـه إلى صـياح الـديك
ويخضـن في وسـط الرجـال بجاحـة ... ووقاحـة للغمـز والتمحيـك
ونسـاءُ أوربـا يفقـن سـباحة ... إسـحاق حلمـي وهـو زي أخيـك
متكلـبظ مـتجعلص مـتفعلص ... مـن أكلـه مكارونـة عـلى ديـك
ونسـاء أوربـا يطـرن شـطارة ... في الجـو مجتـازات لطلانطيكـي
أمـدام كـوري وهـي في رديومهـا ... مـا بـين تحقيـق ودفـع شـكوك
كنفيسـة أو عيشـة أو زينـب ... موحوسـة في طـبخ ربـع فريـك
والبنـت تصرخ جنبهـا والـواد في ... حـال وكـل أمورهـا عـاديكي
لكنهـا يـاروحي في تواليتهـا ... وجبينهـا المـتقشر المـدعوك
كـل الـذي أخذتـه عـن أوربـا لم ... يخـرج عـن البيليبـا ولـبس الشـيك
ياسـتي أوربـا ودينـي مـش كـدا ... مـا تـزعليش منـي بـلاش تباتيـك
هل خش عقلك أن أوربا(وي)(نـو)؟ ... أتاريـك مـش رح تفلحـي أتاريـكِ

الكاتب :

أ.د. مصطفى رجب :

١-عمل بالسلك الجامعي :معيدا فمدرسا مساعدا فمدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا فوكيلا ، فعميدا لكلية التربية بسوهاج من [١٩٩٥-٢٠٠١] كما عمل عميدا للمعهد العالي للدراسات الإسلامية بسلطنة عمان [١٩٨٩-١٩٩٢]

٣-عضو اتحاد الكتاب المصريين ، والمجالس القومية المتخصصة برياسة الجمهورية بمصر ولجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

٤-رئيس جمعية الثقافة من أجل التنمية ورئيس تحرير دوريتها العلمية المحكمة [الثقافة والتنمية]

٥-رئيس مجلس إدارة جريدة [رسالة الجنوب] المرخصة من المجلس الأعلى للصحافة بمصر.

٦- يكتب في عدد من الصحف والمجلات العربية من أكثر من ثلث قرن وله أعمدة ثابتة في بعضها.

٧- صدر له أكثر من ثلاثين كتابا وبحثا وأربعة دواوين شعرية .

٨- يعمل حاليا أستاذا ورئيسا لقسم أصول التربية بجامعة سوهاج - ورئيسا لنادي الأدب المركزي بمحافظة سوهاج – ونائبا لرئيس فرع اتحاد كتّاب مصر بجنوب الصعيد.

العنوان الدائم للمراسلة البريدية : مصر – سوهاج – كلية التربية

البريد الالكتروني : mostafaragab 1999@yahoo.com

الهاتف في مصر : ٠١٠١٩٩٨٣٧٧ - فاكس ٠٩٣٤٣٩٦٧٠١

الهاتف في القاهرة : ٢٤٢٦٤٧٦٢